

دائرة المعارف الموسيقية

وقاموس المعهد

اشترك في عملهما طائفة كبرى من اساتذة المعهد الموسيقي الفرنسي

وسواهم من نوابغ الموسيقى والعلماء والادباء

بادارة البير لافنياك

استاذ في المعهد وعضو في المجلس العالي للتعليم

القسم الاول

تاريخ الموسيقى

الموسيقى العربية

بقلم الاستاذ جول روونيت

معربة بقلم الاستاذ اسكندر شلفون

منشيء مجلة روضة البلابل الموسيقية ومحررها ومدير المعهد الموسيقي المصري

ENCYCLOPEDIE DE LA MUSIQUE

et

Dictionnaire du Conservatoire

1re PARTIE

HISTOIRE DE LA MUSIQUE

LA MUSIQUE ARABE

par le Professeur

(Jules Rouanet)

Traduction Arabe par

Alexandre P. Chalfoun

Propriétaire—Rédacteur de la Revue Musicale "Rawdat-Ul-Balabel"
et Directeur du Conservatoire Egyptien de Musique

(كلمة)

الموسيقى فى الشرق ولا سيما فى مصر متجهة الى هيكل النور . آخذة فى الانتشار . وهي اليوم فى دور حيوي جديد بل فى حركة كبيرة من حركات الانتقال والتطور . واشتغالنا مدة اربع سنوات فى مجلة موسيقية هي الوحيدة فى الشرق فى اللغة العربية قد اتاح لنا الوقوف على حقيقة الحالة الفنية عندنا وعلى مقدار الاستعداد العام للتقدم بهذا الفن الجميل الخالد الى الامام

والظواهر المتعددة التي بدت فى السنين الاخيرة فى انحاء كثيرة من الشرق العربي لهي ادلة ساطعة على ان الروح الفنية آخذة فى الانتعاش . وان الفكرة الموسيقية قد تهذبت وارتقت . وان الناس جلهم اصبحوا فى حاجة الى تغذية ارواحهم وقلوبهم وعقولهم حاجتهم الى تغذية ابدانهم . وهذا عصر مشرق نسمع فيه طبول البشائر تدق فى انحاء الشرق مبشرة بالرقي العام سواء فى الحياة المادية أو فى الحياة الادبية المعنوية . بل هذا هو الدليل الساطع على النهوض والتقدم ومبلغ ادراك الحقائق مما يبرهن بساطع البرهان على ان ارتقاء الفنون دليل على ارتقاء الامم

على أننا لا نزال فى بدء نهضتنا الموسيقية ونشاطها الفني . والفراغ لا يزال حولنا وسيعاً لا سيما فى ما يتعلق بكتبنا ومؤلفاتنا ومطبوعاتنا الفنية الموسيقية ليس فقط من حيث كتب العلم الموسيقي وقواعده بل من حيث تاريخ الفن وادوار اصلاحه ومختلف حالاته . ولما كان شأن الفن لدينا من أهم الشؤون وقفنا له مجهوداتنا واخلاصنا . فقد قضى الواجب علينا ان نبذل فى سبيل خدمته النفائس من وقت ومال وان نضع يراعنا الضعيف رهن اشارته وان نقدم له من الكتب والمؤلفات والتعاريب قدر ما يكون في دائرة المستطاع

لذلك نحن نضيف اليوم الى مجهوداتنا السابقة مجهوداً جديداً هو تعريب القسمين العربي والتركي من تلك الدائرة . دائرة المعارف الموسيقية التي تم طبعها في العهد الاخير باللغة الفرنسية . وهذان القسمان يشتملان على الشيء الكثير من تاريخ الموسيقى الشرقية ومن قواعدها وحالاتها في مختلف العصور وتطوراتها وفنياتها وعلمياتها عند العرب والترك

وبالرغم من وقوع بعض الاغلاط الفنية الدقيقة في هذين القسمين. تلك الاغلاط التي قليلا ماتنجو منها مثل هذه المؤلفات العظيمة العالية المرتكزة في ابحاثها واوضاعها على دقائق التاريخ والعلم والفن والقواعد . فقد اشتمل هذان القسمان على مبلغ كبير من الحقائق والمعلومات الجليلة لا غنى لكل طالب لهذا الفن أو عامل فيه عنها

على أننا لم نقابل تلك الاغلاط بالصمت بل تداولناها بالبحث والمناقشة والتصحيح على قدر ما سمحت لنا به معلوماتنا وابحاثنا

فنحن نقدم اليوم هذا المجهود الى قراء اللغة العربية كما أننا نتقدم الى هيكل الفن المقدس بهذه التضحية الجديدة . ألهمنا الله طريق السداد

اسكندر شلفون

دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد

(القسم الاول)

﴿ تاريخ الموسيقى ﴾

الموسيقى العربية

بقلم

(الاستاذ جول رووانيت Prof. Jules Rouanet)

معربة بقلم الاستاذ اسكندر شلفون

(مقدمة)

حقيقة لا بد من اثباتها في بدء هذا البحث :

ان الموسيقى العربية في العهد الاخير لم تسترع اذهان العلماء كي نستطيع ان نقدم هنا بياناً تاماً ثابتاً عن تاريخها وتطورها . وملخصا عن صفاتها وطبائعها الخاصة . وعن اشكال نغماتها المختلفة منذ القدم حتى اليوم .

ولا يوجد في الواقع بين ايدينا عدد وافر من المؤلفات (الفنية التاريخية) لا للموسيقى العربية ولا للفنون الاسلامية الاخرى ولا للادب والحوادث السياسية التي مرت على الاسلام استقى مؤلفوها حقائق اخبارها عن جميع المصادر المعروفة وشغفوا لاجلها بالمخطوطات القديمة التي من المحقق ايضا توفرها في دور الكتب العمومية . تلك المؤلفات التي لو وجدت لشفت غليلنا المشروع بما كانت لاشك تحويه من المستندات العديدة . والتحليلات الدقيقة . والمباحث الانتقادية الهامة . سواء لتدوين ما يتعلق بالموسيقى خاصة أو لتمام معرفة مظاهر سائر الفنون الاسلامية المختلفة .

كثير من العلماء في جميع الاقطار بذلوا المجهودات الكبيرة في سبيل تدوين تاريخ اصول هندسة العمارة العربية وكل ما يتعلق بعلومها وقواعدها ومراحلها وتطوراتها المختلفة في مؤلفات فاخرة . مستعينين على ذلك بمجهودات ومباحث علماء الآثار الكبيرة وبموارد الجمعيات العلمية الزاهرة .

وكم في جميع اللغات من مدونات لا تحصى جمع فيها اصحابها بعناية واهتمام آثار فنون صناعة

التماثيل وسائر الصناعات في الامم الاسلامية ودرسوها وفحصوها بدقة وامعان واستقروا معانيها الفلسفية .وكم بحثوا في قواعد فن الجمال فاخرجوا الى النور فنون الزخارف التي ازدهرت في تلك العصور وانتشرت من جبال الصين الى مساجد الاندلس .

كذلك ما يتعلق بآداب اللغة العربية فقد توجهت اليه همة العلماء من المستشرقين ونقلوا الينا كل ما اصنع منه تقريبا منذ العصور السابقة للاسلام (عصر الجاهلية) حتى العصر الحديث . كما ان سواهم من العلماء نبشوا قبور الماضي وكشفوا عن مؤلفات الفلاسفة والنحويين والزهاد المتقشفين واصحاب المذاهب السرية وعلماء الدين والفقه والكيمياء والفلك واوسعوها شرحاً وتفسيراً

كذلك اللغة العربية وفروعها وما فيها من اللهجات المختلفة فقد انبرى لها من فطاحل اللغويين من عرفوا بالصبر وطول الاناة فاتحفوها بالمعاجم الضافية ولم يتركوا دقيقة من دقائقها وخاصة من خصائصها حتى شرحوها في حين كان فيه سواهم من العلماء المنصرفين لتدوين اخبار الامم يجمعون بكل اهتمام اساطير الاولين وتقاليد وعقائد واخلاق تلك الشعوب التي كانت قوة تقاليدها الموروثة المدهشة منضمة الى قوة ايمانها الثابت في الدين تظهرها لنا حتى في هذه الايام بمظهر رقي ابتدائي وحالة اجتماعية يكتنفها الجمود وعدم التغيير والعزلة عن سائر الشعوب منذ قرون عديدة .

كذلك المؤرخون فقد غاصوا في اعماق الماضي وأخرجوا لنا حقائق الاخبار عن مراحل التمدن الاسلامي وعن عظمة العرب ثم تدهورهم منذ عهد ملوك غسان والحيره حتى العصور الحديثة ممثلين لنا حالة اختلاط القبائل وتعدد الهيئات المالكة وقوة الاسلام تقلب وجه العالم وتضم تلك الشعوب المختلفة المتعددة تحت لواء جامعة قوية ثابتة لا تلاشيها الايام

مما سبق ذكره تظهر لنا حضارة العرب مشفوعة بمدونات ومستندات عديدة واضحة جلية ومباحث اجمالية وتفصيلية تناولت جميع المسائل ومجدت بالذكر جميع الادوار .

ماخلا الموسيقى ! فلسوء الحظ لم يكن شأنها كذلك . والحقيقة التي لا شك فيها ان المباحث في هذه المادة كانت نادرة . والتحليلات لم تكن تامة والدرس كان بلا قاعدة والمكتشفات بسيطة قليلة الشأن ولسنا ندري سبباً لما هنالك من الصعوبة في ترجمة وتفسير المؤلفات القديمة بالرغم من ان في أوربا طائفة كبرى من العلماء المتبحرين في علم اللغة العربية ممن لا يصعب عليهم أبداً كشف أسرار تلك المخطوطات مهما كانت مبهمة.وانها لنتيجة توجب الاسف ان لا يسد هذا النقص بالرغم من كفاءة هؤلاء المستشرقين ومن المباحث الكبيرة التي قاموا بها .

فهل يمكن ان تكون حاجة الباحث الى الالمام بالموسيقى وقوانينها الخاصة وقواعدها تلك العوامل التي بها يتسنى استخراج خواص رسالة موسيقية عربية كالتي وضعها الفارابي أو صفي الدين . هل يمكن ان تكون تلك الحاجة قد صرفت اذهان علماء اللغة العربية من المستشرقين عن الاخذ بتلك المباحث واضعفت شغفهم بها ؟ اننا لا نعتقد ذلك : لان من كتبوا في قواعد الموسيقى العربية كانوا اما من طائفة المؤرخين أو من طائفة الرياضيين. والموسيقى نفسها كانت في مستو محدود ودائرة معينة (من حيث التاريخ والرياضيات) اذن فلا يتحتم على من يريد ان يقف على تاريخها ان يكون حائزاً لمعلومات موسيقية دقيقة واسعة

أم هل يجوز لنا ان نفترض ان ليس هناك أهمية أو فائدة في درس الموسيقى العربية ؟

اننا لا نشك فيما لفن صناعة التماثيل من الجمال الجذاب وما في تكاوين تلك التماثيل وتراكيبها من العبارات والمعاني البليغة . كذلك لا يوجد هنالك شيء يسترعي الذهن مثل فنون الزخارف الاسلامية التي انتشرت خلال الاجيال وازدهرت بما فيها من المبتكرات والخيالات العجيبة وما حوته من جلال الرقة . تلك المحاسن التي مثلت عقلية أمة تركت بين حضارات العالم اثراً دائم السطوع والنور وترجمت فكرتها بكل اخلاص

وليس اجلي من قوة ذلك العامل الذي دفع البحاثين الى المثابرة على وصف تلك التحف الفنية الجميلة وتلك المباني المدهشة التي اتيح بها متابعة الجنس العربي في جميع خطواته وفتوحاته وفي كل مكان ترك فيه اثراً من طابعه الراسخ

كذلك لا نشك في انه لا يوجد شيء اجدر بمجهودات المترجمين والشراح من ذلك الادب الشرقي الذي تسربت روحه الى الادب الغربي في العصور الوسطى . ومن تلك التآليف العلمية التي ايقظت الفكرة البشرية وساعدتها على اتساع المدارك ونمو المواهب وأعدت لها معدات الرقي

ولكن الموسيقي ! ألا تساوي هي ايضاً بناء أو اثراً أو اناءأو طنفسةأو قطعةمن القطع المزخرفة أو سلاحاً مرصعاً في التعبيرعن عاطفية عصر من العصور وعن نوع الشعور الخاص بجنس من الاجناس وعن شيء من خلاصة وحيوية روح شعب من الشعوب ؟

أليست الموسيقى في بدء نشأتها هي متمة تلك الروح العامة المشتركة في الشعوب . بل أليست هي الظاهرة الصادقة التي تعبر عن نفسية أمم شغفت بالزخرف واندفعت احياناً بحميا قوتها في تيار ملاهي الحياة في عصور مجدها واوجها ؟

ألم يكن هنالك فائدة خاصة وعامل من عوامل الترغيب في ان تعطى الموسيقى العربية ايضاً نصيبها من المستندات والمدونات التي تبرهن على مواهب الشعوب الاسلامية الفنية وعلى الصلة الممكن ان تكون بين الموسيقى وبين الفنون الاسلامية الاخرى وفي ان يستخرج من قوانينها ومن مراحلها المختلفة شاهد جديد يضاف الى ما هنالك من الشواهد على وحدة الفكرة الفنية في تلك العصور الذهبية؟

ان جميع هذه المسائل لم تحرك رغبة المؤلفين. وبما ان كفاءة المستشرقين من جهة. وعدم الاهتمام في المباحث الموسيقية العربية من جهة اخرى . كلاهما لا يكفيان لتفسير مسألة انصراف الاذهان عن تاريخ هذا الفن حتى اليوم . فيتحتم اذن ان نتساءل عما اذا لم يكن السبب الوحيد في هذا الحادث الغريب هو عدم كتابة الموسيقى بالعلامات الموسيقية

حقيقة . وسواء مؤلفات القدماء أو مؤلفات العصريين فجميعها قد خلت من الحان مدونة تفسرها: واكثر العوامل وضوحاً ودلالة واثباتاً في التحليل والبحث والمقابلة لا أثر له من الآثار في تلك الكتب

لا يوجد موسيقى عربية مدونة .

وهذا النقص يؤثر على عملنا اذ انه يجب علينا ان نعتمد في هذا العمل أما على بيان النظريات التي كثيراً ما تكون متناقضة ومن المحال حصرها بالصورة التي تحصر بها قواعد العلوم المنظمة . وأما

على روايات المؤرخين الثرثارين(١) . ولهذا السبب لا يصادف عملنا ذلك الاثر الكتابي وتلك الصيغة الموسيقية .الامرين اللذين كانا يكفيان لاظهار طريقة العمل بالقواعد العلمية ويزكيان مدائح المؤرخين ويعرضان لعيوننا الشواهد العدل والادلة القاطعة على الموسيقى العربية.

وتلك الحالة التي تشبه اللغز تجعل الموسيقى العربية مسألة معقدة غريبة في تاريخ الموسيقى .

لا يسع المفكر الا ان يوجه سؤالا : كيف ان مثل هذه الامة لم تستعمل نوعاً من انواع العلامات الموسيقية مع انها كانت من الامم الناهضة التي تجلت آثار حضارتها المتقدمة في الدائرة العلمية والدائرة الفنية على مدى اجيال مملوءة بالمفاخر والآثار الخالدة ونشرت المعارف القديمة في العصور الوسطى وكانت اعمالها وتعاليمها في مدة خمسمئة سنة تملأ معاهد العلم في الشرق وتنبت كبار الرؤوس

بل كيف ان العرب الذين كانوا كلهم التفات للشعر ولتدوين أقل القصائد أهمية وسرد اعمال رواتهم وشعرائهم . لم يبحثوا في أمر تدوين صيغة موسيقاهم وألحانهم واغانيهم الحماسية أو على الاقل اناشيدهم الدينية بأي اصطلاح كتابي كان ؟

---

(١) الحقيقة التى لا شك فيها هي عدم كفاءة جميع المستشرقين السابقين الذين بحثوا في الموسيقى العربية أو الشرقية بوجه عام . وسواء فيتيس Fétis أوغيفارت Gevaert أو دانيال Daniel أو دوقودراي Ducoudray أو كيزويتر Kiesewetter أو كوزغارتن Kosegarten وسواهم من العلماء المستشرقين فجميعهم ملأوا مؤلفاتهم الضخمة المزركشة بالاغلاط المدهشة . وقد جاء اليوم المسيو جول روانيت كاتب هذا التاريخ يزيد عدد هذه الطائفة الكبيرة . ولا يجد له متجهاً الا ذلك الذي ينحى به باللوم على اساتذة العرب ورجال الفن الا كفاء منهم بدلا من ان يبحث عن الحقيقة الواضحة في تلك الكتب التي لم يستطع لا هو ولا من سبقوه ان يفهموا الغرض منها . ان عدم امكانهم تفسير ماورد في هذه المؤلفات وعدم ادراك الغرض منها ليس دليلا على ثرثرة هؤلاء العلماء كما يزعم حضرة المؤلف في بعض المواضع ولا برهانا على ان كل ماجاء في تلك المؤلفات من نوع المعميات والالغاز بل هي برهان على عدم الكفاءة في البحث . مع ان القواعد الموسيقية التي كانت في عرف أولئك المستشرقين الافاضل الغازاً وعقداً شرحت بكل وضوح ودقة كما اعترف الاستاذ روانيت بنفسه في جملة مواضع من نبذته وسنرى انه قد تناول ترجمتها وشرحها وتفسيرها والتعليق عليها بمقدار من الاسهاب والدقة يفوق ذلك المقدار الذي لم يرضه عند أولئك المؤلفين وكان سبباً في ان ينعتهم بصفة الثرثارين .

كذلك لست أدري ماذا يقصد بقوله : مؤلفات العصريين ؟ ... فاذا كان حقيقة يقصد الموسيقى في هذا العصر فالذنب ذنبه .اذ كان يجب عليه ان يزور الشرق العربي على الاقل كما فعل كثير سواه من المستشرقين (ولا يكتفي بزيارة تونس والجزائر) ويجري المباحث العملية والعلمية التي يتاح له بها ان يقف على ما يغنيه عن تلك المستندات التي اتعبه طلبها والبحث عنها .هذا لو فرضنا ان الحالة لا تزال كما كانت قديماً ولم يكن لدينا ألحان ومعزوفات مدونة بالنوته. اما ونحن نستعمل النوته منذ ثلاثين سنة ويزيد فلا عذر له فيما يقول الا اذا كان قد كتب ما كتب قبل هذا العهد .ولا اظن ذلك....(المعرب)

وهذا النقص الذي يؤسف له يزيد ايضا في دهشتنا . لا سيما عند ما تقف على مضمون المؤلفات العلمية الهامة التي لا تحصى .

فذلك هو (كتاب الموسيقى للفارابي)(١) من ضمن هذه الكتب. نجد فيه الديوان الموسيقي (L'Octave) يشرح ويقسم الى سبع عشرة مسافة (أو بعداً كما كانوا يقولون) ونجد ايضاً خمسة انواع مختلفة المقادير للبعد ذي الاربع (المسافة الرباعية أي المسافة المحصورة بين حدي اربعة اصوات متتالية من السلم الموسيقي) . ونجد ايضاً ما يميز ما بين النغمات (أو المقامات) وبعضها بعضاً طبقاً لطبقاتها أي طبقاً للبعد ذي الاربع الاسفل والبعد ذي الخمس الأعلى (٢) (tétracorde inférieur et pentacorde supérieur) . ونجد ايضاً قاعدة الدوران العجيبة (٣) التي يخرج منها ١٤٢٨ تركيب صوتي (نغمي) بنقل الاربع والثمانين نغمة على السبعة عشر صوتاً التي يتركب منها الديوان الموسيقي العربي (٤) كذلك قد اطلع اساتذة العرب على ما كتبه اليونان امثال ارستطاليس وافلاطون وارستوكسين وسواهم في الموسيقى اليونانية وترجموه وشرحوه وسنرى هنا مقدار الدقة التي قسم بها الفارابي مسافات (الدساتين) الحواجز التي توضع على صفحة (ملمس) عنق العود والطنبور البغدادي والطنبور الخراساني وكيف شرح طريقة العزف على تلك الآلات بتعيين مواضع الاصابع (العفق) في نقط من الوتر تساوي من طول الوتر : $\frac{3}{4}$ و $\frac{8}{9}$ و $\frac{64}{81}$ و $\frac{32}{64}$ الخ (٥)

---

(١) هو كتاب خطي لابي النصر محمد بن محمد الفارابي تاريخه سنة ٤٨٢ هجريه ـ سنة ١٠٨٩ مسيحية نقلت عنه نسخة في سنة ٩٣٣ هجرية ـ ١٥٢٦ مسيحية وهي الآن محفوظة في مكتبة ليد Leyde وقد مات الفارابي الذي كانت تسميه العرب (بارستطاليسهم) سنة ٣٣٩ هجريه ـ سنة ٩٥١ مسيحية .

(٢) يريد المؤلف ان يقول تركيب القسم الاساسي (الجذع) من ديوان النغمة وهو الاربعة الاصوات التي أولها الاساس أو المستقر وآخرها الصوت الرابع وتركيب القسم الفرعي (الفرع) من ديوان تلك النغمة وهو الخمسة الاصوات التي تبدأ من الصوت الرابع وتنتهي في الجواب ولا اظن ان هناك علاقة بين ما يسمى طبقات وبين هذه التراكيب . . . . (المعرب)

(٣) يريد المؤلف ان يقول قاعدة تصوير النغمات . (المعرب)

(٤) يتضح لنا من هذا القول ان صاحب النبذة يعيب هذه الطريقة في تصوير النغمات مع ان في بلاده الافرنجية لا يستعملون سواها لايجاد خمس عشرة حالة أو مستقر لكل من نغمتي الماجور والمينور فيدعون ان لديهم ثلاثين نغمة والواقع ان ليس لديهم سوى نغمتين بلا زيادة ولا نقصان . على ان الفارابي لم يكن يقصد بوضع طريقة التصوير الا شرح القاعدة لتطبيقها عند الحاجة أو عند الدرس . الامر الذي ينمو بالفكرة الفنية ويزيد في قوة الادراك الموسيقي . أما في بلاد الافرنج فهم لا يملكون سوى نغمتين ينتقلون بهما على الثلاثة العشر صوتاً (نصف صوت) التي يتركب منها الديوان الموسيقي فتخرج لهم ثلاثين نغمة وهمية منها خمس عشرة من نوع الماجور وخمس عشرة من نوع المينور لا فرق بين نغمات كل نوع الا في اختلاف الطبقة . ويظنون انهم بذلك الانتقال يحصلون على نغمات جديدة

(٥) في النسبة الاولى : $\frac{3}{4}$ اورد المؤلف مقدار المحبوس من طول الوتر أي ما يساوي ثلث الوتر

ومن مقتضى البيان المذكور فيما يلي عن المؤلفات الموسيقية يتضح ان ما كتب في اللغة العربية عن الموسيقى ابتداء من القرن التاسع كان شيئاً كثيراً وان جميع المسائل مهما كانت دقيقة قد درست بامعان كلي وصبر طويل. فاحصاء الاغاني التي صنعها كبار الموسيقيين. والتأليف . وترتيب الاصوات. واتحاد الموسيقى والشعر . وعلم النسب والابعاد (المسافات) وعلم التنغيم .وتركيب الاصوات والاوزان. وبكلمة واحدة جميع المواد الموسيقية اشبعها الشراح والكتاب (١) شرحاً مدى الاجيال ولكن في كل هذه العملية الضخمة . وفي كل هذه المدونات والمؤلفات الكثيرة التي لم تنقطع منذ الجيل الثامن حتى هذه الايام (٢) لا يوجد اثر لطريقة موسيقية كتابية . والنصوص الكتابية غير مشفوعة بنصوص موسيقية (٣)

.وهذا حسن ولكنه في الثلاث النسب التالية اورد مقدار المطلق من الوتر . فما معنى هذا التناقض . أما وقد بدأ فى النسبة الاولى بذكر نسبة الجزء المحبوس فكان الاصوب ان يفعل ذلك في النسب الثلاث الاخري فيقول ٢/٩ و١/٦ و١٧/٨١ و١٢/٤٥ أو بالعكس بذكر المقادير المطلقة من الوتر فيقول : ٦/٩ بدلا من ٢/٩ و٥/٦ الخ (المعرب)

(١) استعمل المؤلف في الاصل الفرنسي كلمة : discoureurs ليعبر بها عن الشراح والكتاب وهذه الكلمة معناها كثيرو الكلام (مكثارون ثرثارون) فكانه يريد ان يحط من شأنهم ونحن لا نسمح له بذلك ونخالفة كل المخالفة لما لهؤلاء الشراح من الفضل والمكانة . كثيراً ما كرر لنا حضرته في ديباجته الاستهلالية كلاماً كثيراً لا اختلاف الا في صيغة منطقة . وكم مرة قال لنا كلاماً كثيراً معناه ان العرب لم يستعملوا اصطلاحاً لتدين الموسيقى وكرره ثم كرره ثم كرره فلماذا اباح لنفسه الاكثار.. واستنكر ماظنه تكراراً عند هؤلاء الادباء الذين لم يكرروا قولا وما كتبوا الا ما كان لا بد لهم من شرحه من الدقائق الفنية التي ابهمت على المعيته كما لبهمت على ألمعية من سبقه من علماء الافرنج المستشرقين الذين آبوا جميعهم من مباحثهم في كتب العرب بالخيبة والفشل ولم ينقلوا لاقوامهم الا الخطأ والاغلاط وما نجحوا الا بنشر كتب، مطرزة الحواشي مصقولة الاوراق فاخرة الغلائف . (المعرب)

(٢) هذا قول مخالف للحقيقة . والذي لا شك فيه هو ان بين الجيل الثامن والعصر الحاضر فترات كثيرة طويلة خلت من المؤلفين والمؤلفات

(٣) لقد عثر حضرة البارون رودولف ديرلانغيه (Le Baron Rodolphe d'Erlanger) المستشرق البحاثة المقيم اليوم في بلدة : (سيدي بوسعيد) من بلاد تونس . على كتب عربية قديمة حوت مدونات موسيقية كثيرة وقفمنها على قواعد الكتابة بالعلامات الموسيقية التي كانت تستعملها العرب قديماً فدرسها وتعلمها وكتب بها كثيراً من الاغاني التونسية والموشحات العربية . وقد ارسل الينا حضرته موشحة من تلك الموشحات معروفة في تونس من نغمة الاوج عراق ومن ضرب الخفيف هي :

يا رفاقي اذا مررتم بنجد * وتزلتم ربوعها والخياما الخ

مدونة بعلامات العرب القديمة مصحوبة بخطاب لنا من حضرة البارون يقول فيه ان الطريقة العربية (فيما يلي نماذج من (نوتة) العرب القديمة بتفسيرها)

وانه لحادث غريب من شأنه ان يجعلنا نقف موقف الدهشة حيال طائفة كبيرة من العلماء والموسيقيين الذين شغفوا بفنهم الى الحد الاقصى وذهبوا في تمجيد اهل الفن عندهم ابعد المذاهب . لا سيما وان العرب قد وجدوا عند جيرانهم وفي البلدان التي فتحوها . كثيراً

اصلح بكثير من الطريقة الافرنجية العصرية وهي تمتاز عليها باظهار نقرات الميزان ومفاصلة ومواقع الازمنة القوية والضعيفة منه (أي التم والتك) وقد اطلعنا على تلك الموشحة وقابلناها بصورة مدونة بالعلامات الافرنجية فوجدناها لا تقل عنها دقة واحكاماً في تدوين الموسيقى بل ربما فاقتها من حيث وضوح الميزان الموسيقى فيها

وهذه بضعة من الموشحة ترجمناها بالالفاظ الفارسية المتداولة لزيادة الايضاح :

القول : يا ر فا في

العلامات العربية : يح يه يج يه يه يج يا

الازمنة : |. . . . .|

نقرات الميزان : تم تك تك تك تك تك

ترجمة : [illegible] نوا [illegible] نوا نوا [illegible] [illegible]

القول : يا ر فا في يا ر فا في

العلامات العربية : يح يه يج يه يج يا يج يا ح يا ح و

الازمنة : |. . . . .|

نقرات الميزان : تم تك تك تك تك

ترجمة : [illegible] نوا [illegible] نوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وضعنا هذه الترجمة باعتبار وترالبم عند العرب مساوياً لوتر العشيران عندنا . والمثلث دوكاه والمثني نوا فيكون النيم زيركوله مستقر النغمة وعلى ذلك يكون النيم بوسلك مستقراً لنغمة الأبيات الواردة على الدرجة الثالثة من سلم نغمة اوج العراق العربية . تلك كانت طريقة العرب في توقيع هذه النغمة على المزهر (العود) وهي لا تختلف عن نغمة اوج العراق المعروفة لدينا اليوم الا من حيث المستقر فقط اما التركيب والسلم النغمي فواحد في الاثنتين . وما علينا الا ان ننقل المستقر الى درجة العراق محافظين على نسب درجات السلم النغمي كي نتحقق من تمام الانطباق .

أما النقط الواردة في نهر الازمنة فكل نقطة منها تعادل دوبل كروش في (نوتة) الافرنج فتعادل كل اربعة نقط (نوار)

فلو ان المسيو جول رووانيت (Monsieur Jules Rouanet) ذهب في بحثه الى ابعد مماذهب

من الطرائق الكتابية الموسيقيـة التي كان في مستطاعهم استعمالها أو التي كان يجب طبعاً ان توجـد عندهم فكرة اقتباس أو استنباط طريقة جديدة خاصة بهم .

اليه لتسنى له ان يهتدي الى تلك الطريقة التي تبرهن له على ان العرب كانوا يستعملون العلامات الموسيقية ويدونون موسيقاهم . ولـكن الفترة الزمنية الطويلة التي خمدت فيها الحركة الفنية في بلاد العرب على اثر تدهور الدول العربية هي التي ذهبت باكثر الآثار والمستندات المتعلقة بالمدونات الموسيقية العربية.

بلغت الموسيقى في عهد الخلفاء العباسيين منزلة باهرة وشأناً رفيعاً ولا عجب . فمجد الفنون بمجد الدول . دالت دولة الخلفاء ودالت معها دولة الفن . وبعد ان كانت الموسيقى مهنة الادباء وكرام القوم والمتعلمين امثال الموصلي ومبعد وابن محرز وابن سريج وامثالهم اصبحت بين ايدى الجهلة والرعاع وشراذم المتسولين . وقوم من هذه الطبقات لا يُطالبون بواجب ولا يُسألون عن مستندات الفن ولا عن علومه وقواعده ومدوناته . لقد ورثوا تحف الفن في عصره الذهبي . ولـكن التحف الفنية في عصر العلم والمجد تكون من بائرات الاشياء والسلع في عصر الجهل والانحطاط . وهذا على ما نظن هو السبب في اندثار المعالم الفنية الكتابية . يضـاف الى ذلك الحوادث والانقلابات والنكبات المتعددة التى اجتازها العرب خلال الاجيال فاذا رأينا اليوم ان بعض تلك المؤلفات والمخطوطات التي على كل حال تضمنت جميعها الكفاية من المباحث والشروحات الفنية بالرغم من قلتها قد وصلت اليوم الى أيدينا سليمة مجتازة تلك الاجيال المملوءة بالاهوال وجب ان نعتبر ذلك من حسن الحظ .

وهب ان الحظ لم يسعد صاحب النبذة بالعثور على تلك الـكتب التي عثر عليها البارون دير لانغيه فهل يا ترى استمر به سوء الحظ فلم يطلع على الـكتب الآتية : —

(١) كتاب الادوار في علم الموسيقى . لصفي الدين الارموي . وهو كتاب خطي محفوظ في مكتبة (نور عثمانية) في الاستانة تحت رقم ٣٦٥٣ . كتب سنة ٦٣٣ هجرية . وقد نقلت عنه صورة (بالفوتوغرافية) محفوظة بدار الـكتب المصرية تحت رقم ٣٤٩ (فنون جميلة)

(٢) الشرفية . وهي ايضاً كتاب خطي قديم محفوظ بمكتبة الاستانة السابقة الذكر . وفي مصر نسخة منه محفوظة بدار كتبها لا نذكر رقمها .

(٣) كتاب الادوار في حل الاوتار . منسوب للـكامل بن سبعين . محفوظ في دار الـكتب المصرية. وهو نسخة خطية كتبت سنة ١٣٠٨ نقلا عن نسخة اصلية بخط عبد الله الشهروردي كتبت سنة ٧٢٧ هجرية . حيث يوجد في آخر هذا الـكتاب بضعة من أدوار العرب القديمة مدونة بالعلامات الموسيقية العربية التى انـكرها عليهم حضرة كاتب الانسكلوبيديا وهذا دور منها كما ورد في الـكتاب المذكور .

طريقة فى نوروز

(ضرب الرمل)

(الصوت)

على صبكم يا حاكمين ترفقوا * ومن وصلكم يوماً عليه تصدقوا
ولا تتلفوه بالصـدود فانه * يحاذر ان يشكو اليكم ويشفق

لم يكن في الامكان ان يجهل العرب طريقة الفرس وشعوب اليمن المختلفة في كتابة الموسيقى تلك الطريقة المقتبسة من طريقة اليونان . كذلك هم لاشك عرفوا طريقة الهنود والطريقة التي يستعملها الصينيون منذ ٢٧٠٠ سنة قبل المسيح .

وهذا هو الصوت بعلاماته الموسيقية : —

على صبكم	يا حا	كين	تر	ف	قوا	ومن وصلكم	يوماً	عليه	تص	د	قوا
يه	يب	ي	يب	ي	ح	يه	يب	ي	يب	ي	ح
١٨	٦	٦	٦	٢	١٢	١٨	٦	٦	٦	٢	١٢
نوا	جهاركاه	سيكاه	جهاركاه	سيكاه	دوكاه	نوا	جهاركاه	سيكاه	جهاركاه	سيكاه	دوكاه الخ

لقد ترجمنا هذه العلامات بالاسماء الفارسية الموسيقية لتنوير اذهان القراء الكرام ولا يسمح المجال هنا باكثر من ذلك وسننتهز فرصة عسى ان تكون قريبة لشرح علم العلامات الموسيقة العربية القديمة في المجلة

وهذا دور آخر : —

طريقة فى كواشت

(ضرب الرمل)

(الصوت)

على الهجر لا والله ما أنا صابر * وغيري على فقد الاحبة قادر
كتمت هوا كم خيفة من عواذلي * ولي ولكم عند اللقاء سرائر

وهذا هو بعض الصوت بعلاماته الموسيقية :

على الهجر	لا	واللا	ه	ما	ا	نا	صا	ب	ر	وغيري	على	فقد	الا	ا	ح	ب	ت	قا	د	ر
ح	يح	يب	ي	ح	و	ح	ه ح	يب	ح	ح	و	يح ح	يب	ي	ي	ء ح	و	ح يب	ي	ح
١٢	٢	٢	٢	٢	٢	٤	٢ ٢	٢	١٢	٢	٤	٦ ٦	٢	٢	٢	٢ ٤	٢	٢ ٤	٢	١٢

(٤) (الفتحية) في فن الموسيقى . نسخة خطية ايضاً بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ (نسب هذا الكتاب للفارابي خطأً)

(٥) (كتاب الانعام في معرفة الانغام) . بدار الكتب المصرية رقم ٣٤٠

(٦) كتاب (مختصر في علم الموسيقى) لمحمد الجويني . وهو نسخة خطية محفوظة في مكتبة (نور عثمانية) . نقلت عنها صورة بالفوتوغرافيه محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٨

وهم الذين كانوا يترجمون ويشرحون كتب القواعد الموسيقية عند اليونان انهم لاشك قد عثروا اثناء اشتغالهم بالطريقة التي شرحها اليبيوس (Alypius) في كتابه المسمى (   ) (١) واطلعوا على طريقة فيثاغورس وعلى الطرائق الاخرى التي كانت مستعملة من عهد افلاطون سواء في تدوين الغناء أو المعزوفات

---

(٧) كتاب (المدخل الى صناعة الموسيقى) لابي النصر الفارابي في مكتبة (نور عثمانية) تحت رقم ٩٥٣ . نقلت عنه نسخة بالفوتوغرافية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥١

ألم يطلع حضرته على هذه الطائفة الكبيرة من الكتب أو على امثالها ؟

ان في النبذة التى كتبها في تاريخ الموسيقى العربية ما يدل على انه اطلع على مخطوطات ومؤلفات حوت كثيراً مما حوته تلك المؤلفات المذكورة هنا . واكثر تلك الكتب حوت الاصطلاح العربي القديم لتدوين الموسيقى . والدليل على ذلك ان النغمات العربية جميعها مشروحة في اكثر هذه الكتب بالعلامات الموسيقية العربية . وقد رسمت صفحة عنق العود في بعضها باقسامها ومراكز دساتينها . وشرحت المسافات والابعاد والنسب بكل دقة وكتبت العلامات الموسيقية كل علامة في مركز الصوت الخاص بها على ملمس العود (عنق العود) أفلا يبرهن كل ذلك على ان العرب كانوا يستعملون في عصر مجدهم الفنى طريقة لتدوين الموسيقى . وهل ما شرحه حضرته في الصحائف . ٢٧١٦ و٢٧٣٣ و٢٧٣٤ و٢٧٣٦ و٢٧٣٩ مما نقله بالحرف الواحد عن بعض تلك الكتب لا يكفي برهاناً على ان العرب كانوا يستعملون اصطلاحاً موسيقياً ؟ وتلك الطريقة العربية التى يستعملها اليوم البارون دير لانغيه واساسها الحروف الابجدية التي إستعملها العرب الا تكفيه دليلا على ذلك بل ألا يكفيه دليل بين الادلة تلك المعزوفات الموسيقية من تأليف الفارابي دونها الترك بالعلامات الموسيقية الافرنجية العصرية فهي لا شك نقلا عن نسخ اصلية كتبت قديماً بالاصطلاح العربي الذي كان مستعملا في عهد الفارابي نفسه ؟ واذا كانت حوادث السوء قد اتلفت جل تلك التحف الموسيقية القديمة وحرمتنا منها أفلا يكفي القليل الباقي لاقناع المسيو روانيت على ان ما يقوله في مواضع كثيرة من نبذته ليس فيه من الحقيقة شيء طالما ان هذا القليل قد حوى على اجلى الآثار واوضحها ؟ ؟ ؟

نعم ان كتب العرب الفنية لم تكن مشفوعة بنصوص موسيقية كما يقول الكاتب ولكن لو لم يكن حضرته متحاملا على الفن العربي بل لو كان منزهاً عن الغرض كما يجب ان يكون كل من ينتدب للكتابة في مثل دوائر المعارف التي لا قيمة لها الا بالحقائق . لفطن الى الغاية من تلك الكتب وادرك ان غرض مؤلفيها منهـا انما كان ان يجعلوها كتباً للقواعد لا مجموعات الحان ومعزوفات . وهي من هذا النحو . لا فرق بينها وبين كتب القواعد عند الغربيين في هـذا العصر . بل لكانت تفوقها دقة واتقاناً لو لم يندثر الفن العربي القديم ويحل محله فن عربي حديث أخذت قواعده وفنياته وعلمياته من منتجعات مختلفة . فتلك الكتب المعروفة باسم ميتود (méthodes) لاشيء فيها من انواع الاغاني والالحان وكل ماحوته كمية وافرة من تمرينات مختلفة . وكذلك كتب العرب القديمة فلا يكاد يخلو واحد منها من امثال تلك التمرينات مدونة بالعلامات العربية القديمة . فماذا تراه يريد المسيو روانيت اذن ؟ ؟

(١) كتب المؤلف اسم هذا الكتاب باللغة اليونانية فقط وقد كان الاجدر به ان يكتبه بلغته الفرنسية ايضاً

ولا شك قد اطلعوا أيضاً على كتاب بويس (Boèce) « الروماني » المسمى تعليم الموسيقى — الكتاب الخامس . (De Institutione Musicae libri quinque) وعلى الفصل الذي كتبه في هذا الكتاب عن « تسمية العلامات الموسيقية بأسماء الحروف الهجائية اليونانية واللاتينية »

وهب ان كل ما صنعه قدماء اليونان واللاتين في سبيل الحصول على طريقة عملية لتدوين الموسيقى لم ينبه أذهانهم ورغباتهم ألم يحتكوا ويختلطوا بمسيحي الاندلس مدة أجيال عديدة اولئك الذين كانوا يستعملون علامات خاصة قبل ان يستعملوا الطريقة التي جاءتهم من فرنسا (La notation d'Aquitaine)

وهل يمكن ان نعتقد انهم لم يقفوا ايضاً على قواعد العلامات الموسيقية التي كان يستعملها رجال الدين في الدولة البيزنطية لتراتيلهم الدينية وعلى قواعد العلامات التي استنبطها (الحبر اليوناني) حنا الدمشقي (Jean Damascène) في القرن الثامن . وعلى تلك التي كانت مستعملة في كنائس الارمن ؟ وهل يحتمل انهم كانوا يجهلون الانقلاب الفني الكبير الذي احدثه غيدو دارتزو (١) Guido d'Arezzo وجان دي جارلاند (Jean de Garlande) وولتر اودنغتون (Walter Odington) ومركتو دي بادو (Marchette de Padoue) وفيليب ويتري (Philippe Vitry) اولئك المصلحون الكبار الذين بشروا بتلك العلامات الموسيقية التي نعرفها في العصر الحاضر وغرسوا بذورها الاولى ؟ .

وهل يمكن فوق ذلك ان نعتقد بأنهم كانوا يجهلون ايضاً ولا سيما في القرن السادس عشر ماصنعه ديمتريوس دي قنتيمير (Démétrius de Cantémir) امير مولدافيا . هذا الذي طبق القواعد الهندية القديمة على الحروف العربية فاستعملها كعلامات موسيقية تداولها الاتراك في حين كان العرب في اليمن والحجاز وما بين النهرين ومصر والغرب غير آبهين لذلك الاصلاح (٢)

---

(١) هو راهب ايطالي رتب السلم الموسيقي الغربي . ولد سنة ٩٩٥ ومات في سنة ١٠٥٠ مسيحية. (المعرب)

(٢) لم يأت ديمتريوس دي قنتمير بشيء من عنده ولم يخترع للاتراك اختراعاً جديداً ولم يطبق على الحروف العربية اية طريقة هندية كما يزعم المسيو روانيت . فالحروف الابجدية التي استعملها كعلامات موسيقية قلد بها الحروف الابجدية التي استعملها العرب قروناً من قبله بلا فرق غير اختلاف في اشكالها لا يؤثر في جوهر الطريقة ويظهر ان الاستاذ روانيت اخطأ خطأ العلامة فيلوتو (M. Villoteau) في القسم الخاص بالموسيقي في كتاب وصف مصر حيث قال في الجزء الرابع عشر صحيفة ٣٩ :
« لم يكن يعرف الشرقيون منذ مئتي سنة علامات موسيقية لتدوين موسيقاهم والموسيقى العربية . والذي ابتكر العلامات المستعملة اليوم في بعض الاقطار الشرقية وفي تركيا بنوع خاص منذ مئة سنة ونيف هو ديمتريوس دي قنتيمير . وان ما يؤكده مينسكي (Mininski) وكثيرون سواه من الكتاب من ان العرب استعملوا تلك العلامات لهو بلا أساس ولا حقيقة له على الاطلاق . والعرب لم يستعملوا من ذلك شيئاً . ولقد أكد لنا أكثر رجال العرب علماً انهم لم يسمعوا ابداً بوجود تلك

وأخيراً ألم يطلعهم الاسرائيليون من حولهم بل المشتركون وإياهم بالحياة الاجتماعية والفنية على علاماتهم الصوتية المستعملة عندهم منذ القرن الخامس للمسيح على الاقل بعد التصحيح النهائي للتلمود ؟

نعم لقد رأى العرب جميع هذه الاصلاحات والانقلابات ولكنهم بالرغم من تلك الامثلة العديدة والتعاليم الكثيرة لم يظهر انهم فكروا يوماً من الايام في استعمال طريقة من الطرق لتدوين موسيقاهم وتوارثها . (١)

العلامات ولم يعرفوها على الاطلاق . وهي الحقيقة . اذ ان العرب لم يذكروا لنا شيئاً من ذلك في مؤلفاتهم الموسيقية في اي زمن من الازمان »

هذا ما قاله العلامة المستشرق فيلوتو . وهذا مارعا نقله عنه كما ترجم الاستاذ روانيت . وسواء الاول او الثاني فكلاهما على غير حق . كلاهما ينكر على العرب حقهم . كلاهما لم ينصف التاريخ ولم يدقق في البحث ولم يرع حق الامانة في استقراء الاخبار . كلاهما خل بواجب المؤلف ومهر الادب والتاريخ بأخبار ومزاعم لاصحة لها على الاطلاق .

ديمتريوس دي قنتمير هو من سلالة عائلة تترية نبيلة كريمة . ولد سنة ١٦٧٣ وكان ابوه حاكما على مراكز مولدافيا الثلاثة . ارسل الاب ابنه ديمتريوس الى الاستانة بغية تعليمه فأقام الابن هناك عشرين سنة تقريباً . حيث انصرف خلالها الى درس اللغة التركية والموسيقى فنجح ومهر بهما في زمن قريب . فالعلامة فيلوتو يزعم ان ديمتريوس اخرج اختراعه الفني خلال هذه المدة . ونحن لا ندري من أين جاء لنا وللتاريخ بهذا الخبر الذي لا يتفق مع الحقيقة بوجه من الوجوه . على اننا اذا امكن لنا ان نلتمس عذراً للعلامة فيلوتو ومهمته كانت محدودة في تأريخ ما يتعلق بالموسيقى في مصر فقط فلسنا ندري كيف نستطيع ان نلتمس عذراً للاستاذ روانيت ومهمته كتابة الانسكلوبيديا وقاموس معهد باريس الموسيقي وواجبه ان يتحرى الحقائق ويتناول الاخبار من اوثق مصادرها .

كيف يستطيع حضرة الاستاذ ان يؤكد لنا ما هو يزعم انه من ابتكار ديمتريوس وما هذا الابتكار سوى تقليد ما ورد في مؤلفات العرب الموسيقية قبل ديمتريوس دي قنتمير بمئات من السنين ؟

والذي يوجب دهشتنا بالاكثر ان الكتب والمؤلفات العربية القديمة التي اعتمد عليها الاستاذ روانيت في تحرير القسم الذي عهد اليه فيه من دائرة المعارف الموسيقية والتي ذكرها في مكان من مبحثه سيأتي دوره في الشرح حوى اكثرها مثل تلك العلامات الموسيقية الممثلة بالحروف الابجدية التي ينسب اختراعها الاول خطأ الى ديمتريوس . وجميع هؤلاء المؤلفين سابقين لديمتريوس دي قنتمير . فلماهذه المراوغة ؟ لسنا ندري (المعرب)

(١) كلما كرر الاستاذ روانيت موشحته التي معناها ان العرب لم يعرفوا ولم يستعملوا علامات موسيقية كلما اضطررنا الى ان نكرر نحن ايضاً قولنا انه كان للعرب علامات موسيقية وأن نبرهن على ما نقول بالادلة والبينات . وفي هذه المرة نأخذ هذه الادلة وتلك البينات مما اورده الاستاذ روانيت بيراعه الخاص . ففي الصحيفة ٢٦٨٠ من دائرة المعارف الموسيقية في تلك الصحيفة التي اختصها الاستاذ باسماء مؤلفي الفرس والعرب والترك الذين كتبوا في الموسيقى منذ القرن الثاني للهجرة حتى القرن الثاني

يقول بعضهم في تفسير هذا الحادث العجيب ان بني سام في مصر وبين النهرين كانوا قديماً يعتبرون الموسيقى فناً من الفنون المنحطة التي أبت الشيع والطوائف الشريفة استعمالها . وان مهنة الموسيقى

عشر منها ذكر حضرته بين اسماء المؤلفين الذين عاشوا في القرن السابع للهجرة اسم صفي الدين عبد المؤمن البغدادي وذكر مؤلفاته الموسيقية وهي : الشرفية وكتاب الادوار وكتاب النسب الموسيقية فنقول :

لقد ورد في نهاية الشرفية قطعة تمرينية موسيقية مدونة بالعلامات الموسيقية العربية فهل لم يطلع عليها الاستاذ روانيت ؟ واذا كان قد اطلع عليها فلماذا أنكرها ولم يذكر عنها حرفاً واحداً في بحثه الانسكلوبيدي ؟

كذلك ذكر حضرته للقرن التاسع للهجرة اسم عبد القادر بن غيبي (وقوله غيني خطأصحته غيبي) وذكر مؤلفاته الموسيقية الثلاثة: مقاصد الالحان وجامع الالحان وكنز الالحان. على انه ذكرها محرفة فكتب مقاصد الالحام وجامع الالحام وكنز الالحام هكذا : Mekacid el elham, Djami el elham, Kinz al elham وقد يظن القاريء الذي لا يعرف هذه الكتب انه يريد مقاصد الالهام وجامع الالهام وكنز الالهام .

ففي الكتاب الاول المسمى مقاصد الالحان وردت الابيات الآتية مدونة بالعلامات الموسيقية العربية :

قد لسعت حية الهوى كبدي * فلا طبيب لها ولا راقي
الا الحبيب الذي شغفت به * فعنـــده رقيتي وترياقي

وفي الكتاب الثالث المسمى كنز الالحان جمع عبد القادر جميع الحانه مدونة بالعلامات الموسيقية . اما اللحن الوارد في الكتاب الاول فقد طواه حضرة الاستاذ روانيت تحت جناح الصمت فكانه لم يره .

اما الكتاب الثالث فالاستاذ يذكره ويعهره بقوله ان معاصري عبد القادر يدعون انه يشتمل على الحان مدونة بالعلامات الموسيقية .

فهل يسمح لنا الاستاذ روانيت ان نسأله عن الغاية من هذا القول الذي يقصد به النفي ؟ وهل هو قول مبني على حسن النية أم على سوء القصد ؟ ثم لماذا هو لا يريد ان يصدق قول معاصري عبدالقادر ولماذا تراه يظنهم يدعون؟ هل لان الكتاب المذكور مفقود أباح لنفسه ان ينكر على العرب استعمال العلامات الموسيقية واستسهل ان يزعم ان معاصري عبد القادر يزعمون ويدعون ؟

ان في حوزتنا كتب خطية قديمة سلمها لنا الآباء والاجداد لايملكها سوانا ولا أثر لها في مكان آخر. كما ان لدى الاستاذ رؤوف يكتا بك كثير من المخطوطات القديمة التي ابتاعها بكل غال ونفيس لا يوجد منها نسخة أخرى غير التي في حوزته .أفلا يجوز ان يكون ذلك الكتاب المسمى كنز الالحان في حوزة بعض الناس ممن لا يهمهم امر الموسيقى ولا يهمهم شأن اظهار الكتاب . أفلا يجوز ان يعثر العلماء والباحثون يوماً من الايام على هذا الكتاب كما هم يعثرون في كل يوم على التحف القديمة والآثار ؟ ثم اذا صح ان الكتاب المذكور أصبح في عالم العدم فما هي مصلحة معاصري مؤلف الكتاب في ما يدعون

كانت متروكة للمتسولين والعيّاذ والعبيد . واما تلك كانت عقيدتها لم تكن لتأبه مقداراً لوضع قواعد وابتكار طرائق كتابية بغية الاحتفاظ بالموسيقى وعلى كل حال فسنظهر فيما بعد ان الموسيقى ولو انها كانت من الاشياء المنبوذة الملقى بها الى أيدي طائفة وضيعة من الرجال والنساء فقد بلغت في عصور الخلفاء شأواً بعيداً وقدراً عظيماً وعزاً باهراً . والمرتبة العالية التي بلغتها الموسيقى في الحياة الاجتماعية عند العرب والاهمية التي بلغتها في التربية والتعلم والتكريم والاحترام الموجه علناً الى المغنين والعزافين والدقة البعيدة التي درس الادباء بها قوانين الموسيقى وعلومها في كتبهم لا تترك مجالا لهذا الاعتبار في التاريخ

وهناك فريق يظن ان العرب أرادوا بذلك (أي بتجنبهم تدوين الموسيقى) ان يحفظوا موسيقاهم من ان تدنسها مداولة الكفرة لها . وقد تكون هذه النظرية معقولة فيما يتعلق بالاناشيد الدينية . فطائفة المولويه عند الاتراك كانت لا تبيح لاحد من الناس تدوين موسيقاها بغية ان تحفظها من الابتذال والاستهجان وتطلع الاجنبي . والمنشدون في مساجد الغرب كانوا دواماً يمتنعون عن ان يغنوا أمامنا الدعوة الى الصلاة أو الالحان الخاصة بحفلاتهم الدينية وذلك خشية منهم ان ندونها بالعلامات الموسيقية على انه محال ان يكون للعرب مثل هذه الفكرة نظراً للموسيقى اللادينية لا سيما اذا نظرنا الى مقدار الاحتفاء والاطناب في وصف رجالهم الموسيقيين وفي سرد حوادثهم ومآثرهم وجمع مؤلفاتهم وقد قدمنا لمؤتمري المستشرقين وجمعيات العلماء (Congrès des Orientalistes et congrès des Sociétés Savantes) اللذين انعقدا في الجزائر سنة ١٩٠٥ تحليلا وتفسيراً لهذا الحادث ربما كان أقرب الى الحقيقة :

ويزعمون كما يتهمهم الاستاذ روابنت؟ هل ظنهم منجمين تكهنوا بان الاستاذ سيأتي بعد أجيال وينقض على العرب بجارحات اللوم لجهلهم علم العلامات الموسيقية فلفقوا تلك الرواية الكاذبة في سبيل الدفاع عن كرامة الموسيقى وكرامات العرب ؟

نسمح لنا الاستاذ روابنت ان نؤكد له ان العرب استعملوا طريقة كتابية للموسيقى وانه اذا لم يكن بين المخطوطات والآثار مواد كافية ومصنوعات وافرة تبرهن على وجود العلامات الموسيقية عند العرب فذلك لان رجال الفن كانوا قليلين ولان اكثرهم كانوا اميين كما كان الحال عند الغربيين في العصور المتوسطة ولان الموسيقى كانت غير منتشرة ومتداولة عند الافراد في الامم الشرقية ولان المتعلمين المقتدرين من الموسيقيين كانوا يحرصون على فنهم ويحفظونه لانفسهم ولا يدونونه الا لانفسهم خشية المزاحمة والسرقة ومحافظة على مكانتهم الفنية بين الناس عامة وعند الامراء والعظماء خاصة وغير ذلك من الاسباب الاجتماعية والتقليدية . واذا كانت المخطوطات القديمة خلت من الالحان المدونة فلم يرد في بعضها الا الشيء القليل الذي لا يروي ظمأ فلان هذه المخطوطات ليست (فونوغرافات) كما يقول رؤوف يكتا بك بل هي كتب قواعد وعلوم وأصول ولا نظن ان مثل هذه الكتب عند الافرنج يحوي اكثر مما هي حوت.

ان مهنة الموسيقي والمغني كانت في الغابر من المهن الرابحة ذات الامتيازات المثمرة . وفي عصور المجد كانت الملوك وذوو اليسار من الافراد يتنافسون في اكرام رجال الفن من مغنين (غريدين) وعوادين (عازفين) (١) وقد نال أحدهم مرة ثروة طائلة ثمناً لثلاثة الحان جميلة . ألم يكن من شأن هذا السخاء الكبير ان يغري الملحنين على الاحتفاظ الكلي بجميع ما يخرجون من الالحان ؟ انها لنظرية يزكيها ما رأيناه حتى في القرن التاسع عشر من ان اكثر غريدي العرب سواء في مصر أو في الغرب كانوا يأبون ان تدون الحانهم واذا ما هم سمحوا بها فانهم يلقونها بصورة غير صحيحة ناقصة متغيرة كي يخدعوا مزاحميهم أو المتطلعين الى موسيقاهم من الاجانب .

***

والخلاصة هي ان العرب لم يستعملوا اية طريقة من طرائق تدوين الموسيقى فكانت تذيع لنا ما خفي علينا من صناعتهم وتقدم شاهداً محسوساً لا يقبل جدلا على ذوقهم الموسيقي وعلى كفاءتهم في صناعة التلحين والتأليف وعلى انهم يستطيعون ان يعبروا بلغة الموسيقى عن عواطفهم وعما في أعماق نفوسهم .

ولذلك فقد أصبح في غير الامكان ان نتكلم عن الماضي في بحثنا هذا الا فيما يختص بالمادتين اللتين وصلتا الينا من مواد الموسيقى وهما أخبار الموسيقيين والقواعد العلمية فقط .

فمن هذين المنهلين استقينا معلوماتنا عن حالة الموسيقى في الادوار التاريخية المختلفة منذ قبل الاسلام حتى اليوم .

على ان هذه الادوار تشمل حلقة كبيرة من الاجيال . وقد تتابعت الحوادث السياسية خلالها متقلبة ما بين فتوحات وتدهور وكانت تلك المساحة الكبيرة الواسعة الواقعة ما بين الاندلس وبلاد الشرق الاقصى مسرحاً لها . فالممالك العظمى كانت تتأسس وتنحل والشعوب المقهورة ترغم على اعتناق دين الاسلام الذي كان لا يستقر في مكان ألا لينجلي عن مكان اخر . وكانت السلطة موضوع تناهش وتنازع طائفة كبيرة من العائلات المالكة . والهلال الذي بدء سيره من بلاد العرب يحتفل بفتوحاته من جهة في بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر وفلسطين وتونس والجزائر ومراكش والاندلس ويدوس في زحفه حتى طرفاً من فرنسا (اكيتين Aquitaine) ومن جهة اخرى يقهر بلاد الفرس وارمينيا وخراسان والهند والصين . وهذا الجندي الخشن الخارج من الصحراء يتحول ويرتقي بسرعة عجيبة ويتبع حياة الرعي والنهب حياة جديدة فتية كلها حضارة وزهو وابهة

ومنذ القرن السابع والبصرة والكوفة ودمشق تموج بالثروة . والادب والفنون تنشط وتنمو وترتقي الى ابعد الحدود

وقد ازدهرت بغداد فى القرن الثامن في عصر المنصور وهارون الرشيد الذين كانا صديقي الشعراء والموسيقيين . واظهرت قرطبه ما للامويين من المهارة والاتقان ودقة الذوق في تشييد المباني الجميلة

---

(١) انظر الفصل الرابع (فيما يلي)

كذلك في القرن التاسع فقد رأينا من اعمال المأمون والمتوكل الباهرة في تشجيع الادب والفنون والصناعات والعلوم ما يجعلهما جديرين بلقب « مدسيس(١) » العرب (Médécis Arabes)

وفي القرن العاشر جعلت الدولتان الطولونية والفاطمية القاهرة عاصمة عجيبة فاخرة لجميع الفنون

وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر يحكم المرويون الغرب وينافسون خلفاء الشرق. والسلجوقيون ينهضون نهضة عجيبة بحضارة العجم. ثم يتبع ذلك دخول العثمانيين الى الممالك الاسلامية واستئنافهم تقاليد التظاهر بالابهة والزينة والبهجة التي كانت في كل مكان كظاهرة خاصة من ظواهر المجتمع الاسلامي

وقد استمرت تلك العظمة اجيالا طويلة كانت الفنون خلالها في حمى نشاطها ورجال الفن موضوع الاعجاب والاكرام واذا صح ما روى عن مقدار ما اخرج احد الموسيقيين المشهورين من الالحان لوجب ان يكون النتاج الموسيقي في تلك العصور مقداراً كبيراً هائلا. واذا نظرنا للاحتفاء الكبير الذي كان الحكام والامراء والملوك من جانب وعامة الناس من الجانب الآخر يوجهونه الى الموسيقيين والى مصنوعاتهم لعرفنا كم كانت الموسيقى محبوبة ومنتشرة

ولكن من جميع تلك النهضة الزاهرة التي تحولت فيها الموسيقى من حدي الحداة الى تلك الاغاني الفنية العجيبة التي كان يغنيها غريدو بغداد وقرطبه. من كل هذا الفن الضخم الذي كان يتحول ويتغير متأثراً بما كان يحيط به من البيئات المختلفة ومتطوراً بتطور التمدين العربي لم يبق لنا من جميع ذلك الا بعض الرسائل العلمية وكتب القواعد وقصص وتواريخ عن حياة اولئك الموسيقيين مع بعض الاعتبارات الفلسفية. ان المستندات الوحيدة المهمة اللازمة التي كان يمكن لنا بها ان نقابل العمليات بالعمليات ونحلل بمساعدتها فن الموسيقى العربية ونوضحه بطريقة غير طريقة الحدس والتخمين اوطريقة الحسابيات والرياضيات. تلك المستندات اي تلك المخطوطات الحاوية للالحان المدونة بالعلامات الموسيقية لا اثر لها في الوجود. وكم نخشى مع الاسف ان يكون هذا النقص مما لا يمكن سده الى الابد



لقد سبق لنا ان قلنا ان هناك طائفة كبيرة من الكتاب الاقدمين للعرب كتبوا عن الموسيقى وعن رجالها.

ونحن نقدم هنا بياناً باسماء المؤلفات العربية المعروفة حتى اليوم والتي عنت بالموسيقى والموسيقيين خاصة: الى هذا المنهل يجب ان يلجأ كل من زام ان يقف على تاريخ الموسيقى العربية ويحيط علماً بالمعلومات الثابتة التي امكن لنا ان نجمعها ونحصيها في بحثنا هذا ونخرجها في صورة حقيقية صادقة تامة على قدر الامكان

---

(١) « مدسيس » هي عائلة ايطالية عريقة في الحسب والنسب حكمت فلورنسا منذ ٥٠٠ سنة اشتهر كثير من افرادها بحبهم للادب والفنون وبميلهم الى تنشيطها وتشجيعها ومنهم لوران الاول الذي عاش ما بين سنة ١٤٤٨ و سنة ١٤٩٢ ولقب بنصير الفنون والادب (المعرب)

﴿ موءلفو العرب ﴾

(القرن الثامن للمسيح — القرن الثاني للهجرة)

(الوارد ما بين نجمتين وقوسين هكذا *( )* خلال السطور هو من كلام المعرب التماساً للتفسير)

(الخليل) — *(الخليل بن احمد الفراهيدي)* مات في دمشق سنة ١٧٠ هجرية. الف كتاباً في الموازين *(الضروب او الضروبات كما يقال في اصطلاح اهل مصر والشام. والاصول كما يقولون في تركيا)* وكتاباً في النغمات.

(القرن التاسع للمسيح — القرن الثالث للهجرة)

(ابن العوراء). وضع مجموعة للاغاني (انظر الجزء الثالث من كتاب البارون همر بورجستول Baron Hammer Burgstall) المسمى تاريخ آداب اللغة العربية Litteratur Geschichte des Araber

(اسحق بن ابراهيم الموصلي). ولد سنة ١٥٠ ومات سنة ٢٣٥ هجرية. يقال انه الف ثلاثة وثلاثين كتاباً من بينها كتاب الاغاني التي لحنها. وكتاب اغاني معبد. وتاريخ الاغاني التي الفها الخليفة الواثق وكتاب الاصوات والموازين بالارقام التي تفسرها وكتاب مغنيات ورواقصات الحجاز والكتاب الكبير للاغاني والبيانات الخاصة بالمغنين عند العرب. انظر الكتاب المسمى: Proemium (Ali Ispahanensis Liber Cantilenarum magnum), Grispevoldiae,1840 لكوزجارتن Kosegarten

(يعقوب بن اسحق الكندي). مات سنة ٢٤٨ هجرية وله ستة مؤلفات هي: كتاب في التلحين وكتاب في ترتيب الابعاد الصوتية وكتاب في العناصر الموسيقية. وكتاب في الميزان الموسيقي وكتاب في الآلات الموسيقية. وكتاب في اتحاد الموسيقى والشعر. وهذه الكتب محفوظة في المتحف البريطاني بلندره (British Museum. Londres)

(موسى بن شاكر). هم ثلاثة اخوة الفوا معاً كتاباً في العلوم الرياضية ضمنوه بعض الفصول الموسيقية. احدهم اسمه محمد مات سنة ٢٥٠ هجرية.

(احمد بن محمد بن مروان الصرخدي[1]). مات سنة ٢٨٦ هجرية. وله ثلاثة مؤلفات في الموسيقى. الاول: الكتاب الكبير وفيه مقالان. والثاني: الكتاب الصغير ويحتوي خمسة عشر فصلا. والثالث: الدخول الى علم الموسيقى. — انظر كتاب البارون همر بورجستول وكتاب كوزجارتن السالفي الذكر.

(ثابت بن قره). مات سنة ٢٨٨ هجرية. له كتاب في الموسيقى

---

(١) كتب صاحب النبذة الصرخدي هكذا: as Serchadi. وهذه تقرأ السر شادي وكان اصح ان تكتب هكذا: As-Sarkhadi فيزول الالتباس.

(يحي بن علي بن يحي المسجم[١]) . مات سنة ٣٠٠ هجرية . وله رسالة في الموسيقى محفوظة في المتحف البريطاني بلندره .

(عبيدالله بن عبدالله بن ظاهر المعروف ايضاً بابن احمد) . مات سنة ٣٠٠ هجرية . وله كتاب في الموسيقى .

(قسطا بن لوقا) . *(البعلبكي)* . مات سنة ٢٠٠ هجرية وله كتاب في الموسيقى .

(القرن العاشر للمسيح — القرن الرابع للهجرة)

(ابو الفرج بن الحسين الاصبهاني) . ولد سنة ٢٨٤ ومات سنة ٣٥٦ هجرية . وهو مؤلف كتاب الاغاني (طبع في بولاق (القاهرة) وفي ليد Leyde) . ترجمه كوزجارتن ولم يتمه . ثم تُمّم فى جزء هو الحادي والعشرين وطبعه براونو (Brunow) فى ليد (Leyde)

(محمد بن ز كريا[٢] الرازي) . مات سنة ٣١١ هجرية وله رسالة في الموسيقى واخرى فى الغناء . مكانها المكتبة الاهلية بباريس .

(ابو النصر محمد بن طرخان الفارابي)[٣] ولد سنة ٢٦٩ ومات سنة ٣٣٩ هجرية . وله كتاب اسمه (كتاب الموسيقى)[٤] . ومنه نسخة *(خطية)* محفوظة فى كل من مكتبة ليد ومدريد وميلانو

(ابو الحسن علي المسعودي) . مات سنة ٣٤٦ هجرية . وله رسالة فى الموسيقى ضمن كتابه المسمى (كتاب الزلف) .

(ابو الحسن البرمكي) . وله كتاب اسمه : (كتاب لاعبات الطنبور)

---

(١) المعروف لدينا هو يحي بن علي بن يحي المنجم . ولكن الاستاذ صاحب النبذة كتب هكذا : (AL MOUSSADJIM) ونرجح الخطأ فى ما كتبه

(٢) كتب فى الاصل هكذا : Zakuria وهذه تقرأ زاكوريا وكان من الاصح ان تكتب هكذا : Zakaréya

(٣) كتب فى الاصل : ابو نصر Abou Naçr بحذف ال التعريف والاصح ان تكتب هكذا : Aboun-Naçr . وكذلك طرخان فقد كتبت هناك : Tarchan وهذه تقرأ طرشان وصحتها ان تكتب : Tarkhan

(٤) الذي نعرفه هو ان للفارابي كتابين فى الموسيقى: الاول اسمه (كتاب الموسيقى الكبير) وهو فى جزئين والثاني اسمه (المدخل الى صناعة الموسيقى) ومنه نسخة فوتوغرافية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٥١) نقلت عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة نور عثمانية بالاستانة تحت رقم (٩٥٣) . ويلوح لنا ان ما ذكر فى الاصل غير كاف ولا واضح

(القرن الحادي عشر للمسيح ـ القرن الخامس للهجرة)

(أبو علي الحسين بن سينا) ولد سنة ٣٧٠ ومات سنة ٤٧٨ هجرية . وله فصل في الموسيقى في الرسالة الثانية عشرة من كتابه المسمى « الشفاء » ومنه نسخة محفوظة في مكتب الشؤون الهندية بلندن

(أبو منصور الحسين بن محمد بن عمر بن زَيْلَع) وله كتاب اسمه (كتاب الكافي في الموسيقى)

(القرن الثاني عشر للمسيح ـ القرن السادس للهجرة)

(ابن الصلت بن عبد العزيز العُمري) مات سنة ٥٢٧ هجرية وله رسالة في الموسيقى

(محمد بن احمد الحداد) مات سنة ٥٦١ هجرية . وله رسالة في الموسيقى وفي مكتبة مدريد الملكية نسخة منها .

(اخوان الصفا [١]) ولهم رسالة في الموسيقى استخرجت من كتابهم المسمى (رسائل اخوان الصفا) ومنه نسخة في كل من مكتبة باريس ومكتبة ليد ومكتبة غوتا الاهلية .

(أبو عبد الله محمد الخوارزمي) الملقب بالكاتب من رجال المعارف والموسوعات . وقد تكلم عن الموسيقى في كتابه المسمى (قاموس الاصطلاحات الفنية لنساخي الكتب) وفي كتابه المسمى (كتاب مفاتيح العلوم) ومن هذا الكتاب الاخير نسخة في مكتبة ليد الاهلية .

(أبو الوفا) له رسالة في الموسيقى عن الغناء وعن آلات النفخ والآلات الوترية . ومنه نسخة في المتحف البريطاني بلندره .

(القرن الثالث عشر للمسيح ـ القرن السابع للهجرة)

(أبو محمد المنذري) له كتاب اسمه كتاب الترغيب

(صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي) *(وهو المعروف عند الترك باسم صفي الدين عبد المؤمن فقط . ويعرف ايضاً باسم صفي الدين الارموي وقد عاش في عصر المعتصم آخر خلفاء العباسيين في منتصف القرن السابع للهجرة)* مات سنة ٦٥٦ هجرية . وله رسالة في الموسيقى اسمها الشرفية اهداها الى الامير شرف الدين هارون ومنها نسخة في كل من مكتبة باريس ومكتبة فيينا الاهليتين .

وله أيضاً مؤلف اسمه (كتاب الادوار) منه نسخة في المتحف البريطاني بلندره . *(ونسخة في دار الكتب المصرية رقم ٣٤٩ منقولة بآلة التصوير الشمسي عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة (نورعثمانية) بالاستانة رقم ٣٦٥٣ كتبت في سنة ٦٣٣ هجرية . وفي هذا الكتاب رسم عنق العود والاوتار وقد تبينت على كل منها المراكز الخاصة بها من درجات السلم الموسيقي بالحروف الابجدية التي كان يستعملها

---

(١) « اخوان الصفا » هم جمعية من الفلاسفة الذين لخصوا جميع العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصرهم في احدى وخمسين رسالة .

العرب كعلامات موسيقية . وقد ورد في آخر هذا الكتاب نموذجان من الالحان مدونة بالعلامات الموسيقية العربية سبق لنا نشرها)* وله أيضاً كتاب اسمه (رسالة النسب الموسيقية) نسبت الى الامير شرف الدين هارون اذ كانت مهداة اليه .

(شهاب الدين بن حجلة المغربي) وله فصل هو الفصل الثامن عشر في كتابه المسمى (ديوان الصبابة) اورد فيه بعض قصص مختصرة عن المنشدين والمنشدات في العشق والغرام وعن غنائهم وآلاتهم

(محمد الصلاحي) وله كتاب عن اباحة استعمال الآلات

(القرن الرابع عشر للمسيح — القرن الثامن للهجرة)

(محمد بن ابي بكر الشيرواني[١]) وله نبذة نقلها عن رسائل اخوان الصفا محفوظة بدار الكتب الاهلية بباريس

(محمد بن جابر[٢]) وهو عربي من غرناطه مات سنة ٧٤١ هجرية وله موجز عن اصول الموسيقى العالمية (La musique mondaine) محفوظ في الاسكوريال [٣].

(ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون) وله رسالة في الموسيقى ضمن كتابه المسمى (كتاب العبر)

(كمال الدين ابو الفضل جعفر بن ثعلب الادفوي[٤]) وله كتاب اسمه السرور والفائدة [٥] محفوظ في مكتبة مدريد الاهلية

(محمود لامُلى) مات سنة ٧١٦ هجرية وله كتاب في الموسيقى

(محمد بن احمد بن جابر من البشرات[٦]) مات سنة ٧٤١ هجرية . وله كتاب في الموسيقى

---

(١) كتب في الاصل هكذا : (Mohamed ben Aboubekr ben Scerouni) وهذا يقرأ محمد بن ابو بكر بن سيروني ولا نعرف من يذكر بهذا الاسم (المعرب)

(٢) كتب في الاصل هكذا : (Mohamed ben Aben ben Haber) وهذا يقرأ محمد بن آبن بن حابر (بالحاء) او هابر (بالهاء) ولم نهتد لمن يحمل مثل هذا الاسم المعرب

(٣) الاسكوريال (Escurial) قرية في اسبانيا على مسافة ٤٠ كيلومتراً من مدريد قام بالقرب منها قصر ودير يطلق عليهما قصر ودير الاسكوريال بناهما فليب الثاني ملك اسبانيا وفاء لنذر عليه . وقد حوى القصر المذكور مكتبة كبيرة نفيسة اشتهرت باسم مكتبة الاسكوريال (المعرب)

(٤) كتب في الاصل : (Kamal ed Din Aboul Fadl Gafar Ibn Tolab El Adfuwi)

(٥) لم نطلع على هذا الكتاب ونحن نشك في صحة هذا الاسم الذي اوردناه معربا عن الاسم الذي جاء له به صاحب النبذة وهذا الاسم هو : (La joie et le profit) (المعرب)

(٦) جاء في الاصل هكذا : (Mohamed ben Ahmed ben Haber d'Alpuxarra)

المقدسة وذيل في الموسيقى العاميه .

(محمد الشلبي) هو عربي من اسبانيا . وله رسالة في الموسيقى محفوظة في الاسكوريال

(قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي) مات سنة ٧١٠ هجرية . هو فارسي . وله كتاب اسمه (درة التاج في عزة الديباج) اختص الموسيقى بقسم منه . (١)

(أبو الفرج علي بن حسن) مات سنة ٧٢١ هجرية . وله كتاب في الموسيقى .

(لسان الدين بن الخطيب (٢)) مات سنة ٧٤١ هجرية . وله كتاب في الموسيقى .

اما كلمة Haber فأمرها هين وقد اخطأ فيها صاحب النبذة هنا كما اخطأ فيها في اسم محمد بن جابر الذي ذكر اسمه ضمن مؤلفي القرن الرابع عشر فيما سبق فقد ظن الجيم حاء في المرتين اما الكلمة الواردة بعدها وهي : (Alpnxarra) فصحتها : (Alpujarras) هكذا وردت في دائرة المعارف الفرنسية وعربيتها « البشرات » وقد حام حولها في البدء بعض الابهام لاختلاف الحرف الخامس في الكلمتين مما دعانا الى الالتجاء الى العلامة الكبير والبحاثة النابغة احمد زكي باشا طالبين اليه ان يتكرم بشيء من التوضيح فما ان وقعت بين يديه كلماتنا حتى انبرى للبحث والاستقراء كعادته في المعضلات واسرع بارسال مقال مسهب ضاف الى جريدة الاهرام الغراء نشرته في عددين متتابعين. ونحن نشكر له غيرته على العلم ونثني على همته العالية النادرة كل الثناء

على ان هناك فرقاً بين الاسم الوارد بدائرة المعارف والاسم الذي اورده سعادة زكي باشا في « الاهرام » فالوارد في الدائرة هو كما صححناه قبلا اي هكذا : (Alpujarras) اما ما اوردته الاهرام عن سعادة الباشا فهو (Alpujerras) ونرجح ان يكون ذلك خطأ مطبعياً

ويظهر من قول زكي باشا ان الصيغة التي اوردها الاستاذ روانيت صاحب النبذة هي صيغة اللغة الاسبانية فزكي باشا يقول ما يلي : فلما انقرضت دولة العرب نقل الاسبانيون هذا الاسم الى لغتهم بصيغة الجمع فوضعوا حرف S في آخره وقالوا : (Alpuxarras) اولا ثم استقر عندهم بلفظ (Alpujerras) الان. اما وضعهم الباء الفارسية (p) مكان الباء العربية (b) فلا وجه للغرابة فيه . بل هؤلاء الافرنج في القاهرة اليوم يقولون (Saptieh) عن الحي المعروف باسم «السبتيه» الخ .

فاذا صح ما يقول زكي باشا كان عمل الاستاذ روانيت غريباً وغير مألوف بل كان مما يؤدي الى الخطأ ويدعو الى الابهام والمشقة . اذ لا نرى معنى في استعماله للصيغة المستعملة باللغة الاسبانية وهجره للصيغة المستعملة في اللغة الفرنسية التي هو يكتب بها ولها .

والآن نقول ان البشرات هي بقعة جبلية من اسبانيا الجنوبية .

(١) وله أيضاً كتاب شرح وبحث فيه كتاب الشرفية لصفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي مر ذكره . (المعرب)

(٢) كتبه الاستاذ روانيت هكذا : (Sissan ed Din Ibn Al-Kateb) اي سيسان او صيصان الدين بن الكاتب وهذا اقصى مايمكن الوصول اليه في التحريف وتشويه الاسماء .

(محمد بن عيسى ابو عبد الله حسن الدين بن فتح الدين الامباري) مات سنة ٧٦٣ هجرية . وله رسالة في النغمات والاوزان الموسيقية .

(القرن الخامس عشر للمسيح ـ القرن التاسع للهجرة)

(عبد القادر بن غيبي (١)) مات سنة ٨٣٨هجرية . وله المؤلفات الآتية : (١) مقاصد الالحان (٢) جامع الالحان الذي يشرح فيه كتاب الادوار لصفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي المذكور بين مؤلفي القرن السابع للهجرة . (٣) كنز الالحان الذي يدعي معاصروه انه دون فيه مؤلفاته وألحانه بالعلامات الموسيقية والكتاب الاخير مفقود . (٢)

(خضر بن عبد الله (٣)) وله رسالة في الموسيقى باللغة التركية محفوظة بدار الكتب في برلين *(ولدى الاستاذ البحاثة رؤوف يكتا بك مدرس التاريخ والقواعد الموسيقية اليوم في دار الالحان بالاستانه نسخة خطيه محفوظة في مكتبته الخصوصية)*

(احمد اوغلو شكر الله) ترجم الى اللغة التركية كتاب الادوار لصفي الدين وأضاف اليه احد وعشرين فصلا جديداً عن الموسيقى والآلات الموسيقية عند الاتراك وهذا الكتاب محفوظ في مكتبة رؤوف يكتا بك الخصوصية في الاستانة .

(عبد العزيز بن عبد القادر بن غيبي (٤)) وله كتاب اسمه نقاوة الادوار نسخته محفوظة في مكتبة نوري عثمانية بالاستانة

(الشيخ شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي (٥)) وهو صاحب الكتاب المشهور المسمى (المستطرف) وفيه رسالة عن الصوت الجميل

---

(١) وقد أورده الاستاذ صاحب النبذة كما يأتي : (Abd ul Qadir Ibn Ghaïni, dit aussi Ibn 'Issa) وتعريبه : عبدالقادر بن غيني المعروف ايضاً بابن عيسى فنقول اولاً ان صحة هذا الاسم هي : خواجه كمال الدين عبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي . وقد وقع الخطأ في النقل مرتين ففي الاولى وقع في غيبي باستبدال الباء نوناً وفي الثانية في عيسى باستبدال الغين عيناً والنون سيناً . (المعرب)

(٢) لقد اوردنا هنا اسماء هذه الكتب مصححة . وقد سبق ان ذكرنا وجوه الخطأ في التحريف والنقل في الصحيفة ١٩ فنلفت اليها انظار القراء . (المعرب)

(٣) وقد كتبه الاستاذ صاحب النبذه هكذا :(Kizr ben Abdallah)وهذا يقرأ: كظر بن عبد الله وانه لتشويه كبير في ايراد الاسم .

(٤) وهنا أيضاً قال (غيني Ghaïni) مستبدلا الباء نوناً وصحته كما ذكرناه . (المعرب)

(٥) جاء في الاصل هكذا : (Cheikh Sihab ed Dine Mohamed Ibn Ahmed El Absihi) ويقرأ سهاب بالسين وابسيهي بالسين ايضاً في حين يكتب الاسمان بالشين

(موسى رستم بن سايجر Seijar (١)) وله كتاب في الموسيقى باللغة الفارسية .

(ابو بكر احمد بن الحفن او ابن درج (٢)) وله كتاب في الالحان اي مجموعة اغاني .

(محمد بن عبد المعجز الحي او محمد بن عبد الحميد اللاذقي) مات سنة ٨٤٨ هجرية . وله رسالة الفتحية (٣) منها نسخة (خطية) محفوظة في مسجد بغداد . ونسخة اخرى باللغة التركية في مكتبة تكية الدراويش (المولوية) الكائنة في الجهة المسماة (يكي قبو (٤)) خارج اسوار الاستانة. ونسخة ثالثة في حوزة الاستاذ رؤوف يكتا بك . وله أيضاً كتاب آخر في الموسيقى في دار الكتب العثمانية بالاستانة .

(تقي الدين احمد بن علي المقريزي) مات سنة ٨٤٥ هجرية وله كتاب في الغناء .

(مؤلفه مجهول) رسالة كبيرة في الموسيقى مهداة الى السلطان محمد مراد . ونسختها محفوظة في المتحف البريطاني بلندره . ويظهر انها رسالة عبد القادر بن غيبي (٥)

(مؤلفه مجهول) مختصر في معرفة النغمات نسخته محفوظة بدار الكتب في فيينا

(محمود بن عبد العزيز) حفيد عبد القادر بن غيبي الذي سبق ذكره . وله كتاب اسمه (مقاصد الادوار) نسخة منه في مكتبة نوري عثمانية بالاستانة *(رقم ٣٦٤٩)*

« القرن السابع عشر للمسيح — القرن الحادي عشر للهجرة »

(شمس الدين الصيداوي الدمشقي) وله كتاب اسمه : كتاب الانعام في معرفة الانغام وشرحه (٦) ومنه نسخة في دار الكتب الاهلية بباريس . وله ايضاً كتاب اسمه : جواهر النظام في

---

(١) بنا شك في صحة اسم سايجر Seijar وقد يكون حرف ال S الوارد في أول الاسم كحرف ال S الوارد في لفظتي Sinab و Absihi اللتين مرتا . (المعرب)

(٢) في الاصل :(Aboubeker Ahmed ben el Hafan ou Ibn Dereje) ونرجح ان صحته هي : ابو بكر احمد بن عفان المعروف ايضاً بابن دريج . وهو مغربي . (المعرب)

(٣) جاء في الاصل هكذا : (Rissalat el Fathiya al Takkat) ولسنا ندري من أين اتى بالكلمة الاخيرة(al Takkat) ومالها أثر من الآثار في الفتحية ولالها معنى . (المعرب)

(٤) في الاصل : Yénicapan وهذا خطأ صحته Yeni-Capou ويكتب : (يكي قبو) ويلفظ . (يني قبو) .

(٥) لم يسبق للاستاذ صاحب النبذة ان ذكر لنا رسالة لعبد القادر بن غيبي فما معنى ان يذكر الآن له رسالة في صيغة التعريف ؟ وقد كرر هنا أيضاً اسم غيبي بذات التحريف الذي سبق لنا ذكره (المعرب)

(٦) كتب في الاصل هكذا : Kitab fi marifat alangan es schartha فسقطت

معرفة الانغام (١)

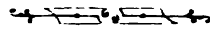
(شاه قباد بك عبد الجليل الحارني) وله مجموعة رسائل في الموسيقى في المتحف البريطاني بلندره

(مؤلفه مجهول) جدول اجمالي عن الاثنتي العشرة النغمة الاصلية عند العرب وعند جميع الشرقيين عامة بالثلاث اللغات العربية والايطالية والفرنسية (٢) ونسخة في دار الكتب الاهلية بباريس

(مؤلفه مجهول) رسالة في الموسيقى مقسمة الى ثمانية ابواب وخاتمة ونسختها محفوظة في المتحف البريطاني بلندره

(القرن الثامن عشر للمسيح – القرن الثاني عشر للهجرة)

(عبد الباقي دده (٣)) له كتاب فيه مباحث ودروس في الموسيقى العملية وله ايضاً كتاب اسمه (تحريرية) في العلامات الموسيقية ونسخته محفوظة في تكية المولاوية في (يكي قبو)



وان هذا البيان طويل يتضمن عدداً كبيراً من المؤلفات . ومن المحقق انه سيزيد زيادة مفيدة لاسيما اذا دأب المستشرقون ممن درسوا اللغة العربية على البحث والتنقيب الدقيقين في خبايا الشرق التي لاشك لاتزال مملوءة بالمخطوطات العجيبة



أمام هذا العدد الكبير من المؤلفات الموسيقية القديمة نرى اختلافاً كبيراً بين العصور القديمة والعصور الحديثة اذ نرى هذه الاخيرة في حالة شديدة من الفقر المدقع في المؤلفات الموسيقية العربية الاصل . وفن الامم الاسلامية يلوح في الدرك الاسفل .

ومنذ سقوط غرناطه (٤) تدهور فن العمارة العربي في كل مكان ما خلا في تركيا وفارس حيث تلوح عليه بقية من الحياة . وقد وقفت فنون الزخارف العربية عن الحركة فجميعها تقل عن القديم لا نضارة

كلمة (الانغام) وتشوهت الكلمة الاخيرة (وشرحه) وكتبت (es schartha) فيظنها القارىء صفة للانغام . وهذا جميعه تحريف يؤسف له كل الاسف لا سيما في مثل دوائر المعارف والقواميس (المعرب)

(١) كتب في الاصل هكذا : (Sahouaher al nuzam fi ma'aritat al angham) فالكلمة الاولى مشوهة وصحتها (جواهر) كما ذكرناها في مكانها (المعرب)

(٢) كتب في الاصل هكذا : (Tableau synoptique de douze tons en arabe, malar et francais) وهذا نقص وخطأ صحته هكذا : Tablean Synoptique des douze modes principaux du Systême musical des Arabes et en général des orientaux; en arabe, en italien et en francais. (المعرب)

(٣) عبد الباقي دده كان في ذلك الزمن رئيساً لتكية المولاوية في (يكي قبو) وكتابه المسمى (تحريريه) هو كتاب خطي كتبه بيده شرح فيه طريقة من طرائق العلامات الموسيقية لتدوين الموسيقى من ابتكاره أساسها الحروف الهجائية (المعرب)

(٤) سقطت غرناطه في آخر القرن الخامس عشر . (المعرب)

فيها ولا فكرة جديدة ولا اختراع بل اخذ الفساد والتلف يتسربان الى قواعدها القديمة الجميلة التي كانت نخر تلك الطرائق وهاتيك العلوم . وكل ما يصنع اليوم يؤخذ من أعماق الماضي ويكون في أكثر الاحيان مشوهاً ومكرراً بصورة لاتدل على انها نتيجة عقلية مفكرة .

وكذلك الموسيقى فقد اجتازت الاجيال وانتقلت من العصور القديمة الى العصور الحديثة بلا تغيير ولا تقدم والموسيقى العربية اليوم هي عين ما كانت في عهد الفارابي لم يطرأ عليها اقل تغيير .

وهي لاتزال انفرادية متشابهة يضغط عليها الميزان ضغطاً شديداً ويرتكز أساسها على الاجزاء الصوتية الصغيرة اي الابعاد والمسافات القريبة كما كانت قديماً (١) . ولا تزال آلاتها اليوم عين آلاتها في أعماق تلك الاجيال .

وكما ان مؤلفي العرب وأساتذتهم لم يحفلوا بكل ما كان يدور حولهم بشأن العلامات الموسيقية كل تلك القرون الطويلة فكذلك اهل الغناء وأهل الآلات والملحنون مكثوا في أماكنهم غرباء عن كل التطورات والظواهر التي سارت بموسيقى القرون الوسطى عند الافرنج الى مسافات بعيدة وخرجت بها من مساحتها المحدودة الى سهول الاصطحاب المصري الفسيحة . وهذا الحادث يعتبر من الحوادث الغريبة الخاصة بالعرب فقط

ولا يمكن ان نقول ان رجال الموسيقى عند العرب كانوا يجهلون المحاولات التي رافقت حوادث فن التصفيف (٢) في نشأته بعد موت (غوي داريزو Guy d'Arezzo) ومن المؤكد انهم رأوا

---

(١) لقد كان في الامكان ان نرد على كل من هذه الاقوال فنثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع ان الاجزاء الصوتية الصغيرة في لغتها الفتانه الشرقيه هي سر جمال الموسيقى ومنبع قوتها ومنهل حيويتها وان الميزان للموسيقى كالروح للجسد . وان الموسيقى بغير الميزان كالصنم البارد لا روح فيه ولا حياة . ولكننا امسكنا عن ذلك لان غرضنا الوحيد هنا هو تصحيح الاغلاط الفنيه والعلميه كما سبق لنا القول . على اننا لا نملك النفس في كلمة :

لا شك ان آلهة الموسيقى حاقدة على الافرنج ناقمة على حاستهم السمعية . لذلك قد أغلقت على اذهانهم فلم يفهموا حتى اليوم اسرار الجمال الموسيقي وكلما ظنوا انهم قد اقتربوا من هيكل الجمال كلما كانوا بالعكس مبتعدين عنه وكلما خيل اليهم انهم قد اهتدوا الى آية من آيات الطرب كلما كان بالعكس ضلالهم في ازدياد . وسانتهز اقرب الفرص لاقوم بما يوحيه الي اخلاصي وتوجبه علي مهمتي نحو الفن فاحلل لهم موسيقاهم وموسيقانا وابرهن لهم ان كل مخلوق حرمته السماء من موهبة ادراك كنه جمال الموسيقى الشرقية فقد حرم لذة حاسة من حواسه الخمس طول الحياة . وكي اخفف على اصحاب الموسيقى الافرنجيه ملل الانتظار اسوق اليهم كلمة: ليس الاعجاب والدهشه امام المهارة البهلوانيه والنبوغ الصناعي في الموسيقى الافرنجية كالرقة الطبيعية والعذوبة العاطفية والارتجافة الروحية والوثبة القلبية والحركة الشعاعية في الموسيقى الشرقية . ان الفرق بين الحالتين كبير ومهما تكن مهارة الصناعة ونبوغ الرشاقة فالعاطفة الطبيعية والجمال الطبيعي واللغة الطبيعية والروح الطبيعية لا يفوقها شيء في الوجود (المعرب)

(٢) فن التصفيف هو مايسمى عند الافرنج : (كونتربوين Contrepoint) وهذه كلمة جديدة نضيفها الى ماسبق لنا استنباطه من الاصطلاحات والمفردات الفنية المعدومة في اللغة العربية . والتصفيف

الغناء الغربي يحاول العمل الاصطحابي بذات الخمس وذات الأربع (la quinte et la quarte) في القرن الحادي عشر. كما انهم اضطلعوا على كتاب حنا كتن (١) (Jean Cotton) المسمى: الآلة الموسيقية الجديدة (Novum Organum) الذي لم يخش ان يعطي به صورة خاصة وحركة مختلفة لكل من الاصوات المترافقة (في فن التصفيف).

وفي كل مكان التقى فيه العرب بالمسيحيين ابصروا في الموسيقى تطورات وتغييرات عظيمة جوهرية كما انهم كانوا على بينة من الاصلاحات التي أحدثها في أسبانيا (بلاد الاندلس) ايزيدور دي سيفيل (٢) (Isidore de Séville) في موسيقى الاناشيد الدينية التي كان يترنم بها المسيحيون الذين كانوا خاضعين لحكم المغاربه. كذلك هم رأوا ماصنعه الملك الموسيقي الفونس الخامس الملقب بالحكيم من انشائه تدريس العلوم الموسيقية في جامعة سلمنك كما ان الاساتذة الموسيقيين محمد بن جابر (٣) وابن احمد الهدّل (٤) والمغني زرياب وماكان له من النفوذ الفني والسيطرة الكبيرة والشهرة الواسعة والعدد الكبير من التلاميذ جميعهم عرفوا مجهودات معاصريهم (الغربيين) وتجاربهم في سبيل تحسين الموسيقى والتقدم النسبي في فن التصفيف (la Polyphonie vocale) كذلك قد سمع العرب في عصر مجدهم وأبهتهم قبل سقوط غرناطة الموسيقى ذات الاربعة صفوف في أشعار ميشيل لوغوس دي ايرانغو (Michel Lugos de Irango) التي اشتهرت في تاريخ الموسيقى الاسبانية.

فن من فنون الموسيقى خاص بالافرنج هو تأليف الموسيقى من جملة صفوف لحنية تسير متحازية مترافقة كل صف له لحن خاص يختلف عن الصفوف الاخرى واهم قواعده ان تكون الاصوات المتقابلة في جميع الصفوف مؤتلفة خالية من التنافر. وقد كان هذا الفن اساساً لفن الاصطحاب (الارمونيا l'harmonie) ويكون على الاقل من صفين صوتين ولا يزيد على ثمانية صفوف (huit parties) ولهذا الفن قواعد كثيرة صعبة دقيقة ليس هنا مكان شرحها (المعرب)

١) حنا كتن هو مؤلف موسيقي وجد في القرون الوسطى وكان سابقاً لغوي داريزو ومن معاصريه أيضاً وهو صاحب كتاب اسمه رسالة حنا الى فولجنسيوم (Epistola Johannis ad Fulgentium) وفولجنسيوم هذا هو اسقف انجليزي كان الكتاب مهدى اليه.

وهذا الكتاب يحوي مقدمة و٢٧ فصلاً عن الموسيقى وعلاماتها في ذلك العصر. والفصل الحادي والعشرون هو من أهم فصول هذا الكتاب اذ يشرح فيه المؤلف صعوبات الطريقة القديمة في تدوين الموسيقى المعروفة بطريقة (النوما) (Notation neumatique) وسائر الطرائق والقواعد التي كانت متداولة في تلك العصور ومن ضمنها عصر داريزو ومما زاد في أهمية الفصل المذكور ان المؤلف ازال فيه الابهام والشكوك والريب التي تركتها في الاذهان العلامات الموسيقية القديمة (المعرب)

(٢) ايزيدور دي سيفيل هو حبر من أحبار العصور الوسطى ومن علمائها ولد في قرطجنه سنة ٥٦٠ ومات سنة ٦٣٦ (المعرب)

(٣) كتب في الاصل Haber (المعرب)

(٤) هكذا في الاصل Haddel

كل ذلك كان في حيز العدم تجاه فناني العرب وبينما كانت الموسيقى الغربية تتحرك وتتقدم امام عيونهم فبعد ان كانت فردية ذات صف واحد اندفعت نحو الاصطفاف والاصطحاب الجديد كانت موسيقى العرب ثابتة جامدة لا تتحرك. مع العلم بان العرب كانوا في ذلك العصر اكثر الامم رقياً وحضارة وعلماً وبانهم لم يلازموا هذا الجمود امام فنون اليونان والفرس . بل كانوا يعملون بنصائح افلاطون التي تقضي بتجنب كل تجديد وتغيير في المواد الفنية فاستمرت الموسيقى بزيها القديم البالي ولغتها العتيقة المهجورة ووقفت حيث وقفت موسيقى ارسطاليس «عند الاصوات الحادة أو الغليظة أو البطيئة أو السريعة » ولكنها على الدوام انفرادية ذات صف واحد أو بالقرار والجواب ، مؤيدة ماقاله رينان Renan « ان للشعوب السامية عقلية نيرة ولكنها قصيرة المدى . وهي تدرك كنه الوحدة كل الادراك ولكنها تعجز عن ادراك الكميات »

وعلى ذلك فلا الزمن ولا الجوار ولا الاختلاط جميع ذلك لم يستطع ان يغير شيئاً من فن قد استقر في معتقله واحتفظ بتقاليده التي كان عليها منذ ألف سنة .

ومن يعرف حقيقة نفسية الامة العربية لا يجد مجالا للدهشة امام مثل هذا الحادث . فهذه الامة لم تغير في عاداتها ولا من معتقداتها ولا من عقليتها حتى في البلاد التي عاشت فيها زمناً طويلا تحت الوصاية السياسية والسيطرة الاجنبية. وحياتها الفكرية والادبية وعواطفها وحياتها الاجتماعية جميعها ممتنعة داخل حدود القرآن الصلبة ، وهذا الدرع قاوم جميع المؤثرات الاجنبية وهو لاشك كان ايضاً العامل الاقوى في جمود الموسيقى العربية واحتفاظها بتقاليدها القديمة وموقفها السلبي امام التطورات الغربية في كل مكان .

على انه لابد لنا من ان نزيد على ماسبق مكتفين الآن باشارة مقتصرة ان هذه الموسيقى المحدودة الضيقة تكفي كل الكفاية من حيث فن الجمال وفكرته لاحتياجات أمة لا تعتبر ذلك الفن عاملا من العوامل التي تعبر عما في دائرة الفكر وعما في اعماق النفس من الحوادث وعن تحليل العواطف بلغة بليغة حارة متلهبة بل هي تبحث فيها فقط عن صورة الفكرة البسيطة التافهة المبهمة الطافية وعن اثارة نوع من الاحساس الهني الذي تجد الروح به نوعا من أنواع تلك اللذة التي تجعلها سابحة فيما يسميه غاييت (Gayet) في فن العمارة العربية « اللذة الكئيبة »

هذاما يفسر جمود الموسيقى العربية خلال الاجيال كما تؤيده تلك البضعة من مؤلفي العرب العصريين الذين سنأتي هنا على اسمائهم واسماء مؤلفاتهم والذين قد اكتفى اكثرهم بان يكرر احياناً ما قاله الاقدمين بغير ان يفهمه

« مؤلفو العرب العصريين »

(القرن التاسع عشر للمسيح — القرن الثالث عشر للهجرة)

(ميخائيل مشاقه) وله الرسالة الشهابية في صناعة الموسيقى مهداة الى الامير شهاب طبعت في بيروت سنة ١٢٤٦ هجريه .

(القرن العشرون للمسيح ـ القرن الرابع عشر للهجرة)

(احمد افندي السفرجلاني) له السفينة الادبية .دمشق سنة ١٣٠٨ هجريه .

(احمدافندي امين الديك) وله كتاب اسمه نيل الارب في موسيقى الافرنج والعرب (١) طبع في القاهرة سنة ١٣٢٠ هجريه .

(الشيخ عثمان بن محمد الجندي) وله كتاب اسمه : رسالة روض المسرات (٢) طبع في القاهرة سنة ١٣١٩ هجريه .

(السيد محمد بن اسماعيل بن عمر شهاب الدين) وله سفينة الملك (٣) طبع في القاهرة

(احمد كامل الخلعي) وله كتاب اسمه : الموسيقي الشرقي طبع في القاهرة سنة ١٣٢٢ هجرية

(درويش محمد) وله كتاب اسمه : صفا الاوقات في علم النغمات (٤) طبع في القاهرة سنة ١٣٢٠ هجرية

(ابو علي الغواتي) وله كتاب اسمه : كشف القناع عن آلات الصناع (٥) طبع في الجزائر سنة ١٣٢٠ هجرية (٦)

***

وهنا نحن في حاجة الى ان نأتي بجدول يتضمن بيان المؤلفات الموسيقية التي وضعها الافرنج كي

---

(١) كتب في الاصل هكذا : Nail al adap fil mousiqa وهذا يقرأ (نيل الادب (بالدال) في الموسيقى) وزاد صاحب النبذة على ذلك انه ترجم اسم هذا الكتاب بالفرنسية هكذا : La recherche de la science de la musique مامعناه.البحث في علم الموسيقى. وجميع ذلك خطأ فاضح لا سيما في مثل دائرة معارف . (المعرب)

(٢) جاء في الاصل هكذا : (Kissalat raoud al masavrot) وهذايقرأ :(كسالدروض المزاورت) (المعرب)

(٣) جاء في الاصل : (Safinat al mouk) وهذا يقرأ : سفينة الموك (المعرب)

(٤) كتب في الاصل هكذا : (Le Derviche Mohamed. Kitab ech Cofo al aouqât fi ilm en-nar'amat)

(٥) جاء في الاصل بالصورة الآتية : (Kitab Kachfal Kina analat as sima)

(٦) هذا ما ذكره فقط حضرة الاستاذ روانيت عن المؤلفات العصرية وقد اهمل طائفة كبيرة منها مثل : مجموعة هاشم بك . باللغة التركية . وكتاب : خواجه سز عود او كرنمك اصولي . باللغة التركية ايضاً سنة ١٢٢٦ هجرية . وكتاب رهبر موسيقى ء باللغة التركية ايضاً لمؤلفه جميل بك الطنبوري سنة ١٣٢١ . والكتب الثلاثة لمؤلفها محمد ذاكر بك . الاول : الروضة البهية في اوزان الالحان الموسيقية . والثاني :تحفةالموعودفي تعليم العود . والثالث: حياة الانسان في ترديد الالحان سنة ١٣١٢ الخ (المعرب)

يتضح للقارىء الفرق الكبير بين المجهودات التافهة التي وُجهت نحو الموسيقى العربية والمجهودات العظيمة التي لا تحصى التي بذلها العلماء والاثريون والفلاسفة والفنانون في درس الفنون الاسلامية الاخرى

وتلك هي المؤلفات الافرنجية عن الموسيقى العربية التي كنا نعلم بوجودها في سنة ١٩١٣ اي في الوقت الذي كتبنا فيه هذه النبذة (١)

(ANDRES). Cartas sobre la musica de los Arabes, 1787.

(LA BORDE). Essai sur la musique ancienne et moderne. Paris, 1780.

(VILLOTEAU). Mémoire sur la musique, t. XIII. et XIV de la Description de l'Egypte (Travaux de l'expédition française). Paris, 1823 - 26.

(KOSEGARTEN). Ali Ispahanensis liber cantilenarum. Gripesvoldix, 1840.

(KIESEWETTER). Die Musik der Araber nach originalquellen dargestellt. Leipzig, 1842.

(SORIANO FUERTES). Musica arabe-espanola. Barcelone. 1854.

(BARBIER DE MEYNARD). Ibrahim, fils de Mehdi: Journal Asiatique, 1869.

(CHRISTIANOWITSCH). Esquisse historique de la musique arabe aux temps anciens. Cologne, 1863.

(SALVADOR DANIEL). La musique arabe. Alger, 1863.

(A. W. AMBROS). Geschichte der musik. Breslau, 1862.

(ELI SMITH). Mémoire publié par la Société orientale d'Amérique, 1847 : A Treatise on Arab Music.

(HAMMER - PURGSTALL). Literatur der arabische und persische musik. Vienne, 1839.

(W. LANE). An Account of the manners and customs of the modern Egyptians. Londre, 1836.

(CAUSSIN DE PERCEVAL). Notice sur les musiciens arabes: Journal Asiatique, 1873.

(CARL ENGEL). Catalogue des instruments de musique du Musée de South-Kensington, 1874.

(CL HUART). Etude sur trois musiciennes arabes: Journal Asiatique, 1884.

(LAND). Recherches sur l'histoire de la gamme arabe. Leyde, 1884.

(ID.) Remarks on the earlist development of the Arabic music.

(ID.) Essais de notation musicale chez les Arabes et les Persans 1885.

(ID.) Over de toonladders der arabische Muzick. Amsterdam, 1880.

(DECHEVRENS). Etudes de science musicale. II, appendice IV.

(FETIS). Histoire de la musique, t. II.

(DOM J. PARISOT). La musique orientale: Tribune de Saint-Gervais, 1898.

---

(١) نورد هذه المؤلفات باسمائها الاصلية اذ لم نر فائدة من تعريبها فمن يعرف من اللغات لغة وكان في حاجة الى كتاب من هذه الكتب فهو في حاجة الى معرفة الاسم الاصلي ومن لا يعرف الا اللغة العربية فهو في غنى عن هذه الكتب . (المعرب)

(Id.) Rapport sur une mission scientifique en Turquie d'Asie. Paris, 1899.

(B. Carra de Vaux). Le Traité des Rapports musicaux de Safi ed Din : Journal Asiatique, 1891.

(P. Collangettes). Etude sur la musique arabe : Journal Asiatique, 1904—1906.

(Laffage). La Musique arabe: ses instruments, ses chants, facicules I, II, III. Tunis, 1905.

(J. Rouanet). Esquisse pour une histoire de la musiqne arabe : Mercure musical, 1905—1906.

(Id.) La Chanson populaire arabe: Revue musicale, 1905.

(Id.) La musique arabe. Conférence au Congrès des Orientalistes d'Alger, 1905.

(J. Rouanet et E.-N. Yafil). Répertoire de musique arabe et maure (notation moderne). Alger, 1905.

(Raouf Yekta Bey). La musique et les Modes orientaux: Revue musicale, 1907.

(Id.) Demetrius Cantemir : Revue Musicale, 1907.

فالموارد الموسيقية لم ترد جميعها . وكم من المسائل كان حلها في الامكان استمرت على حالها من الغموض . زد على ذلك ان اللذين توجهوا الى هذه المباحث لم يهتموا للبحث عن موارد جديدة . كما ان الكثير من المؤلفين كان يصرح بنفسه بانه يجهل الموسيقى او انه لم يكن يشغف منها الا بالجانب الخاص بالاقاصيص والاساطير كما ان فريقاً آخر لم يفعل شيئاً سوى انه نقل عن الذين سبقوه وكرر اغلاطهم بلا بحث ولا مراجعة فكانت لمصنفاته الضخمة التي كلفته مقداراً كبيراً من المشقات صفة المصنفات العديمة الفائدة

وعلى ذلك وجب ان نقول امام هذا التقصير الحادث امام المباحث الموسيقية ان هذه المادة لم تتناولها معاول البحث الا من اطرافها . ولا زال هناك حقل فسيح للعمل مملوء بالفوائد العظيمة والاخبار الهامة يحتاج للايدي العاملة والمجهودات الكبيرة

ان غرضنا هنا بعرض خلاصة ما نعرفه في الوقت الحاضر عن الموسيقى العربية وبالمقابلة ما بين الموسيقيين المصريين والموسيقيين القدماء هو ان نوجه التفات العلماء الموسيقيين بنوع خاص الى فن كان له عصور عز ومجد خاصة به . على انه لم يبلغ تلك الصورة التي نريد ان نتمثلها عند ما نفكر بموسيقانا المصرية وهذا بسبب جوده النوعي . وليتسنى لنا اصدار حكما في امره وجب علينا ان نضع انفسنا في البيئة التي عاش فيها وفي الزمن الذي احتواه شأننا مع المصورين الاول في التاريخ

ولكي نستطيع ان نفهم هذا الفن تمام الفهم وجب ان يكون لنا ذات الفكرة العربية ، وان نشعر بالغرض الفني كما كان يشعر به معاصرو الخلفاء .وان نخلق في رؤوسنا عقلية موسيقية مجردة من جميع معلوماتنا الفنية . وجب ان تكون جواسنا المدركة للذة الموسيقية بل ان تكون حاسة تلك اللذة نفسها عندنا سواء في التأدية أو في السماع سواء في العوامل الكامنة في أعماق نفوسنا أو الخارجة عنها مشابهة كل الشبه لحاسة تلك اللذة التي يشعر بها الفنان العربي . أي انه وجب ان تكون طبيعتنا الموسيقية شبيهة بطبيعة ذلك الموسيقي العربي من جميع الوجوه .

أما اذا كان هذا الاستعداد معدوماً في طبيعتنا ، لا أثر له في نفسيتنا فليس امامنا الا ان نعترف ان درس الموسيقى العربية يستحق كبير اهتمامنا وشديد رغبتنا فيه . اذ من شأنه ان يجعلنا ملمين بفن عريق في القدم اخترق حلقات كثيرة من القرون ، بفن ذي حيوية عجيبة مدهشة عاش ما يزيد على عشرة من القرون على حالة واحدة وبغير ان يناله اقل تغيير بالرغم من كل ما يمكن ان يحدثه سوء النقل وبالرغم من انه حرم من التدوين ذلك العامل الوحيد الذي من شأنه ان يحفظ الاشياء ويتناولها من ايدي القدم ليسلمها الى ابدي العصور الحديثة .



دائرة المعارف الموسيقية

الفصل الاول

العصر السابق للاسلام

الامر الذي لامجال فيه للنزاع هو ان الموسيقى العربية ليست فنا ناشئاً بذاته بل لم تكن أبداً فناً مستقلا بنوعه وجنسه بغير ان تكون مديونة بشيء من الاشياء للشعوب الاخرى .

ولاشك قد تكونت من أصل آخر وجد في العصر السابق للاسلام قد يرجع الى [العبرانيين والأشوريين والمصريين .

ولا يجب الالتفات الى رأي بعض المؤرخين الذين يزعمون ان عصر الادب والفنون الاسلامية لم يبدأ الا منذ ظهور النبي ، ويؤكدون ان الامة العربية كانت حتى هذا التاريخ في عصر الجاهلية .

ان الجاهلية لا يمكن ان تكون الا نعتاً للجهل الديني . والامر المقرر هو ان دعوة محمد قد اخرجت الامة العربية من دائرة الجهل بالايمان .

على اننا مقابل ذلك نسلم بأنه فيما يختص بالموسيقى كان لقبائل الحجاز واليمن أساس محلي وجنسية ذاتية وطابع أصلي. ولكن جاء الفن اليوناني فيما بعد ثم تبعه الفن الفارسي فتركا عليها أثراً عميقاً من آثارهما كان يتزايد بارتقاء الامة العربية في مدارج الحضارة وبابتعادها عن خشونتها القديمة وعوائدها البدوية منصرفة الى حياة الرفاهية والتنعم والراحة التي ترافق عادة الشعوب المنتصرة المشغوفة بالابهة والملذات

والمعروف عن الموسيقى العربية في ذلك الزمان شيء قليل .ولا نملك عنها سوى بعض الاساطير والقرائن أي الآراء المبنية على الحدس والاستنتاج . ولكن الامر المؤكد هو ان الموسيقى العربية لم تخرج الى عالم الوجود كما خرجت الآلهة مينرفا من فكر عطارد بخوزتها وعدتها أي ان هذه الموسيقى لم تظهر هكذا فجأة كما هي . واليوم الذي كانت فيه الخلافة على وشك ان توطد نفوذها طاب للمأمون ان يسمع فرقة موسيقية . اذن فالآلات الموسيقية كانت متداولة . واذن كان الفن في عالم الوجود أيضاً .

على اننا من هذه الناحية نجد انفسنا داخل حدود الاساطير وليس لدينا سوى هذا المورد نستقي منه ما يعوزنا من المعلومات التي تبدد الظلمات عن ذلك الماضي البعيد .

ففي بعض هذه الاساطير يروى ان الموسيقى من اصل الهي . الله القادر هو الذي اخترعها ليلهو بها وقد تراءى له ان يعلمها للملائكة فتفوق بعضها في هذا الفن ومنها الملاك حارث الذي دبر فيما بعد ثورة العصيان ضد الخالق العظيم .

وعند ما طرد خالق النور تلك الارواح الشريرة من فردوس النعيم طرداً أبدياً وقذف بها الى هاوية الظلمات عقاباً لها على ثورتها ضد ارادته المثلثة التقديس نسي في ثورة غضبه العادل انه اطلعها على أسرار الصوت الجميل العجيب .

اما تلك الملائكة المغضوب عليها وبينها الحارث الذي استبدل اسمه باسم ابليس فقد اخذت تستفيد من علم الموسيقى بان تستعمله في غواية الناس ودفعهم الى اقتراف الخطيئة . فأدرك الله حينئذ مقدار القوة الكبيرة التي وضعها بين ايدي أعدائه وصمم على ان يجردهم من الذاكرة الموسيقية . ولكن ابليس كان الاسبق اذ كان قد بدأ بتعليم الناس تلك الموسيقى السموية وباضطلاعهم على مبادىء نغمة الاصفهان . على كل حال فقد نفذت ارادة سيد الكون في اللحظة التي شاءها وفقد ابليس مزية الحافظة الموسيقية . وكان المصاب عظيماً اذ لم يستطع الناس ان يعرفوا كلما يتعلق بأسرار تلك النغمة الالهية (١)

---

(١) كثيرة هي التحفظات التي يتمسك بها مؤلفو العرب في علم النغمات الموسيقية .

فقد جاء في الكتاب الخطي المنسوب لكمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب الارفوي ما يأتي :

في النغمات ما نعرفه وما لا نعرفه . والاصفهان من النغمات التي لا نعرفها .وهو أجمل النغمات قاطبة بل هو جميل الى حد لا يستطيع ان يعرفه الا الله .

والرأي الشائع ايضاً عند المتصوفين وعلماء الدين في الاسلام هو ان الله في البدء خلق الوجود وأبرزه في تلك الصورة المتناهية في الكمال والعظمة والجمال مما جعل جميع عباده يعتبرون ذلك الكون صنع قدرة الهية بلا جدال

ولما كانت مشيئته تعالى ان يعمر الارض بالسكان فقد خلق في تلك اللحظة بعينها وقبل ان يكون الانسان جميع تلك الارواح التي من شأنها ان تحرك اجساد البشر في مستقبل الدهور وفي الازمان التي حددها لحياة الناس حتى يوم الحشر . وبعد تكوينه لتلك الارواح التي برزت من الا لانهاية الالهية أمر الخالق السبع الكواكب السيارة والاجرام الفلكية الاخرى بالسير فتحركت وسمعت الارواح حينئذ تلك الانغام التي أحدثتها تلك الكواكب بحركاتها المتزنة . ولكن هذا العدد العظيم الذي لا يحصى من الارواح التي حضرت تلك الحفلة الموسيقية السموية انقسم الى ثلاث طوائف : الطائفة الاولى قد امتازت بحاسة اللذة الموسيقية العظمى. والطائفة الثانية كانت أقل منها شعوراً بهذه اللذة . والطائفة الثالثة وقد حوت رهطاً كبيراً على انه رهط الاقلية كانت مجردة كلية من هذه الحاسة . ومن هنا جاء الشعور العام باللذة الموسيقية عند القسم الاكبر من بني الانسان . أما الذين تجردوا من هذا الشعور فتلقى اليهم نظرة كتلك التي تلقى الى مخلوقات ناقصة مجردة من العاطفة .

وهناك رأي آخر أورده عبد القادر بخصوص أصل الموسيقى هو :

لما خلق الله آدم أمر الروح ان تدخل الجسد الذي خلق لها . وفي الحال بدأ نبض آدم بوظيفته . ولما كان الخالق قد منح آدم موهبة الصوت . ولما كان لنبض آدم حركة متساوية منتظمة فقد اجتمع فيه الموسيقى والميزان . وقد تسنى له بذلك ان يسبح الخالق وان يملأ الارجاء بأجمل وأعظم الاناشيد.

وهناك ايضاً رواية اخرى يرددها جميع مؤلفي العرب تضمنت بعض التفصيلات الهامة.

يقول المسعودي(١) : سأل الخليفة المعتمد ذات يوم الشاعر عبيدالله بن خرداذبه عن اصل الموسيقى فجاوب ابن خرداذبه بما يأتي :

« قد قيل في ذلك يا امير المؤمنين اقاويل كثيرة :

ان اول من استعمل العود هو لامك بن متوشالح بن محويل بن عباد بن اخنوخ بن قابين بن آدم .

وكان للامك ولداً يحبه حباً شديداً اختطفه الموت فعلق جثته بشجرة فتقطعت اوصاله ولم يبق الا الفخذ والساق والقدم مع الاصابع . فأخذ لامك قطعة من الخشب وهذبها وصقلها بعناية وصنع منها عوداً جاعلا صدره (قصعته) بشكل الفخذ وعنقه بشكل الساق ورأسه (بنجاقه) بشكل القدم والملاوي مثل بها الاصابع والاوتار مثل بها العروق . حتى اذا انتهى من ذلك عزف عليه واخرج منه أصواتاً موسيقية وانشد نشيداً محزناً مستصحباً العود . . .

والعرب يبدعون في طريقة الهرب من المناقشات الدقيقة والابتعاد عن الجزم والفصل في المسائل وما أسرعهم في التزام الصمت قائلين «ولكن الله اكبر» والله أعلم .

(١) الامر الذي يجب ملاحظته هو ان المسعودي كان من مدوني الحوادث اكثر منه مؤرخاً . وان الشاعر عبد الله ابن خرداذبه يسطر هنا روايات لا ندرك لها معنى .

وقد اخترع توبال بن لامك الطبول والدفوف واخترعت ضلال بنت لامك ايضاً المعازف. واخترع شعب لوط الطنابير. واخترع الاكراد آلة موسيقية من آلات النفخ ليجمعوا بها قطعانهم. وأهل خراسان والاقطار المجاورة لها كانوا يغنون على الصنج وهو آلة ذات سبعة أوتار. وكان لاهل الري وطبرستان والديلم (١) الطنابير. وكان غناء النبط والجرامقه بالعيروارات. وللهند الكنكله Konkola التي ليس لها سوى وتر واحد مشدود على قرعه.

وكان الحداء في العرب قبل كل غناء وقد كان مضر بن نزار بن معد في سفر فسقط عن البعير وانكسرت يده فجعل يقول « يايداه يايداه » فطربت الابل لنغمة هذا النحيب وجدّت في سيرها فوضعت العرب من ذلك شعراً من بحر الرجز وجعلوه للحداء. ثم ارتقى رويداً رويداً الى ان اصبح ذاك النوع المعروف عندهم بالنصب. وهذا النوع ثلاثة اجناس الركباني والسناد الثقيل والهزج الخفيف. وكان العود يسمى في ذلك العهد مزهر. وكان غناء اهل اليمن بالمعازف. ولم يكن لهم في العزف سوى طريقة واحدة. ولكن كان لهم نوعان من الغناء الحميري والحنفي والاخير احسنهما»(٢)

(انتهى كلام المسعودي)

---

(١) ورد في الاصل هكذا Deiloun وهذه تقرأ ديلون وصحتها Dailam. (المعرب)

(٢) وللمقابلة وزيادة الفائدة نورد هنا ما قاله المسعودي بنصه في كتاب مروج الذهب:

وكان المعتمد مشغوفاً بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة انواع اللهو والملاهي. وذكر عبد الله بن حردادبه انه دخل عليه ذات يوم وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والحجى فقال له اخبرني عن اول من اتخذ العود. قال ابن حردادبه: قد قيل في ذلك يا أمير المؤمنين اقاويل كثيرة، اول من اتخذ اللهو لمك بن متوشلح بن محويل بن عاد بن اخنوخ بن قاين بن آدم. وذلك انه كان له ابن يحبه حباً شديداً فمات. فعلقه بشجرة فتقطعت اوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والاصابع. فاخذ خشباً فرققه والصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق. ورأسه كالقدم. والملاوى كالاصابع. والاوتار كالعروق. ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود. قال الحدوني:

وناطقٍ بلسانٍ لا ضميرَ له كأنّه فخذٌ نيطت الى قدم
يبدي ضمير سواه في الحديث كما يبدي ضمير سواه منطق القدم

واتخذ موسك بن لمك الطبول والدفوف. وعملت ضلال بنت لمك المعازف. ثم اتخذ قوم الطنابير يستميلون بها الغلمان. والاكراد نوعاً مما يصفر به فكانت اغنامهم اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس الناى للعود والشاني للطبلوت والسرياني للطبل والسنج والصنج. وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهي لهم. ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطروق الملوكيه وهي سبع طرق فاولها سكاف وهو اكثرها استعمالا. لتفعل الانهار وهوافصحها مقاطع. وامرسه وهواجمعها لمحاسن النغم واكثرها تصعداً وانحداراً. ومادار وسنان وهو اثقلها. وسابكاد وهو المحبوب للارواح. وسسم وهو المجلس المنقل. وحوبران وهو الدرج الموقوف على نغمة. وكان غناء اهل خراسان وموالاها بالزنج وعليها سبعة اوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج. وكان غناء اهل الري وطبرستان والديلم بالطنابير. وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهي. وكان غناء النبط والجرامقه بالعيروارات وايقاعها يشبه

ويقدم لنا ابن خلدون وهو من مؤلفي القرن الرابع عشر دليلا على وجود نوع من انواع الموسيقى قبل عصور الاسلام اذ يقول :

ايقاع الطنابير . وقال فندروس الرومى جعلت الاوتار اربعة بازاء الطبائع . فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء . والمثنى بازاء الدم . والمثلث بازاء البلغم . والبم بازاء المرة السوداء . وللروم من الملاهي الاوعر وعليه ستة عشر وتراً اوله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين . والسلبان وله اربعة وعشرون وتراً وتفسيره الغصون. ولهم اللوزا وهي الرباب وهي من خشب ولها خمسة اوتار . ولهم القشاوة ولها اثنا عشر وتراً . ولهم الصليج وهو من جلود العجاجيل . وكل هذه معازف مختلفة الصفة . ولهم الارغن وهو منافخ من الجلود والحديد . وللهند الكيكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج. قال : وكان الحداء في العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير في بعض اسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه وكان من احسن الناس صوتا فاستوسقت الابل (قال الجوهري استوسقت الابل اجتمعت) وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر وجعلوا كلامه اول الحداء فن قول الحادى :

ياهاديا ياهاديا ويايداه يايداه

فكان الحداء اول السماع . والترجيع في العرب ثم اشتق الغناء من الحداء . ونحن نساء العرب على موتاها . ولم تكن امة من الامم بعد فارس والروم اولع بالملاهي والطرب من العرب. وكان غناؤهم النصب ثلاثة اجناس الركباني والسناد الثقيل والهزج الخفيف(وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمي وكانت العرب تسمي القينة الكرينة (والكرينة المغنية الجمع كران)

والعود المزهر . وكان غناء اهل اليمن بالمعازف وايقاعها جنساً من واحد وغناؤهم جنسان حنفي وحميري . والحنفي احسنهما ولم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحرث بن كلده بن علقمه بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من العراق وافداً على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه . فقدم مكة . فعلم اهلها . فاتخذوا القينات . (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكه . ويهيج النفس ويسرها . ويشجع القلب . ويسخي البخيل . وهو مع النبيذ تعاون على الحزن الهادم للبدن . وتحدثان له نشاطا . ويفرجان الكرب . والغناء على الانفراد يفعل ذلك . وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر :

لا تبعثن على همومك اذ ثوت غير المدام ونغمة الاوتار

فلله در حكيم استنبطه . وفيلسوف استخرجه . اي غامض اظهر . واي مكنون كشف . وعلى اي فن دل . والى اي علم وفضيلة سبق . فذلك نسيج وحده . وقريع دهره . (وقد كانت الملوك) تنام على الغناء ليسري في عروقها السرور . وكانت ملوك الاعاجم لا تنام الا على غناء مطرب او سهر لذيذ . والعربية لا تنوم ولدها وهو يبكي خوف ان يسري الهم في جسده . ويدب في عرقه . ولكنها تنازغه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور . فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله . والطفل يرتاح الى الغناء . ويستبدل ببكائه ضحكا . وقد قال يحيى بن خالد بن برمك : الغناء ما اطربك

« كما سبق القول . كان العرب قبل الاسلام وقبل ان يلموا بالموسيقى والفنون الاخرى يجيدون الشعر ويرتجلونه .

فارقصك . وابكاك فاشجاك . وما سوى ذلك فبلاء وهم . (قال المعتمد) قد قلت فاحسنت ووصفت فاطنبت . واقمت في هذا اليوم سوقاً للغناء وعلم أنواع الملاهي . وان كان كلامك لمثل الثوب الموشى يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان . فما صنعة المغني الحاذق ؟ قال ابن حرداديه : المغني الحاذق يا امير المؤمنين من تمكن من انفاسه . ولطف في اختلاسه وتفرغ في اجناسه . (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم انواع الطرب؟ قال: على ثلاثة اوجه يا اميرالمؤمنين.وهي طرب محرك مستخف لاريحية ينعش النفس ودواعي الشيم عندالسماع. وطرب شجن وحزن . لا سيمااذا كان الشعر في وصف ايام الشباب والشوق الى الاوطان . والمراثي لمن عدم الصبرمن الاحباب. وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس . لا سيما عند سماع جودة التأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره . بل تراه متشاغلا عنه . فذلك كالحجر الجلمد . والجماد الصلد . سواء وجوده وعدمه . وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين : من عرضت له آفة في حاسة الشم كره رائحة الطيب . ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه . (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء ؟ قال : قد قال في ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر . وقد أوضحوا الايقاع ووسموه بسمات . ولقبوه بألقاب وهو أربعة اجناس : ثقيل الاول وخفيفه . وثقيل الثاني وخفيفه . والرمل الاول وخفيفه . والهزج وخفيفه . والايقاع هو الوزن . ومعنى اوقع وَزَنَ . ولم يوقع خرج من الوزن . والخروج ابطاءعن الوزن أو سرعة . فالثقيل الاول نقره . ثلاثة . ثلاثة . اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة . وخفيف ثقيل الثاني نقرة . اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مردودتان . وخفيف الرمل نقرة . اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة . والهزج نقره . واحدة واحدة مستويتان ممسكة . وخفيف الهزج نقرة واحدة . واحدة . متساويتان في نسق واحد أخف قدراً من الهزج . والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثاني وخفيفاهما . وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخوري . وانما سمى بذلك لان ابراهيم بن ميمون المولى وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء في هذه المواخير بهذه الطريقة . والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم ومطلق .

وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها القابا تميزها كالمحصور والمخبول والمجنوث والمخدوع والارواح . والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يوناني . صنعه أصحاب اهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان . فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فاطرب . والطرب رد النفس الى الحالة الطبيعية دفعة . وكل وتر مثل الذي يليه ومثل ثلثه . والدستان الذي يلي الانف موضوع على خط التسع من جملة الوتر . فهذه يا أمير المؤمنين جوامع في صنعة الايقاع ومنتهى حدوده . ففرح المعتمد في هذا اليوم وخلع علي ابن حرداديه وعلى من حضره من ندمائه . وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور » . انتهى المنقول من مروج الذهب للمسعودي . (المعرب)

وفي ذلك الزمان الذي لم يكن العرب فيه سوى قبائل متنقلة تائهة . وقبل ان ترتقي عقولهم بمزاولة جميع الفنون التي ترافق الحضارة . لم تكن موسيقاهم سوى أغان يحدون بها ابلهم : أغان كانت بالحقيقة تعبر عن العواطف الملتهبة الجائشة في صدور هؤلاء الرعاة .

ولما بدأ العرب يهجرون عاداتهم البدوية القديمة بعد ذلك بزمن وأصبحوا فاتحي العالم . نبذوا وازدروا كل مالم يكن مطابقاً للقرآن وتعاليمه . ولم يبق لهم مايصنعون الا قراءة هذا الكتاب المقدس وكان غناؤهم لا يزال على ما كان عليه أيام كانوا يسكنون البادية . ولكنهم لما أصبحوا سادة كنوز اليونان والفرس . طابت لهم حياة الملذات وأصبحوا على جانب كبير من النعومة والترف ورقة الحاشية فنزح الموسيقيون والمغنون من بلاد الروم والفرس الى الحجاز وصاروا موالي العرب أولئك الذين كانوا يحسنون معاملتهم . ولم يمض زمن حتى ظهر بين العرب مغنون ساوت شهرتهم شهرة مغني الفرس امتاز مما بينهم نشيط (١) الذي كان من أصل فارسي . وطويس وسائب خاثر (٢) مولى عبد الله بن جعفر . وفي ذلك العصر بدأ العرب يغنون غناء الفرس . وقد ظهر بعد ذلك معبد وابن سريج (٣) وسواهما من المشهورين مثالها فأتقنوا فن الغناء دون ان يتخلوا في ذات الوقت عن مبادىء اساتذتهم وما زالوا يتدرجون في اسباب الرقي حتى بلغوا بالفن حد الكمال وكان ذلك في دولة بني العباس وعلى عهد كبار الموسيقيين امثال ابراهيم المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابن ابنه حماد (٤)

وقد أصبحت بغداد في ذلك العهد مركزاً للفن الموسيقي وارتقت ألحان هؤلاء الاساتذة الذين سبق ذكرهم الى ان اصبحت على هذا المثال الذي يرقص له العالم المتمدن طرباً حتى اليوم » (٥) (انتهى كلام ابن خلدون).

---

(١) ورد في الاصل Mechit ويقرأ مشيت وصحته نشيط كما ذكرناه في التعريب (المعرب)

(٢) ورد في الاصل (Zavis) ويقرأ زاويس وصحته ان يكتب (Towaïs) ثم ورد ايضاً (Kathir) ويقرأ كاثر وصحته (Khathir) خاثر . والقارىء للاصل يظن الاسمين واحداً اذ وردا هكذا ملتصقين : (Zavis Saïb Kathir) (المعرب)

(٣) ورد في الاصل (Meid Ibn Chorih) ويقرأ ميد بن شريح وصحته (Maabad et Ibn Soureidje) معبد وابن سريج كما ذكر في التعريب (المعرب)

(٤) ورد في الاصل Ibrahim, Mahodi, Ibrahim de Mossoul, son fils Ibrahim El Mahdi, : وهذا خطأ صحته كما يأتي : Ishak et son petit fils Hamed Ibrahim El-Mousseley ou de Moussel, son fils Ishac et son petit fils Hammad (المعرب)

(٥) ونورد هنا ايضاً ماجاء في مقدمة ابن خلدون بنصه :

وأما العرب فكان لهم أولا فن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا ينعطف على الآخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتجزئة أولا ثم بتناسب الاجزاء في المقاطع والمبادي ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها . فلهجوا به فامتاز من بين كلامهم بحظ من

بالرغم مما تقدم فلا تزال الظلمات تحيط بالاخبار الموسيقية في العصور السابقة للاسلام .ومنذ ذلك الزمن الذي نزح فيه ابناء اسماعيل عن الحجاز وعمروا نجداً والعراق وما بين النهرين وسوريا وتاريخ العرب خلو من المستندات والادلة .

لقد احتلت البلاد القبائل المختلفة وأخذ العرب يعيشون من قطعانهم وليس في حديث الرواة شيء سوى اخبار معاركهم سواء بسبب المراعي أو النساء .وفيما خلا ذلك لا نجد الا اخباراً ضئيلة عن غزو قوم عاد للسهول الكائنة ما وراء نهر الفرات سنة ٢٢١٨ قبل المسيح .وهزيمتهم امام ديلوس (Delus) سنة ٢٠٣٣ ق . م واستيلائهم على مصر السفلى (الوجه البحري) سنة ٢٠٤٢ ثم قيام امورد (Amord) سنة ١٨٩٨ وطرده لهم منها يتبع ذلك صمت طويل حتى ظهور الاسلام .

الشرف ليس لغيرهم لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لاخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكا لقرائحهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب . واستمروا على ذلك . وهذا التناسب الذي من أجل الاجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هومعروف في كتب الموسيقى . الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم ينتحلوا علما ولا عرفوا صناعة . وكانت البداوة أغلب نحلهم . ثم تغنى الحداة منهم في حداء ابلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوت وترنموا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غناءً . واذا كان بالتهليل أو نوع القراءة تغبيراً بالغين المعجمة والباء الموحدة . وعللها أبو اسحق الزجاج بانها تذكر بالغابر وهوالباقي . أي بأحوال الآخرة . وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره. وكانوا يسمونه السناد . وكان أكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحلوم. وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو من أوائلها ولا يبعد ان تتفطن له الطباع من غير تعليم. شأن البسائط كلها من الصنائع . ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم . فلما جاء الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدته في ترك أحوال الفراغ وماليس بنافع في دين ولا معاش . فهجروا ذلك شيئاً ما . ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو ديدنهم ومذهبهم . فلما جاءهم الترف . وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ . وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب . وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير . وسمع العرب تلحينهم للاصوات فلحنوا عليها أشعارهم . وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خاثر مولى عبيد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر . ثم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج وأنظاره . وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى ان كملت أيام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد . وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد وأمعنوا في اللهو واللعب . واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفاً وحده . واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج وهي تماثيل

فتلك الاربعة والعشرون قرناً خلت من كل آثار الحضارة . وقد اتفق جميع مؤلفي العرب على ان عصور الاسلام هي وحدها التي ايقظت عند تلك الشعوب العريقة في القدم روح الشعر وجعلتها تدرك معنى الجمال وكانت دليلها الى نضارة العيش وترقية العقول .

على انه لايوجد على الارض مخلوق الا وهو يشعر احيانا انه في حاجة الى ان يزن حركاته او ان يسوق بنات افكاره في نغم موزون مهما كان هذا المخلوق ساذجاً .

فالامر الذي لاشك فيه هو ان ذلك العربي كان يغني حتى قبل الاسلام . كان يغني بسجيته وغريزته متخذاً له ميزانا موسيقياً من حركة بعيره المتزنة خلال تلك المراحل الطويلة مخترقاً تلك الصحارى المحزنة.

وقد قال شارل هورت (Ch. Huart) في كتابه المسمى آداب اللغة (Littérature arabe) في الصحيفة الرابعة ما يأتي :

« لقد ادرك العربي للوهلة الاولى انه عند ما كان يستقيم ميزان لحنه كانت الابل تمد اعناقها وترفع رؤوسها وتنظم خطواتها وتسرع في سيرها . يظهر من ذلك ان للموسيقى او للميزان الموسيقي شيئاً من التأثير على هذا الحيوان المشهور بالغباوة والحقد . وقد كانت خطواته الاربع الثقيلة أساساً للميزان . ومقاطع الكلام من مقصورة وممدودة كونت في تعاقبها مفاصل ذلك الميزان . فكان الحداء ذلك الغناء الذي اختص به حادي العيس .

وقد كان ذلك أصلا للعروض الذي اخترعته بالصدفة قريحة ذلك البدوي الساذج في وسط تلك الحياة الصامتة المملة والذي وضعت قواعده فيما بعد »

يريد واضع الرواية العربية التي اوردناها هنا ان ينسب الحداء الذي يعتبر اقدم شاهد عن الذوق الموسيقي العربي للصدفة . أما نحن فنظن انه كان في مستطاع ذلك البدوي ان يجد الميزان في غريزته وطبيعته حتى ولو لم يقع ذلك الحادث المنسوب لمضر

يرى أفلاطون ان العالم قد صدر عن مبدئين مبدء الوحدة أي الفكرة (فكرة الخير) ومبدء الكثرة أي ما يقبل القسمة والتجزئة (اي المادة) والى جانب هذه النظرية يرى دورياك الفيلسوف

خيل مسرّجه من الخشب معلقة بأطراف اقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويثاقفون . وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والاعراس وأيام الاعياد ومجالس الفراغ واللهو . وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق . وانتشر منها الى غيرها وكان للموصليين غلام اسمه زرياب أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه الى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ في تكرمته وركب للقائه وأسنى له الجوائز والاقطاعات والجرايات وأحله من دولته وندمائه بمكان . فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى أزمان الطوائف وطمى منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقيا والمغرب وانقسم على امصارها وبها الآن منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها . وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كمالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح . وهي أيضاً اول ماينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله أعلم » انتهى . (المعرب)

الفرنسي في كتابه المسمى تجربة عن الفكرة الموسيقية (Essai Sur L'esprit Musical) ان العالم الموسيقي يصدر كذلك عن مبدئين مبدء العدد (اي الكمية الزمنية) ومبدء اتحاد العوامل الصوتية الحادة والغليظة فهذه العوامل التي هي عبارة عن ذلك السطح المنحدر الذي تتكون منه الابعاد والنغمات نجدها في عضونا الصوتي . فاذا تكلمنا او صحنا فذلك معناه اننا نتحرك على ذلك السطح الموسيقي الكائن بين حدي الاصوات الحادة والغليظة وهذه هي مادة الغناء والكلام المشتركه التي صنعتها ايدي الطبيعة . يأتي بعد ذلك التأمل والفكرة فينظمان عوامل تلك المادة.

ولا يجب ان يبرح عن الذهن ان العرب قبل الاسلام كانوا مؤكداً ينظمون الشعر سواء في ذكر الحبيبة أو في الحروب أو في الطلول المهجورة أو في ثلب العدو. وقد حفظ التاريخ اسماء بعض هؤلاء الشعراء ونحن نعلم ان الفكرة القديمة عند هذه الطائفة هي ان الشعر وحي من الجن . وكان العرب يصنعون الشعر بغير ان يعرفوا قواعده وبغير عامل سوى سجية القياس الشعري الموجودة في غرزتهم الى ان جاء الخليل في القرن الثامن ووضع قواعد العروض ومنشأ هذه الفكرة انه رأى طائفة من الحدادين يطرقون الحديد بمطارقهم بحركة متزنة منتظمة .

وجميع الشواهد تدل على ان شأنهم في الموسيقى كان كشأنهم في الشعر . فقد اشتغلوا زمناً طويلا في الغناء بغير ان يفكروا ان الخلف سيبحث في الصوت وعناصره وقوانينه ويقدر بكل دقة جميع الابعاد التي كانت اصواتهم تؤديها مهما كان مقدار هذه الابعاد في الصغر . اجل ان غناءهم كان بسيطاً مجرداً ذا مساحة ضيقة كما تدل عليه خطوط بلادهم الافقية ولكن لهؤلاء القدماء جدارة لا تنكر في انهم قد عرفوا ان لا موسيقى بلا ميزان . وهب انهم عجزوا عن انشاء اللحن الذي يفيض جمالا وفناً فكفاهم انهم وضعوا في الموسيقى مذهب الاتزان والترتيب وتحديد الاصوات . وسيسوق اليونان الى العرب فيما بعد قواعد في الميزان الموسيقى اشد متانة وادق تركيباً من قواعدهم اذ ان اليونان سيصنعون بدورهم موازين موسيقية يتجلى فيها ذوقهم الجنسي وتفسيتهم الغريبة وتلك المزايا البارزة الخاصة بشخصية فنهم الموسيقي .

ويظهر ان كلا الشعر والموسيقى عند العرب نشآ بالتقريب في البادية في زمن واحد . ولكن ولو اننا وصلنا الى شيء من بقايا الهجاء القديم عند البدء ولو اننا نمتلك مجموعة المعلقات السبع التي كتبها الملك امريء القيس الذي كان يعتقد محمد انه أشعر الشعراء ورئيسهم (١) ولو اننا نعرف النابغة (الذبياني) شاعر البلاط و Chilar (٢) راوية حرب الفاروق وطرفه شاعر ملك الحيرة عمرو بن هند وزهير بن أبي سلمه ذلك الشاعر المفضل من الخليفة عمر ، وعلقمه بن عباده الملقب بالفحل ،ولو ان رواة العرب أيضاً حفظوا لنا شعراً لا يحصى عن العصور الاولى للادب العربي ولكن لم يصل الى يدنا شيء يحدثنا أقل حديث عن الموسيقى عند الامم البدوية

***

(١) ليست المعلقات جميعها لامريء القيس بل هي لسبعة من شعراء الجاهلية ولامريء القيس واحدة بينها .

(٢) كذا ورد في الاصل ولم نهتد لصحته

لقد كتب بعض مؤلفي العرب في القرن العاشر في الموسيقى فعسى ان يكونوا قد جمعوا من الحوادث ما كشف لهم الستار عن حقيقة موسيقى أسلافهم ومقدار حياتها العملية الطويلة فنستطيع ان نجني منها ثمار بعض الفائدة :

لقد شرح الفارابي (١) الآلات الموسيقية التي كانت متداولة في زمانه بدقة. وقد جمع طائفة من القواعد القديمة ليقابلها بالقواعد التي كان يرغب في ان يدخلها الى الموسيقى العربية . انه عندما يتكلم عن السلم الموسيقي في الجاهلية والدساتين الجاهلية يلوح للقارىء انه انما يحدثنا عن الطرائق الموسيقية العملية التي كانت مستعملة قبل عصر الاسلام والتي كانت لا تزال متداولة في الزمن الذي كتب فيه ما كتب في الموسيقى . تلك الطرائق التي كان يختلف قانونها عن القانون الذي كان مهتماً في ادخاله الى فن الموسيقى . وهذا ما يقول الفارابي عن الطنبور البغدادي الذي كان مستعملا في دمشق على عهده :

« يقسم الوتران المتوازيان في الطنبور البغدادي من جانب الملوى (الملواة) الى خمسة اقسام متساوية تحدّ نقط اقسامها دساتين تشدّ على مقبض الآلة بحيال كل واحدة من نقط الاقسام ويشدّ آخر دستان في هذه الآلة عند $\frac{1}{8}$ ثمن المسافه الكائنة ما بين الحاملة (الفرس) ونهاية القسم المهتز من الوتر من جانب الملواة ؛

ولما كان دستان (س ـ ع) مشدوداً على ثمن كلّ من وتري (ا ـ ج) و(ب ـ د) فتكون نسبة الصوتين (س) و (ع) الى مطلق لوتر كنسبة $\frac{7}{8}$. ولما كان البعد بين (ا) و(س) وبين (ب) و(ع) مقسوماً الى خمسة اقسام متساوية . وكان (ا ـ س) $\frac{1}{8}$ ثمن (ا ـ ج) و (ب ـ ع) $\frac{1}{8}$ ثمن (ب ـ د) . ففي هذه الحالة اذا ما فرضنا ان صوت (ا) يساوي ٤٠ كان صوت (ه) ٣٩ وصوت (ح) ٣٨ و (ك) ٣٧ و (م) ٣٦ و (س) ٣٥ »

ويمكن احكام الوترين بطبقة واحدة اي ان تكون طبقة (ب) كطبقة (ا) بالتمام كما انه يمكن احكامها بطبقتين مختلفتين . وقد جرت العادة على استعمال الضرب الاخير

---

(١) ان ابا النصر محمد الفارابي ذلك الذي نستشهد كثيراً باقواله قد ولد سنة ٨٦٥ مسيحية في مدينة فاراب المعروفة اليوم باترار من مدن تركستان : نزح صغيراً الى بغداد حيث تعلم اللغة العربية والطب والمنطق والفلسفة والموسيقى . ثم عاش في حلب حيث كتب أكثر مؤلفاته وحيث كان يعامل كضيف لمدة حياته عند حاكمها سيف الدولة علي الحمداني وقد مات في دمشق سنه ٩٥٠ مسيحية

وقد دلت مؤلفاته الموسيقية على انه كان شديد الاعجاب باساتذة اليونان الى حد قد أهمل عنده درس مؤلفات معاصرية من أساتذة العرب . مع انه لو وجه

وقد جرت العادة العامة ان يتم تسوية الوترين على قاعدة سلستين مختلفتي الابعاد (١) سلستين متواليتين مشتركتين في أكثر من صوت واحد ، وفي هذه الحالة تكون نسبة جملة احدى السلستين (٢) الى الاخرى مساوية للنسبة الكائنة بين صوتي أي بعد كائن عند النهاية القصوى من أية سلسلة من السلستين . وفي الآلة التي نحن في صددها يفضل عادة تقرير النسبة فيما بين طبقتي صوتي الوترين بنسبة بعض الابعاد الصغار الواردة في سلسلة الاصوات المقررة . ويمكن لكل بعد من تلك الابعاد ان يكون أساساً للصلة الصوتية التي يجب ان تكون بين الوترين . غير ان المزاولين يفضلون ان يجعلوا نظام التسوية (الدوزان) بصورة تكون فيها نسبة جملة السلسلة الكائنة بين (ا — س) للسلسلة الكائنة بين (ب - ع) مشابهة لنسبة (ا) ل (ح) و (س) ل (ع) . وعليه يحزق وتر (ب - د) حتى تبلغ طبقته وهو مطلق طبقة (ح) (أي بنسبة $\frac{19}{20}$) وهذا هو الاحكام (الدوزان) المعروف . »

« ويتبين مما سبق ان الاصوات الاخرى التي يظن بها انها متساوية على الآلة ليست هي بالحقيقة كذلك . على انه اذا احكم احد الوترين على الآخر كما سبق القول ، وجب ان يعالج الوتر (ب ـ د) كي يكون فيه صوت (ز) مساوياً لصوت (ك) ، وتحدد نقطة (ز) على وتر (ب ـ د) ونقطة (ك) على وتر (ا ـ ج) باعتقاد ان طبقة النقطتين يجب ان تكون واحدة حتما ، وكذلك نقطة (ط) و(م) و(ل) و(س) ، ولما كان من المؤكد ان هذه الاصوات متساوية وجب ان تكون نسبة (ب) الى (ز) كنسبة (ح) الى (ك) ، والنسبتان كنسبة ( ) الى (ه) فيتضح اذن من ذلك انه لاينبغي ان تكون

التفاته الي الموسيقى التي كانت تسمعها أذناه وتتداولها الناس من حوله وعلى مقربة منه لامكن له ان يترك للخلف أنباء أكثر وأعظم فائدة من تلك الشروحات والتفصيلات الطويلة التي لم تتناول الاقواعد فيثاغورس واريستوكسين وسواهم من أساتذة اليونان .

(١) هكذا في الاصل: La coutume générale est d'accorder en deux Séries différentes d'intevalles. وتعريبه كما أوردناه في المتن . والفارابي لم يقل هذا القول أي ما معناه ان الوترين مختلفاً الابعاد بل قال ما يأتي بنصه :

« والعادة قد جرت ان يستعمل في الاكثر هذان البعدان المتشابهان في هذه الآلة بتوالي يشتركان في اكثر من نغمة واحدة » (أي في أكثر من صوت واحد)

ولا يمكن أن تكون الابعاد مختلفة كما يقول الاستاذ روانيت الا اذا كان لكل وتر دساتين تختلف مواضعها في الواحد عن مواضعها في الآخر . ومراكز الدساتين الموضحة في الشكل رقم (١) مع الشروح التي أتى بها الفارابي تثبت جميعها ان ليس هناك ابعاد مختلفة بل ابعاد متساوية فعبارة الاستاذ صاحب النبذة حوت خطأ في الترجمة . وهذا دليل من الادلة التي نسوقها في اثبات عجز أكثر علماء الافرنج الذين بحثوا في الموسيقى الشرقية عن ادراك أغراض مؤلفي العرب وفهم أقوالهم وشروحهم الفنية . وسنورد كلام الفارابي في موضعه (المعرب)

(٢) هكذا ورد في الاصل . Alors la proportion de l'ensemble de l'une des Séries à celui de l'autre لم يقل الفارابي السلستين (Séries) بل قال البعدين ، والبعد بالفرنسية بالاصطلاح الفني Intervalle والفرق بين الاثنين بعيد ؟ (المعرب)

مسافات أماكن الاصوات في الوترين متساوية كما يعتقد الناس مما سبق لي قوله في موضع ما من هذا الكتاب حيث كان الغرض اثبات هذا الاعتقاد بل بالعكس يجب ان تكون المسافة بين (ح) و(م) اقل مما هي بين (ا) و(ح) كما يظهر من الحساب ».

فهنا يصحح الفارابي نسب الطنبور البغدادي حسب آرائه الشخصية المتشبعة بالقواعد اليونانية ثم يستأنف شرحه في موضوع الدساتين الجاهلية :

« ومتى سويت هذه الآلة التسوية السابق شرحها اي ان يحزق الوتر (ب ـ د) حتى تساوي طبقة صوت مطلقة طبقة صوت (ح) اصبحت الاصوات (ب ـ ز ـ ط ـ ل) مماثلة بالتمام لاصوات (ح ـ ك ـ م ـ س) وأصبح الصوتان (ا) و(ه) لا اثر لهما على الوتر (ب ـ د)، والصوتان (ن) و(ع) لا وجود لهما في شيء من دساتين (ا ـ ج)، لكن في الامكان اخراجهما في مابين (س) و(ج). وبهذه التسوية يمكن الحصول على ثمانية أصوات »

« ويمكن الحصول على تسويات اخرى سواء أفي الوجه الذي تختلف فيه الابعاد او الذي فيه تتساوى ».

« فاذا ساوى صوت (ب) صوت (ه) اصبح صوت (ا) اثقل من كل صوت يخرج من الوتر (ب ـ د) وصوت (ع) احد من كل نغمة تخرج من دساتين (ا ـ ج)، وفي هذه الحالة تكون الاصوات سبعة»

والتسوية الثالثة هي ان يساوي صوت الوتر المطلق (ب ـ د) صوت (ك) فتصبح الاصوات (ب ـ ز ـ ط) مساوية لاصوات (ك ـ م ـ س) وفي هذه الحالة تكون الاصوات تسعة »

« ومن هذه التسويات أيضاً ان يساوي صوت (ب) صوت (م) فيصبح صوتا (ب) و(ز) مساويين لصوتي (م) و(س)، وفي هذه الحالة تكون الاصوات عشرة »

« والتسوية الاخيرة ان يساوي صوت (ب) صوت (س) فتكون الاصوات في هذه الحالة احد عشر وهذه التسوية اكثر الجميع اصواتا واتفاقات »

كل ذلك لا يرضي الفارابي لانه لا يجد فيه البعد ذا الاربع ولا الاصوات التي تخرج من دساتين العود، لذلك هو يقول :

« وهذه الدساتين التي ذكرنا تسمى الدساتين الجاهلية والالحان المؤلفة من الاصوات التي تسمع من هذه الدساتين تسمى الالحان الجاهلية، وهذه هي التي كانت تستعمل في القدم. اما اكثر المحدثين ممن يستعمل هذه الآلة من العرب فلا يستعملون الدساتين الجاهلية » (١)

***

---

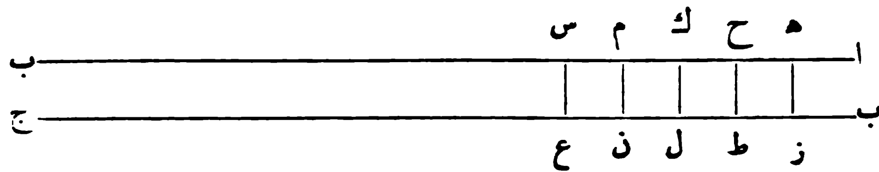
(١) ننشر هنا ما خطه الفارابي بنصه التماساً لزيادة الفائدة :

فصل في الطنبور البغدادي

ونتبع ماقلناه في العود ان نقول في الاشياء التي تجانسه. وأقرب ما يجانسه من الآلات هي الآلة التي تعرف بالطنبور اذ كانت هذه ايضاً يستخرج منها النغم بقسمة الاوتار التي تستعمل فيها؛

(تابع الهامش)

وهذه الآلة أيضاً قريبة في الشهرة عند الجمهور من العود ، واعتقادهم لها والفهم لها يقارب اعتقادهم العود والفهم له ، وتبيان هذه الآلة اكثر الامر يستعمل فيها من الاوتار وتران فقط ، وربما استعمل فيها ثلاثة اوتار ، غير انه لما كان الاشهر فيها استعمال وترين اقتصرنا اولا على ذكرها بوترين ، والذي يعرف منها الاشهر في البلدة التي كتبنا فيها كتابنا هذا صنفان من الالة صنف منها يعرف بالطنبور الخرساني ويستعمل ببلاد خراسان وما قاربها وفيما حواليها وفي البلاد التي تتوغل الى شرق خراسان والى شمالها ، وصنف آخر يعرفه أهل العراق بالطنبور البغدادي ويستعمل ببلاد العراق وفيما قاربها وما توغل منها الى مغرب العراق والى جنوبه ، وكل واحد من هذين الصنفين يخالف الاخر في خلقته وفي عظمه ، ويستعمل في اسفل كل واحد منهما قائمة يسميها اهل العراق الزبيبة (ربما كانت هذه الكلمة محرفة لانها اختلفت في بعض النسخ الخطية فجاءت في البعض كما كتبت هنا وفي البعض الاخر : ذبيبة او دبيبة او ربيبة) فيشد فيها الوتران معاً ثم يمدان جيماً الى وجه الالة ويسلكان هنالك على حاملة واحدة منضدة على الوجه قريباً من نهايته . وفي الحاملة تحزيزان يفرقان بين الوترين ويملك الوتران بعد ذلك الى الطرف المستدق من الالة وينتهيان الى ملويين اما متوازيي الامكنة واما منصوبين على خط واحد في طول الالة ، غير انهما اذا كانا غير متوازيين استعمل في الوتر قبل ان ينتهي الى الملويين تباعد مابينهما على مثال تباينهما في تحزيزي الحاملة فيصير الوتران اللذان يسمع منهما النغم في كل واحد من الصنفين متوازيي الوضع ، ولما كان البغدادي اشهر هذين في البلدة التي كتبنا فيها كتابنا هذا رأينا ان نبتدي أولا بالبغدادي ثم نتبعه بذكر الخراساني ونسلك في كل واحد منهما المسلك الذي سلكناه في العود ، فنقول ان البغدادي يقسم وتراه المتوازيان من جانب الملوى في اكثر الامر بخمسة اقسام متساوية . نحد نقط اقسامها دساتين تشد على مقبض الالة بحيال كل واحدة من نقط الاقسام ، وآخر دستان فيها مشدود على قريب من $\frac{1}{8}$ ثمن مابين الحاملة الى آخر ما يحرك منها من جانب الملوى الخ



ولما كان دستان (س — ع) مشدوداً على ثمن كل واحد من وتري (ا — ج) و (ب — د) صارت نغمتا (ا — س) و (ب — ع) كل واحدة منهما وبعد كل وسبع كل (أي بعد كل الوتر وسبعه) (وفي النسخة المحفوظة بمكتبة ليدLeyde ذكر بعد كل وتسع كل) ولما كان ما بين (ا) و (س) و (ب) و (ع) مقسوماً بخمسة أقسام متساوية و (ا - س) $\frac{1}{8}$ ثمن (ا — ج) و (ب — ع) $\frac{1}{8}$ ثمن (ب — د) ، فلنفرض اذن عدد نغمة (ا) أربعين ونغمة (هـ) بذلك المقدار تسعة

(تابع الهامش)

وثلاثين ونغمة (ح) ثمانية وثلاثين ونغمة (ك) سبعة وثلاثين ونغمة (م) ستة وثلاثين ونغمة (س) خمسة وثلاثين الخ

قد يمكن ان يستعملا (أي الوتران) على انهما متساويا النغم أعني ان يجعل نغمة (ب) مساوية لنغمة (ا) وقد يمكن ان لا يستعملا متشابهين والعادة قد جرت بان يستعملا متشابهين ، والابعاد المتشابهة على ما لخص في كتاب الاسطقسات ، منها ما هي متوالية ومنها ماهي متباينة ، والمتوالية اما مشتركة بنغمة واحدة واما مشتركة بأكثر من واحدة الخ

والعادة قد جرت ان يستعمل في الاكثر هذان البعدان المتشابهان في هذه الالة بتوالي (أي تتوالى فيها الدرجات الصوتية ولا يكون بطبقة واحدة) يشتركان في أكثر من نغمة واحدة ، ومتى استعمل البعدان المتشابهان على التوالي المشتركة باكثر من نغمة واحدة فان نسبة جملة أحد البعدين (أى نسبة المطلق الحاد للمطلق الغليظ) الى الاخرى كنسبة نغمتى أحد الابعاد الصغار التي في جملة أحد البعدين الاعظمين الى الاخرى ، والعادة قد جرت في هذه الالة على الاكثر بان يجعل نسبة أحد هذين المتشابهين الى الاخر نسبة بعض الابعاد الصغار التي في داخل كل واحد منهما وقد يمكن ان يجعل نسبة أحد البعدين المتشابهين الى الاخر نسبة كل واحد من الابعاد الصغار التي في داخله ، غير ان عادة المزاولين في الاكثر قد جرت بان تجعل نسبة جملة بعد (ا — س) الى بعد (ب — ع) كنسبة نغمة (ا) الى نغمة (ح) وكذلك نغمة (س) الى نغمة (ع) فلذلك يحزق وتر (ب — د) حتى يصير نغمة مطلقه مساوية لنغمة (ح) ، وهذه تسويتها المشهورة . وقد تبرهن في كتاب الاسطقسات ان كل بعدين متشابهين كان بين طرفي كل واحد منهما ابعاد صغار من جنس واحد وعلى ترتيب واحد وكان طرف أحدهما يناسب طرف الاخر نسبة ما ، فان النغم التي بين طرفي احدهما تناسب النغم التي بين طرفي الاخر تلك النسبة بعينها

وبهذا تبين ان سائر النغم التي يظن بها انها متساوية ليست متساوية في الحقيقة . لكنهم اذا جعلوا ترتيب احد وتري هذه الالة من الوتر الاخر الترتيب الذى وصفناه تحرّوا ان يجعلوا نغمة (ز) مساوية لنغمة (ك) فانهم اذا فصلوا وتر (ب ـ د) على نقطة (ز) و (ا ـ ج) على نقطة (ك) رأوا انه يجب ان يكونا متساويين وكذلك نغمتي (ط) و (م) ونغمتي (ل) و (س) ومتى كانت هذه النغم مزمعة ان تتساوى فيجب ان تكون نسبة (ب) الى (ز) كنسبة (ح) الى (ك) وهي نسبة (ا) الى (ه) ، فاذا قد تبين ان مسافات امكنة النغم التي في الوترين ليس ينبغي ان تكون متساوية كما يظن وعلى ما اثبت في ما سلف من هذا الكتاب فانه أثبت على ما هو مظنون عند الجمهور لكن يجب ان يجعل ما بين (ح) و (م) اقل مما بين (ا) و (ح) بحسب ما تبرهن . ومما يدل ايضاً على ذلك ويقربه من فهم الجمهور انا ان حزقنا وتر (ب ـ د) حتى يصير نغمة مطلقة مساوية لنغمة (س) ثم طلبنا نغمة (ع) بين (س) و (ج) من وتر (ا ـ ج) وجدناها تبعد عن (س) الى ناحية (ج) بمسافة اقل من مسافة مابين (ا) الى (س) ، فاذن الدساتين المشهورة التي تستعمل في هذه الالة هي مشدودة في غير الامكنة التي يجب ان تكون فيها. فنحن الان نبين اين ينبغي ان تشد فاقول انه يجب ان تفصل من جانب الملوى ربع ما

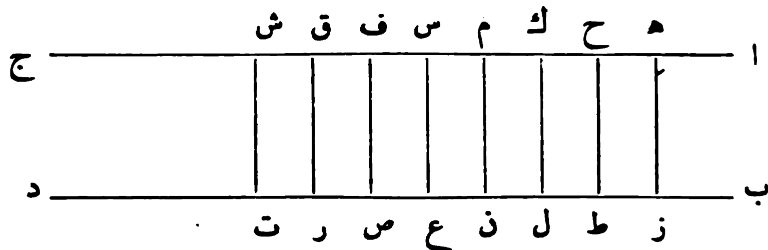
(تابع الهامش)

بين الانف وبين حاملة الوترين وتقسم هذا الربع بخمسة اقسام متساوية ثم نشد دستان على نهاية القسم الاول من الاقسام الخمسة التي قسم بها الربع فيكون ذلك دستان (ح ـ ط) ثم نقسم كل واحد من هذه الخمسة اثنين اثنين فيصير ربع الوتر منقسما بعشرة أقسام متساوية ونشد دستانا آخر على منتصف الربع وذلك على نهاية القسم الخامس من الاقسام العشرة وذلك دستان (س — ع) وهو دستان الخنصر ودستان (ح — ط) وهو دستان السبابة ثم نحزق وتر (ب — د) حتى يساوي نغمة مطلقة نغمة (ح) ثم ننظر أين تخرج نغمة (ط) فيما بين (ح) و (ج) من وتر (ا — ج) فنشد هناك دستانا أيضاً ، فذلك بالحقيقة دستان (م — ن) ثم ننظر أين تخرج نغمة (س) في ما بين (ط الى د) من وتر (ب — د) فهنالك بالحقيقة موضع دستان (ك — ل) وهو دستان الوسطى ودستان (م — ن) دستان البنصر ثم ننظر أين تخرج نغمة (ك) فيما بين (ب) و (ط) من وتر (ب — د) فذلك هو موضع دستان (هـ — ز) بالحقيقة . وهذا الدستان هو ههنا شبيه مجنب السبابة في العودوالنغمة التي تخرج منه قل ما تستعمل . فهذه هي المواضع التى يجب ان تشد عليها هذه الدساتين الخمسة في هذه الالة ومسافات ما بينها متفاضلة غير ان الدساتين المشهورة التي ابعاد ما بينها متساوية ربما قامت أحياناً مقام الدساتين المتفاضلة الخ

ومتى سويت هذه الآلة التسوية التي ذكرت أعني ان يحزق وتر (ب — د) حتى تساوى نغمة مطلقة نغمة (ح) صارت نغم (ب — ز — ط — ل) هى باعيانها نغم (ح ـ ك ـ م س) ويصير نغمتا (ا) و (هـ) غير موجودتين في وتر (ب . د) ونغمتا (ن) و(ع) غير موجودتين في شيء من دساتين (ا ـ ج) لكن يمكن ان يخرجا بين (س) وبين(ج) فيحصل النغم التي فيهذه التسوية ثماني نغم ، وقد يمكن في كل الوجهين أي الوجه الذي استعمل فيه التفاضل ؛ (أي التناقص المتوالي في نسب الابعاد) والوجه الذي استعمل فيه التساوي ان تسوى تسويات آخر احداها ان تجعل نغمة (ب) مساوية لنغمة (هـ) فتصير نغمة (ا) أثقل من كل نغمة توجد في وتر (ب ـ د) ونغمة (ع) أحد من كل نغمة توجد في دساتين (ا ـ ج) فتصير النغم سبعاً ، والتسوية الثالثة هي ان نسوي بين مطلق (ب ـ د) وبين نغم (ك) فتصير نغم (ب ـ ز ـ ط) مساوية لنغم (ك ـ م ـ س) فيجعل في هذه التسوية تسع نغم . ومنها ان نساوي بين نغمة (ب) وبين (م) فيصير نغمتا (ب) و (ز) مساويتين لنغمتى (م) و (س) فيصير عدد النغم في هذه التسوية عشراً ومنها ان نساوي بين نغمة (ب) وبين نغمة (س) فيصير عدد النغم احد عشر . وهذه التسوية أكثر هذه التسويات نغماً واتفاقات . واحصاء الاتفاقات في كل واحدة من هذه التسويات فليس يعسر . وظاهر انه ليس يبلغ في شيء من هذا البعد الذي بالاربعة وليس شيء من هذا النغم موجوداً في الدساتين المشهورة في العود . ومتى أردنا ان نستخرجها في العود فانا نشد على منتصف ما بين أنف العود وبين دستان الخنصر دستاناً ، ثم نقسم ما بينه وبين أنف العود خمسة أقسام متساوية ونشد على تمام قسمين من جانب الانف دستاناً آخر فذلك دستان (ح ـ ط) والدستان الذي شددناه قبل ذلك هودستان (س — ع) فان أردنا بعدذلك ان نستعمل فيه الدساتين المتساوية ما بينها شددنا على تمام كل قسم من

(تابع الهامش)

الاقسام الخمسة دستاناً وان أردنا أن نجعلها متفاضلة ما بينها استعملنا فيها الطريق الذي ذكرناه ، فبهذه السبيل يمكن أن نستخرج هذه النغم من أوتار العود ، وهذه الدساتين التي ذكرناها تسمي الدساتين الجاهلية ، والالحان المؤلفة من النغم التي تسمع من هذه الدساتين تسمى الالحان الجاهلية. وهذه هي التي كانت تستعمل في القديم . فاما أكثر المحدثين ممن يستعمل هذه الالة من العرب فانهم لا يستعملون الدساتين الجاهلية ، لكن ينزلون اصابعهم أسفل من دستان (س . ع) ويجعلون دستان (س . ع) دستان السبابة ويضعون البنصر اسفل منه الى ناحية (ج) ويتلونه بالخنصر ، وآخر كان يضعون عليه خناصرهم هو دون ربع جميع الوتر بشيء صالح القدر. ويجعلون وسطياتهم بين (س.ع) وبين أمكنة بناصرهم ، وأكثرهم يجعلون ابعاد ما بين أصابعهم متساوية ويجعلون مسافات ما بين أصابعهم قريبة من مسافات ما بين الدساتين الجاهلية ، غير أن العادة لم تجر منهم بأن يشدوا على أمكنة أصابعهم دساتين الا مكان السبابة فانهم يستعملون فيه آخر دساتين الجاهلية وهو دستان (س ـ ع) ، ولنعد وتري (ا ـ ج) و (ب ـ د) ولنرتب فيها الدساتين الجاهلية ولنضف اليها دساتين نشدها في أمكنة أصابع المحدثين ولتكن ابعاد بينها متساوية على حسب ظنونهم ولتكن نقطتا دستان الوسطى (ف ـ ص) ودستان البنصر (ق ـ ر) ودستان الخنصر وهو الدستان الاخر (ش ـ ت) فاذا كانت كل واحدة من متساويات ما بين (س) الى (ش) مساوية لكل واحدة مما بين (س) الى نغمة (ا) فنغمة (ف) أربعة وثلاثون و(ق) ٣٣ و(ش) ٣٢ فاذاً أقصى ما يبلغه هؤلا انما يبلغون بعد كل وربع كل وهو أعظم الابعاد الصغار في الاجناس اللينة وهو البعد المقدم في ارخى الاجناس اللينة على ما رتب في كتاب الاسطقسات

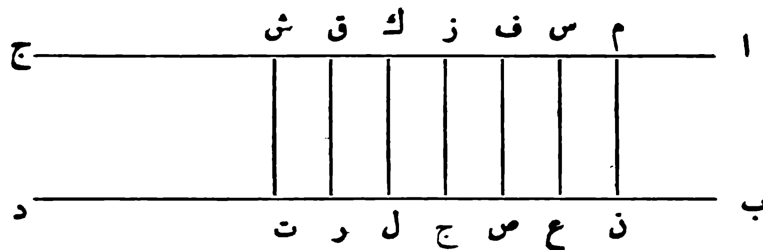


وقد يمكن أن يجعل أيضاً ما بين هذه الدساتين متفاضلة وذلك اما بافراد دستان (ش ـ ت) على نهاية بعد كل وربع كل وأما بازالته عن نهاية هذا البعد. فليكن أولا مقراً على نهاية كل وربع كل ويسوى وتري (ا ـ ج) و (ب . د) بتسويتهما المشهورة ثم ننظر أين مخرج نغمة (ع) فيما بين (س) و(ش) من وتر (ا ـ ج) فنشد عليه دستاناً وهو دستان (ق ـ ر) ثم ننظر نغمة (ش) أين تخرج فيما بين (ع) و (د) من وتر (ب ـ د) فنشد عليه دستاناً وهو دستان (ف ـ ص) فتصير نغمة (ف) ثلثة وثلثين وثلثة عشر جزءاً من تسعة عشر جزءاً ونغمة (ق) ثلثة وثلثين وربعاً، وأما اذا لم نبال أن يزول دستان (ش ـ ت) عن نهاية هذا البعد فاذا انتظر أين تقع نغمة (ن) فيما بين (س) و (ج) من وتر (ا ـ ج) فهنالك دستان (ف ـ ص) ثم نطلب مكان نغمة (ع) فيما بين (س) و(ج) فهنالك دستان (ق ـ ر)

(تابع الهامش)

ثم نطلب نغمة (ص) فيما بين (ق) و(ج) من وتر (ا ـ ج) فحيث وجدناه فهنالك دستان (ش ـ ت) فتكون نغمة (ف) ٣٤ و ⅕ ونغمة (ق) ٣٣ و ¼ ونغمة (ش) ٣٢ و ⅖ وربع خمس وخمس خمس . وهذه الدساتين تسمى دساتين المؤنث والتسوية المستعملة فيها هي التسوية الاولى. وقد يمكن أن يستعمل فيها تسويات اخر سوى التي عددناها فيما سلف . منها أن يساوى بين (ب) و بين (ف) أو بين (ب) وبين (ق) أو بين (ب) وبين (ش) . وليس يعسر أن تحصى النغم التي توجد في الوترين من كل واحدة من هذه التسويات ولا احصاء الاتفاقات التي توجد فيها ،وذلك يسهل على الناظر اذا تأمله أدنى تأمل. وقد يمكن أن يشد فيما بين (س) وبين (ش) دساتين أكثر حتى يكون عدد ما بينهما مثل عدد الدساتين الجاهلية أو اكثر، ويمكن ان يجعل ما بينها متساوية وقد يمكن ان تجعل متفاضلة . وقد ارشدنا الى السبيل الذي به تجعل متساوية أو متفاضلة ، ومتى احتذى انسان حذو ما اثبتناه ها هنا امكنه ان يبدل مكان هذه الدساتين بدساتين اخر وان يزيد في عددها مرة وينقص منه اخرى ، فأما نحن فليس لنا حاجة الى التكثير بكل ما يمكن ان يقال فيها . ومتى أحب الانسان التزيد من هذه ، أمكنه ذلك بسهولة اذا احتفظ بالاصول التي منها يمكن أن تستنبط هذه وما جانسها . اﻫ

دل ذلك من افعالهم على أنهم تخيروا فيها من الاجناس التي تقرب من اللين والرخاوة ، وهذه هي الاجناس التي شأنها أن تسمع في أجود الطنابير ، فلذلك رأينا ان نجعل احرى ما كملت به نغم هذه الالة من الاجناس مسترخيات الاجناس المقوية وأن يكون أقل شيء يبلغ منها من الأبعاد الوسطى البعد الذي بالاربعة في كلا الوترين ، فلذلك نشد أولا دستاناً على ربع ¼ كل واحد منهما من جانب انف الالة وليكن ذلك دستان (ش ـ ت) على ما في هذه الصورة ، ونجعل دستان (س ـ ع) في المكان المعتاد وهو منتصف ما بين (ش) وبين (ا) ثم نحزق وتر (ب ـ د) حتى يساوي نغمة مطلقه نغمة (س) ثم ننظر اين تخرج نغمة (ع) فيما بين (س) الى (ش) من وتر (ا ـ ج) فنشد عليه دستاناً آخر ونجعله دستان (ق ـ ر) ثم ننظر اين تخرج نغمة (ش) فيما بين (ت) الى (ع) من وتر (ب ـ د) فنشد



عليه دستاناً ونجعله دستان (ف ـ ص) فنستعمل (س ـ ع) دستان السبابة و (ف ـ ص) دستان الوسطى و (ق ـ ر) دستان البنصر و(ش ـ ت) دستان الخنصر ، فهذه الدساتين هي الضرورية في هذه الالة. وظاهر أن هذه الدساتين تحدّ انماذ ارخى أصناف الجنس القويّ ذي التضعيف ، وان أردنا الاتباع في نغم هذا الجنس بأن ترتب نغم أنواعه في هذه الالة حتى تسمع نغم ابعاد هذا الجنس

* * *

واذا تناولنا الان مايقوله الفارابي عن الطنبور البغدادي كلمة كلمة بصفته اقرب الشهود التاريخيين للموسيقى القديمة ، وطبقنا النسب المذكورة في كتابه وجدنا أن الابعاد الخمسة المحددة بالدساتين الجاهلية هي كما يأتي :

(مطلق الوتر ٤٠/٤٠)

الدستان الاول ٤٠/٣٩ وهذه نسبة تساوي أقل من نسبة الربع الصوتي أي نسبة بعد ربع الصوت الطنيني

الدستان الثاني ٤٠/٣٨ وهذه نسبة تساوي النصف القريب من الليما (١) (limma)

الدستان الثالث ٤٠/٣٧ وهذه تساوي ثلثين من البعد الطنيني

الدستان الرابع ٤٠/٣٦ وهذه تساوي صوت قاصر (ton mineur) عشر الوتر

الدستان الخامس ٨/٧ (أي ٣٥/٤٠) وهذه تزيد على بعد طنيني (أي صوت كامل (٢))

وتكون طبقة مطلق الوتر الثاني كطبقة دستان ٣٠/٤٠ من الوتر الاول . ويمكن من ذلك معرفة النغمتين القديمتين اللتين يظهر ان الفارابي احدث فيهما تغييراً يوافق أفكاره التي كانت متشبعة بالقواعد اليونانية . وتلك هي نسب هاتين النغمتين :

(تابع الهامش)

على انحاء مفتنة حزقنا وتر (ب ـ د) حتى يساوي مطلقة نغمة (ف) ثم ننظر اين تخرج نغمة (ق) فيما بين (ب) و (ع) فنشد عليه دستاناً عليه (م ـ ن) ونثبت دستان مجنب سبابة الطنبور البغدادي ثم نرخي وتر (ب ـ د) حتى يساوي مطلقة نغمة مجنب السبابة من وتر (ا ـ ج) ثم ننظر اين تخرج نغمة (ع) فيما بين(س) وبين (ق) من وتر (ا ـ ج) فنشد عليه دستانا عليه (ك ـ ل) فذلك الدستان يقوم في هذا الطنبور مقام وسطى الزلزلين في العود متى كان بين بنصر العود وبين وسطى زلزل بعد بقية . وان اردنا ان نستخرج مكان الوسطى التي تقوم في هذا الجنس مقام وسطى الفرس في القوي ذي المدتين شددنا دستانا على منتصف ما بين (س) الى (ق) وعليه (ز ـ ج) فيكون ذلك هاهنا نظير وسطى الفرس في العود . وقد يمكننا على هذا المثال ان نكثر الدساتين فيما بين (ا) و (ش) بترتيب ابعاد هذا الجنس على انها مختلفة الخ (انتهى كلام الفارابي)

(١) الليما (le limma) هو بعد من الابعاد الصوتية أقل من البعد ذي النصف (أي اقل من نصف صوت) ونسبته الرياضية هي ٢٤٣/٢٥٦ . (المعرب)

(٢) نذكر هنا للمقابلة نسب الارباع الصحيحة لوتر يبلغ ٤٠ سنتي طولا وهو الطول المتخذ كقاعدة لنسب الطنبور البغدادي :

الربع الاول يساوي ١٢ مليمتراً

الربع الثاني « ١١ « وعشر ١/١٠ المليمتر

الربع الثالث « ١١ «

الربع الرابع « ١٠ مليمترات وخمس ١/٥ المليمتر

فيكون مجموع هذه النسب ٠٠٤٣و ثلاثة وأربعين مليمترا . وهي نسبة البعد الطنيني. في حين هي

(سلسلة النغمة الاولى)

٩/٨ (١) ٨/٧ ٩/٨ ٢٨/٢٧ ٨/٧ ٩/٨ ٢٨/٢٧

(سلسلة النغمة الثانية)

٩/٨ ٨/٧ ٨/٧ ٤٩/٤٨ ٨/٧ ٨/٧ ٤٩/٤٨

وقد ورد مبعثراً في بعض الكتب القديمة للموسيقى العربية ان بعض كبار الموسيقيين احدثوا اصلاحاً كبيراً في الموسيقى العلمية والعملية.

يقول لنا الاصفهاني في كتابه المسمى بالاغاني ان ابن مسجح وهو موسيقي أسود مشهور أصله من مكه. لما درس الموسيقى اليونانية والموسيقى الفارسية نقل من الاثنتين الى الموسيقى العربية الحاناً كثيرة ولكنه جرد تلك الالحان من بعض نبراتها وأصواتها الغريبة عن الغناء العربي.

اذن فيستدل من ذلك انه كان للقوم موسيقى خاصة محدورة ببعض الصفات الجنسية على الاقل.

على انه ولوان المدونات تدل دلالة واضحة على وجود موسيقى عربية قديمة خاصة قبل الاسلام غير انها لا تحدثنا اقل حديث عن ماهية هذه الموسيقى ولا تقدم لنا الصور التي يمكن لنا منها ان نفهم طبيعتها.

فابعادها تختلف كما يظهر عن ابعادنا وهي تختلف ايضاً عن الابعاد التي كانت مستعملة في العصور المعروفة التي استجدت بعدها. لذلك نحن نتمثلها في صورة من ابسط الصور متنقلة على سلم موسيقي من اضيق السلالم الموسيقية واقلها مساحة فكأنها تلك الموسيقى التي لا يزال البدوي حتى اليوم يتغنى بها تحت خيمته والتي لا تتجاوز مقدار البعد الذي بالاربعة أو الذي بالخمسة

اما اذا شئنا ان نذهب الى ابعد من ذلك في البحث وجب علينا ان نقتحم بعض الاستنتاجات المبنية على تاريخ شبه جزيرة العرب وعلى جغرافيتها وتاريخ الشعوب المختلفة التي اقامت فيها وامتزجت ببعضها بعضاً. فاختلاط اهل العرب باهل الحضر واجتماع القرشيين والكلدانيين والاحباش والفرس والاسرائليين في بقعة واحدة كان لذلك بلا شك تأثير على فن الموسيقى في تلك العصور القديمة.

هناك ٤٠ اربعون مليمتراً بواقع الدساتين المذكورة عن الطنبور البغدادي وهذا الفرق كبير من حيث مقادير الاصوات وابعادها. اما النسبة الاخيرة ٨/٧ أو ٤٠/٣٥ فهذه تساوي بعداً طنينياً و ١/٨ بعد.
(المعرب)

(١) اذا كانت نسب الطنبور البغدادي هي ٤٠/٣٩، ٤٠/٣٨، ٤٠/٣٧ الخ كما سبق القول كانت نسبة البعد الطنيني المذكورة في هاتين السلستين بنسبة ٩/٨ لامكان لها ما بين تلك الدساتين ولا يمكن استخراجها منها. وقد أوردنا عند المقابلة نسب الارباع الصحيحة للبعد الطنيني على وتر ذي ٤٠ سنتي طولا ليتضح مقدار طول او نسبة هذا البعد. فكيف اذن أمكن لصاحب النبذة أن يستخرج من تلك الدساتين القديمة المشوهة هذه النسبة ومن أين أتى للناس بها؟ (المعرب)

ففي ذلك العهد كان الهجاء معروفاً وكان الشاعر يرويه أو يغنيه امام اهل القبيلة المجتمعين حوله. ونحن نعرف طريقة روي الشعر وما كان لهؤلاء الشعراء من العادات المختلفة فمنها ان يدهن الشاعر شعر رأسه بزيت معطر من جانب واحد وان يترك طرف معطفه أو عباءته يجر على الارض وان لا يحمل حذاء الا في قدم واحدة . ولم يكن في البدء سوى السجع ثم ظهر (الميزان) الرجز مكونا من مقطعين مديدين يتبعهما مقطع قصير يتبعه مقطع مديد (أي من سببين خفيفين « مس » « تف » ووتد مجموع « علن ») وهذا هو اول ميزان عرف واول شعر تناولته الالحان العربية الاولى (١) .

وقد تكونت في ذلك الزمن القصيدة في شكلها النهائي وقد اشتهر عدد كبير من الشعراء بقطع من تلك القصائد وصل الينا ذكرها وشطر من نصوصها .

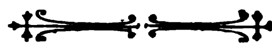
كذلك المرثية وهي غناء لتقريظ الموتى لا يزال مستعملاً حتى اليوم تبنى على صفات الشجاعة والكرم التي عرفت عن اولئك العرب الوثنيين .

وقد كان اليهود الذين يسكنون البلدان الكائنة في شمال الحجاز يتكلمون العربية ويغنون بطريقة عرب الرحل .

ولا شك انه كان للديانة المسيحية تأثير تغلغل في مواد الموسيقى الناشئة عند تلك الشعوب المختلفة . فسوريا وبلاد ما بين النهرين كانت مسيحية اذ اعتنق امير غسان في دمشق واللخميين في الحيرة الديانة المسيحية . فالى جانب عرب قبيلة تنوخ في الحيرة أولئك الذين استولوا على البلاد والى جانب الاحلاف الذين جاؤا من جميع اقسام بلاد العرب كان العباد من المسيحيين . وما يتضح من الآراء الدينية التي عرفت عن شعراء العرب في ذلك العهد لا يجعل فكرة تأثير المسيحية على الموسيقى في موضع الغرابة . فقد كان لهذه الديانة تأثير على فن العمارة سواء بعوامل محسوسة صادرة عن الشعائر الدينية وعن الاناشيد التي وضعها المتنصرين أو عن المحافظة الدينية التي كانت قد بدأت تفرق ما بين كلام الجد وكلام الهزل .

على ان هذه الاستنتاجات لا تضع امامنا حالة من الحالات الحقيقية المؤكدة ولا يمكن لها أن تغنينا عن المدونات التاريخية الصادقة ولا عن الشهادات التي تؤديها لنا موسيقى مدونة كان يمكن لها أن تكون امام اعيننا أثراً من آثار فن الموسيقى السابق للاسلام شأن كتب الادب في تاريخ آداب اللغة العربية . إذن فليس لدينا عوامل معينة ثابتة عن موسيقى ذلك العصر الذي يحتمل أن يستمر هكذا غامضاً الى الابد .

وكل ما يمكننا فرضه أن نوعاً من أنواع الموسيقى كان موضوعاً في ذلك الزمان وانه كان مستعملا ليسوق الشعر في لغة من لغات الغناء وليخرجه في غلاف موسيقي عند البدو والحضر وانه كان ذا صيغة ومبان وتراكيب تختلف عن مثلها في النوع الذي سنعرفه في العصور التالية .



---

(١) Ch. Cl. Huart, loco cit.

الفصل الثانى

(العصور الاولى)

(١)

المؤرخون

كان لزوال الخلافة من المدينة وانشاء عاصمة الملك في دمشق وفي بلاد ورثت التمدين القديم عن اليونان والسوريين فعل كبير في ترقية الفنون العربية .

فقد كثر الشعراء في العراق والحجاز وما بين النهرين وسوريا . وتكوّن الادب ونشأ التاريخ وقد أصبح للموسيقى في المجتمع شأن عظيم كان يزداد كلما كان الدين الاسلامى الرافع ألوية النصر يتقدم في فتوحاته ويحيط الخلفاء بحياة كلها ترف وقصف .

وكان الملحنون يلحنون اشعار عمر بن ربيعه من قريش (مات سنة ٧١٩ مسيحية) وينشرونها في جميع العالم العربي .

وفي دمشق أرسل الخليفة الوليد بن يزيد عند ما ارتقى العرش فاستدعى اليه يونس الكاتب الذي كان قد درس الموسيقى على سريج وابن محرز والغريض . ويونس كان يغني ويلحن . وقد وضع كتاباً للالحان يظن انه كان نموذجاً لكتاب الاغاني تأليف الاصفهاني .

وكذلك يزيد بن معاوية فقد اغرى غياث الاخطل الشاعر النصراني على الطعن بالانصار بقصائد هجائية كانت تذاع في جميع الانحاء وينشرها المغنون في شبه جزيرة العرب فتخدم مصلحة الامويين السياسة .

وفي ذلك العصر راج في الشعر أسهل وأبسط موازينه وهو الرجز الذي كان محتقراً قبل الاسلام .

وكان لشعر عبد الله بن المخارق (نابغة بني شيبان)(١) شهرة وانتشار كبيران وقد غنت الناس زمناً طويلا قصيدته التي مطلعها :

ذرفت عيني دموعاً * من رسوم بحفير
موحشات طامسات * مثل آيات الزبور

---

(١) النابغة اسمه عبد الله بن المخارق بن سليم بن حضيرة . .... بن شيبان بن . ... الخ هو شاعر بدوي من شعراء الدولة الاموية وكان يفد الى الشام الى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويجزلون عطاءه وكان نصرانياً لانه في شعره يذكر الانجيل والرهبان ويحلف بالايمان التي يحلف بها النصارى .

وأخبر محمد بن يزيد بن أبي الازهر قال : غنى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد :

أمدح الكأس ومن أعملها * واهج قوماً قتلونا بالعطش

وكان الخليفة الوليد شاعراً ملحناً مؤلفاً في الموسيقى . له الحان كثيرة . يعزف على العود ويعرف صناعة الايقاع (الموازين الموسيقية) ويسير منظماً خطواته على نقرات الدف وقد استدعى اليه يحيى (المكي) ابرع مغنٍ في مكة ليدرس عليه الغناء فطلب اليه هذا الاخير ان يجعله ضمن رجال حاشيته بفكرة الاستفادة من تدريس مثل هذا التلميذ الذي هو بالحقيقة صاحب الامر والنهي .

وفي حكم العباسيين اتسعت المملكة الاسلامية وامتدت حدودها وكانذلكعصر الابهة والظرف العربيين على انه كان أيضاً عصر اختلط العرب فيه واحتكوا بالشعوب المقهورة فكان لذلك تأثيرات مختلفة على سائر الفنون .

وقد شغف العرب بالمؤلفين اليونانيين شغفاً كبيراً وسنرى فيما بعد الطابع اليوناني واضحاً كل الوضوح في قواعدهم الموسيقية . وقد كان مرجعهم أيضاً الى الفرس الذين قاموا بالثورة وردوا ابن عباس الى العرش ولا سيما في الادب فقد كان للفرس أعظم تأثير .

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل هو نابغة بني شيبان فأمر بأحضاره فلما حضر استنشده القصيدة فأنشده اياها . وقد كان الوليد يظن ان فيها مدحاً له فاذا بنابغة بني شيبان يفتخر بقومه ويمدحهم . فقال له الوليد : لو سعد جدك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيبان ولسنا نخليك على ذلك من حظ ووصله وانصرف وأول هذه القصيدة قوله :

حلّ قلبي من سليمي نبلها * اذ رمتني بسهام لم تَطِش
طفلة الاعطاف رؤدد ميـة * وشواها بختري لم يحش
وكأن الدرّ في اخراصها * بيض كحلاء أقرته بعش
ولها عينا مهاةٍ في مهى * ترتعي بنت خزامى وتقش
حرة الوجه رخيم صوتها * رطب تجنيه كف المنتقش
ومن الليل اذا ما عونقت * منية البعل وهمّ المفترش

يأتي بعد ذلك مدح بني شيبان.

ومما يغنى فيه من شعر نابغة بني شيبان :

(صوت)

ذرفت عيني دموعاً * من رسـوم بحفير
موحشات طامسات * مثل آيات الزبور
وزقاق مترعات * من سـلافات العصير
ملحدات وملاء * طينوهن بقـير
فاذا صارت اليهم * صيرت خير مصير
من شباب وكهول * حكموا كأس المدير
كم ترى فيهم نديماً * من رئيس وأمير

(مقتبس عن كتاب الاغاني) (المعرب)

وفي المغرب اجتمع العرب بالبربر. وفي صقليا والاندلس فكثيراً ما كانوا يستعينون بالامم المغلوبة: « واذا دخل البدو (العرب) الى بلد احتاج هذا البلد الى قوم غرباء عنه لتعميره بالمباني » هذا مايقوله ابن خلدون المورخ المسلم مقراً عجز العربي عن ابتكار الصور الفنية الجديدة التي تتجلى فيها شخصيته وشارحاً السبب الذي من أجله كان الخلفاء يستخدمون لتشييد القصور والمساجد صناعاً وفنيين من الشعوب التي خضعت للاسلام سواء من اسكندريي مصر أو اعجام ا كتسيفون أو يونان بيزانس (القسطنطينية القديمة) أو سوريين أو ليبيين من سواحل الشرق أو من افريقيا .

ولقد كان لهذا الزحام الاجنبي وهذا الاختلاف الكبير في جنسية اليد العاملة فعل كبير واضح عميق في فن العمارة. واذا اعتبرنا أيضاً في الموسيقى عين هذا الاعتبار لايكون عملنا مخالفاً للصواب. وكما سيظهر فيما يلي فسنرى ان المشهورين من رجال الفن على اختلاف أجناسهم ومناشئهم يستدعون الى قصور الخلفاء . وان المشتغلين بالفن من العرب يقصدون الامم الاخرى بغية درس الموسيقى . وان الادباء يأخذون النماذج والقواعد عن الاساتذة المتقدمين في الامم الاجنبية . فمن جميع هذه المصادر المختلفة تكونت الموسيقى العربية في القرون الاولى للهجرة .

وقد عظم شأن الموسيقى في ذلك العهد الى أقصى الحدود ولا عجب فان علماء الاجتماع لايجدون مشقة في تعليل مثل هذا الحادث مستندين فيه على ما للموسيقى من الشأن الاجتماعي الكبير في كل زمان وعند كل الامم : فستدخل الموسيقى في الحياة الاسلامية الخاصة والعامة . وسيكون لها شأن كبير في جميع الاعياد والمواسم والافراح وغير ذلك من مختلف الاحوال والظروف . وسيكون الموسيقيون موضوع اهتمام الملوك والحكام واحترامهم . وسيبدأ التاريخ بتسجيل أعمالهم وكل بادرة من بوادرهم . وسيكون للادب في ذلك مهمة كبيرة ضخمة . وستبلغ الموسيقى أوجها وتري عصرها الذهبي .

وعلى مايقوله المؤلفون من المسلمين ان مهنة الموسيقى كانت قبل ذلك مختصة بنسوة من الطبقة الدنيئة (١) وتسمى في كتاب الاغاني بالقيان . ويقول صاحب هذا الكتاب انه كان من شروط

---

(١) كانت جميع الموسيقيات سواء المغنيات أو المشتغلات بالالات أو الملحنات من الجوارى .

وكان للموسيقى شأن كبير في قيمة الجواري القيان. وقينة تمتاز بالموهبة الموسيقية ترتفع ثمنها في سوق الرقيق قدراً كبيراً وعلى مقدار السرور واللذة التي كانت تستطيع هذه الجارية ان تحدثهما لسيدها يكون مقدار احترامه وحسن معاملته لها .

وقد كان لتلك القيان في بعض الاحيان أثمان فاحشة . فابن غانم من الكوفة باع قينته زبيدة بمئة الف درهم (اي ما يساوي ثلاثة وثلاثين الفاً من الفرنكات) وسلامة بيعت بثمانين الف درهم

وكانت القيان تقدم كالهدايا تدخل في الميراث وفي الصداق .

وقد ذكر مؤلفو ذلك العهد محاسن تلك القيان بترتيب قيمتها فكان الجمال في المقدمة ثم يتبعه المهارة الموسيقية ثم رجاحة العقل .

وكثيرات بين تلك القيان من كن يذهبن في حب أسيادهن مذهباً بعيداً ويخلصن لهم الى حد التضحية.

الابهة والترف في قصور الاغنياء ان يكون فيها بعض من تلك القيان . وكان لعبدالله بن جدعان (١) امتان (قينتان) سماهما بجرادتي عاد وهبهما لصديقه امية بن أبي الصلت . ويقال ان الجرادتين صنعتا ألحاناً تعتبر من ألحان الطبقة الاولى جمعها معاصروهما .

وقد حفظت لنا الكتب ستة وأربعين اسما من أسماء تلك المغنيات الملحنات ممن كن في عهد النبي محمد وفي حكم الخلفاء الاربعة الاول وقد تناقل المؤلفون بقايا أشعار ألحانهن .

وبالعكس فلا يعثر في كتب هؤلاء المؤرخين عن اسم من أسماء المغنين (الرجال) الا بعد منتصف القرن الاول للهجرة . ومنذ ذلك الحين لم يكن الغناء والعزف مهمة الحداة ومهنـة الجواري فقط بل كانت الموسيقى مطلب الجميع وكان لها المكان الاسمي في ذلك العصر الذي ازدهرت فيه الفنون وانتشرت فيه العلوم .

* * *

وهنا لا يمكننا الا ان نفسح المجال للمؤرخين ونبيح لهم الكلمة فهم جديرون بأن يصوروا لنا الحياة العربية وملاهي العرب وتخفختهم وشغفهم بالموسيقى في اصدق الصور .

ولو اكتفينا بما يتعلق بالموسيقى فقط لامكن لنا ان نجمع الشيء الكثير من الاخبار سواء أمن كتاب مروج الذهب للمسعودي ذلك المؤرخ الحاذق أو من كتاب الاغاني المدون في عشرين جزء وجزء لمؤلفه أبي الفرج الاصفهاني ذلك الذي يذكر لنا مالا يحصى من الادلة والمصادر المحققة عن الاشعار العربية التي استعملت في الالحان وعن المغنين والمغنيات المشهورين وعن مؤلفاتهم ومخاصماتهم ومنافساتهم الكثيرة .

كذلك يمكن لنا ان نجد أشياء كثيرة في كتاب ألف ليلة وليلة الذي لا يعرف مؤلفه هذا الكتاب الذي قام أساسه على قصة من القصص الساقطة التي جمعت كثيراً سواها من الاقاصيص والخرافات المختلفة المصادر والعصور حيث تتمثل الهيئة الاجتماعية الاسلامية بصورة مخلصة صادقة لا تترك مجالا لمعترض بل بصورة تذهب احيانا الى الحد الذي يرفع فيه الستار عن دخائل الاسرار بلا خجل ويجري فيه ذكر الحقائق بأجلى الصور وبلا حذر مهما كان نوع هذه الحقائق ومهما كان مقدار ما فيها من الوقاحة والتهتك .

ومن كان من بين القراء ذا رغبة فى ان يتموّن بالشروح والايضاحات الدقيقة الكثيرة ويبصر تلك العصور الموسيقية العربية القديمة فى ثوبها الاصلي فما عليه الا أن يلجأ الى تلك الموارد الغزيرة . أما نحن فلا نأخذ من تلك المجموعات الا ما لم يكن لنا غنية عنه فى تحديد بعض النقط المختصة بالتاريخ

أنظر في هذا المعنى الكتاب الآتي : Femmes arabes avant et depuis l'islamine par le Dr. Perron-Paris, 1858 نساء العرب من قبل الاسلام ومنذ نشأته لمؤلفه الدكتور بيرون . طبع بباريس سنة ١٨٥٨ .

(١) كتب في الاصل هكذا : Abdallah, fils de Gôhdars ويلفظ ابن جهدار وصحته ابن جدعان . انظر جزء ٨ صحيفة ٢ من كتاب الاغاني . (المعرب)

الموسيقي العربي وتقدير تأثير الموسيقى الاجتماعي في التمدن الاسلامى ابتداء من عصور الامويين والعباسيين .

ونتولى هنا سرد سلسلة من احتفظ التاريخ بأسمائهم وبوادرهم ونوادرهم من أشهر وأعظم الموسيقيين بصورة وجيزة ولكنهاوافية دقيقة

طويس

(أو)

عيسى بن عبد الله (١)

(ولد سنة ٦٣٢ ومات سنة ٧٠٥ مسيحية) وكان مولى اروى أم عثمان بن عفان ثالث الخلفاء ومعتوق بني مخزوم . كان يخالط منذ حداثته بعض الاسرى من الفرس يعملون في الاشغال العامة فسمع غناءهم ووعى منه كثيراً من الالحان والنغمات والموازين التي كانت نموذجاً له يوم أخذ في انشاء الالحان .

ولم يكن طويس يضرب بآلة إنما كان ينقر بالدف ذي الشكل المربع . وقد قيل انه أول من ساق

---

(١) طويس لقب غلب عليه واسمه طاووس أو عيسى بن عبدالله وكنيتهأبوعبد المنعم وهو مولى بني مخزوم . وأول من غنى بالعربي بالمدينة وهو أول من صنع الهزج والرمل في الاسلام . وكان يقال احسن الناس غناءً في الثقيل هو ابن محرز وفي الرمل ابن سريج وفي الهزج طويس وكان الناس يضربون به المثل فيقال اهزج من طويس وكان لا يضرب بالعود وإنماكان ينقربالدف وأول غناء غناه وهزج به هو :

كيف يأتي من بعيد * وهو يخفيه القريب
نازح بالشام عنا * وهو مكسال هيوب
قد براني الحب حتى * كدت من وجدي أذوب

وقال بعضهم لو شاهدتم طويساً لرأيتم ما تسرون به علماً وظرفاً وحسن غناء وجودة في نقر الدف ويضحك كل ثكلى. وقال آخرون ولكنه كان مشؤماً لانه ولد يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر بن الخطاب (الفاروق) وتزوج يوم قتل عثمان وولد له يوم قتل علي أخو النبي : وقال اسماعيل بن جامع نقلا عن سياط ان طويساً أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل في الايقاع . وكان يلقب ايضاً بالذائب لانه غني :

قد براني الحب حتى * كدت من وجدي أذوب

الالحان في صورة رقيقة عذبة منذ الاسلام وأول من غنى الاغاني المتزنة في المدينة (١). ومن تلامذه الذين وصلت اسماؤهم الينا : شريح والدلال (بتشديد اللام) و نومة الضحى.

عزة الميلاء (٢)

سميت كذلك للين في قوامها وتمايل في مشيها. وأصلها معتوقة من المدينة تعزف على جميع الآلات الوترية والنفخية ولها صوت عجيب كبير المساحة . وهي تلميذة رائقة المشهورة . وكانت تغني أغاني استاذتها وسواها من اغاني القيان من القدائم مثل سيرين وزرنب وخوله . وفي كتاب الاغاني القصة الآتية :

ومما في المائه الصوت المختارة من أغاني طويس الشعر الآتي :

يا لقومي قد ارقتني الهموم * ففوادي مما يجن سقيم
أندب الحب في فوادي ففيه * لو ترآى للناظرين كلوم

(تفسير) يجنُّ أي يخفي . وأندب ابقي فيه ندباً والندب هو أثر الجرح
قال اسحق وهذا أجود لحن غناه طويس أوله هذان البيتان وبعدهما :

ما لقا الهم لا يريم فوادي * مثل ما يلزم الغريم الغريم
ان من فرق الجماعة منا * بعد خفض ونعمة لزميم

(مقتبس من كتاب الاغاني) (المعرب)

(١) في ذلك الزمان كان في المثل السائر القول الآتي : « ليس أشأم من طويس » وبالحقيقة فان جميع حوادث حياته تقع دواماً مع احدى المصائب العامة . وكان يقول لاهل المدينة . مادمت حياً بينكم فستقع بينكم أكبر المصائب ويظهر لكم المسيح الدجال . أما اذا مت فلا تخشون بأساً . فاسمعوا وتأملوا : لقد ولدتني أمي ليلة مات محمد . وفطمتني يوم مات أبو بكر . واحتلمتُ يوم مقتل الخليفة عمر بن الخطاب وتزوجت يوم قتل الخليفة عثمان وولد لي يوم مقتل الخليفة علي فهل بينكم من يماثلني في حوادث حياته المشؤومة ؟

(٢) نقتبس ما يأتي من كتاب الاغاني :
كانت عزة مولاة للانصار ومسكنها المدينة وهي أقدم من غني الغناء الموقع من النساء بالحجاز (وماتت قبل جميلة) وكانت من اجمل النساء وجهاً وأحسنهن جسما وسميت بالميلاء لتمايلها في مشيها . وقيل بل كانت تلبس الملاء وتتشبه بالرجال فسميت بذلك.وقيل بل كانت مغرمة بالشراب وكانت تقول خذ ملأ واردد فارغاً والصحيح انها سميت الميلاء لميلها في مشيتها .
يقال ان عزة كانت من أحسن الناس ضرباً بالعود وكانت مطبوعة على الغناء لايعيبها اداؤه ولا صنعته ولا تأليفه . وكانت تغني أغاني القيان من القدائم مثل سيرين وزرنب وخولة والرباب وسلمى

دعيت عزة ورائقة الى وليمة ختان لعائلة في المدينة . فعزفتا بالمزهر وغنتا شعراً لحسان بن ثابت رفيق محمد . وكان حسان حاضراً فبكى من التأثير . ولما عاد الى منزله قال لابنه :

ورائقة . وكانت رائقه استاذتها . فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغاني فارسية فنقلت عزة عنهما نغماً والفت عليها الحاناً عجيبة كانت أول ما فتن أهل المدينة من أنواع الغناء وحرض نساءهم ورجالهم عليه .

وقال الزبير انه وجد مشايخ أهل المدينة اذا ذكروا عزة الميلاء قالوا : لله درها ماكان احسن غناءها وأمد صوتها وأندى حلقها واحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي وأجمل وجهها واظرف لسانها وأقرب مجلسها واكرم خلقها وأسخى نفسها واحسن مساعدتها

ويقال ان ابن سريج كان في حداثة سنه يأتي المدينة فيسمع من عزة ويتعلم غناءها ويأخذ عنها وكان بها معجباً وكان اذا سئل من احسن الناس غناء قال :مولاة الانصار المفضلة على كل من غنى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء .وان ابن محرز كان يقيم بمكة ثلاثة أشهر ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة وكان يأخذ عنها . وأن طويساً كان أكثر مايأوي منزل عزة الميلاء .وكان في جوارها وكان اذا ذكرها يقول هي سيدة من غنت من النساء مع جمال بارع وخلق فاضل واسلام لا يشوبه دنس تأمر بالخير وهي من أهله وتنهي عن السوء وهي مجانبة له فناهيك ماكان انبلها وانبل مجلسها ثم قال : كانت اذا جلست جلوساً عاماً فكأن الطير على رؤوس أهل مجلسها من تكلم أو تحرك نقر رأسه

قال اسحق وحدثني ابو عبد الله الاسلمي عن معبد انه أتى عزة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنت وهي تغني على معزفة

علاني وعلا صاحبيا * واسقياني من المروق ريّا

قال فما سمع السامعون قط بشيء أحسن من ذلك . قال معبد هذا غناؤها وقد اسنت فكيف بها وهي شابة

وغنت يوماً عمر بن ابي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره فشق ثيابه وصاح صيحة عظيمة صعق معها . فلما أفاق قال القوم : لغيرك الجهل يا أبا الخطاب فقال اني سمعت والله ما لم أملك معه لا نفسي ولا عقلي .

ومن الاخبار أن زيد بن ثابت الانصاري من بني نبيط ختن بنته فأولم فاجتمع اليه المهاجرون والانصار وعامة اهل المدينة وحضر حسان بن ثابت وقد كف بصره يومئذ حتى اذا فرغ الطعام أتوا بجاريتين احداهما رائقة والاخرى عزة . جلستا وأخذتا مزهريهما وضربتا ضرباً عجيباً وغنتا بقول حسان :

أنظر خليلي بباب جلق هل * تبصر دون البلقاء من احد

فسمع حسان يقول : قد اراني بها سميعاً بصيراً . وعيناه تدمعان فاذا سكتتا سكت عنه البكاء واذا غنتا بكى . ولما انقلب حسان من مأدبة بني نبيط الى منزله استلقى على فراشه ووضع احدى رجليه على الاخرى وقال (لابنه عبدالرحمن) لقد اذكرتني رائقة وصاحبتها امراً ما سمعته اذناي بعيد ليالي جاهليتنا

لقد اذكرتني رائقة وعزة اشياء ما سمعتها أذناي منذ تلك الليالي التي قضيتها في زمن الجاهلية مع جبلة بن الايهم[١] أمير غسان . فقد رأيت عند جبلة عشر جوار من المغنيات خمس روميات يغنين الالحان الرومية مستصحبات للميدان (البرابط) والاخريات كن من الحيرة وكن يغنين الحان العراق . وكان يفد اليه كثيرون من المغنين العرب من مكة وسواها من الجهات يسألونه النوال . فكان يسمعهم وهو يشرب مع اصحابه جالساً على سرير فرش بالآس والياسمين وأصناف الرياحين ومحاطا بصحف الذهب والفضة قد ملئت بالمسك والعنبر . . وكان لينا حليماً حسن الوجه والحديث كريماً . وما رأيت الخمر مرة اثرت على عقله أو جعلته يلفظ فحشاً أو يأتي عملا خارقاً يستحق عليه اللوم . مع اننا كنا ضاربين في ظلمات

مع جبلة بن الايهم . ثم جلس وتبسم وقال : لقد رأيت عشر قيان خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط وخمس يغنين غناء اهل الحيرة واهداهن اليه إياس بن قبيصة وكان يفد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها وكان اذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين واصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الذهب والفضة وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة وأوقد له العود المندى ان كان شاتياً وان كان صائفاً بطن بالثلج وأتى هو وأصحابه بكساء صيفية يتفصل هو واصحابه بها في الصيف وفي الشتاء الفراء الفنك وما اشبهه . ولا والله ما جلست معه يوماً قط الا خلع عليّ ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائه هذا مع حلم عمن جهل وضحك وبذل من غير مسئلة مع حسن وجه وحسن حديث . ما رأيت منه خنى قط ولا عربدة ونحن يومئذ على الشرك فجاء الله بالاسلام فمحا به كل كفر وتركنا الخمر وما كره وانتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ من الزهر والرطب فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى يصاحب صاحبته ويفارقها وتضرب فيه كما تضرب غرائب الابل فلا تنتهون

ويقال ايضاً أن بن أبي عتيق كان معجباً بعزة الميلاء فأتى يوماً عند عبد الله بن جعفر فقال له يا أبي أنت وأمي هل لك في عزة فقد اشتقت اليها قال لا ، أنا اليوم مشغول فقال يا أبي أنت وأمي انها لا تنشط الا بحضورك فاقسمت عليك الا ساعدتني وتركت شغلك ففعل فأتياها ورسول الامير على بابها يقول لها دعي الغناء فقد ضج أهل المدينة منك وذكروا انك قد فتنت رجالهم ونساءهم فقال له ابن جعفر ارجع الى صاحبك فقل له عني : اقسم عليك الا ناديت في المدينة ايما رجل فسد أو امرأة فتنت بسبب عزة الا كشف نفسه بذلك لنعرفه ويظهر لنا ولك أمره . فنادى الرسول بذلك فما أظهر أحد نفسه ودخل ابن جعفر اليها وابن أبي عتيق معه فقال لها لا يهولنك ما سمعت وهاتي فغنينا . فغنته بشعر القطامي :

أنا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فاهتز ابن أبي عتيق طرباً فقال عبد الله بن جعفر ما أراني أدرك ركابك بعد أن سمعت هذا الصوت من عزة .

المعرب

(١) كتب بالفرنسية : Djabala, fils d'Aghan ويقرأ جبلة بن الاغان وصحته fils de Aïham ابن الايهم

(المعرب)

الجهالة . والآن وقد اطلق الاسلام حولنا انواره نراكم أيها الشبان وأنتم مسلمون تشربون نبيذ التمر فلا يكاد يشرب كل منكم ثلاثة اقداح حتى تتخاصمون وتحدثون اكبر المشاجرات

وكانت عزة اولى من لحنت وغنت ألحانا متزنة بين نساء المدينة والحجاز. ولما كانت ذات مواهب موسيقية كبيرة وجمال فتان وعقل راجح امكن لها ان تنشر الموسيقة في المدينة . وكانت تعقد الاجتماعات الموسيقية فيتهافت اليها عشاق الموسيقى من كل مكان

وقد اشتد شغف أهل المدينة بالموسيقى في ذلك العهد مما دعى بعض المقاومين من انصار الصرامة الى ان يوجه الشكوى الى الامير سعيد متهما عزة بانها افسدت المؤمنين بفن مغر قد نهى عنه النبي . فاوفد الامير اليها رسولا يمنعها عن الغناء متذرعا بانها قد فتنت رجال ونساء المدينة وقد صادف في ذلك الحين ان عبد الله بن جعفر (ولد سنة ٦٢٢ ومات سنة ٦٩٩ مسيحية) كان حاضراً في منزل عزة وعبد الله بن جعفر من اشرف الناس مولداً ومن اوسعهم ثروة فقال للرسول «عد الى مولاك وقل له باني أرجوه ان ينشر في المدينة دعوة عامة يطلب بها ممن افسدتهم عزة من الرجال أو فتنتهن من النساء ان يظهروا ويقدموا اليه شكواهم» فعاد الرسول واعلن عن ذلك بين الناس فلم يظهر منهم احد فاستمرت عزة في طريق مجدها مطمئنة

وغنت عزة في ليلة من الليالي عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره فاخذته نشوة الطرب الى حد شق عنده ثيابه وسقط مغشياً عليه . فلما أفاق قال له احد اصدقائه لغيرك الجهل يا أبا الخطاب فقال اني سمعت ما لم املك معه نفسي .

وقد كان طويس بالرغم من انه كان ذا لسان جارح يقول عن عزة بعد موتها : انها كانت اميرة من غنت من النساء وكانت طاهرة الروح عقدار . ا كانت جميلة الوجه وكانت ذات فضيلة بعيدة عن كل مظنه وكان مجلسها فى اقصى درجات الاحتشام . وكانت اذا ما جلست للغناء لزم الحاضرون صمتا تاماً فكأن الطير على رؤوسهم ومن تكلم او تحرك كان جزاؤه في الحال ان ينقر رأسه بعصا

سائب خاثر

هو من المدينة ابن مولى فارسي وكان هو مولى بني ليث وقد تعلم الغناء عن اماء كانت مهنتهن ترديد المراثي في حفلات الموتى .

وقد غنى زمناً بغير آلة تصحب صوته مكتفياً بقضيب كان يضرب به الارض لوزن الغناء ولكنه تعلم العود بعد ذلك ويقال انه اصبح اقدر عازف به سواء استصحبه في الغناء أوعزف به وحده

وقد سمع مولى فارسيا يسمى بنشيط يغني الحانا فارسية فاقتبس عنه وصنع أول لحن عربي متقن على الميزان البطيء المسمى بالثقيل غنى به في الاسلام على الشعر المشهور الآتي :

لمن الديار رسومها قفر لعبت بها الارواح والقطر

وقد ادخل يوما الى معاوية وكان هذا الاخير خالي الذهن من تأثير الموسيقى يحتقر الانصراف الى الملاهي فما غنى سائب حتى اعجب به الخليفة ووصله واعترف وقتئذ ان المغني الماهر يزيد الشعر جمالا .

وفي سنة ٦٨٣ مسيحية ارسل الخليفة يزيد جيشا من عرب الشام ليخمد ثورة المدينة فتقدم سائب نحو

الجنود بلا سلاح ظنا منه ان ذلك يقيه الهلاك وخاطبهم قائلا : « انا مغن، وقد خدمت امير المؤمنين يزيد كما خدمت اباه من قبله وكلاهما ذو عطف عليّ » فقالوا غن لنا اذن . فجعل يغني . فقام اليه احدهم وقال له : احسنت والله . ثم ضربه بالسيف فقتله (١)

---

(١) نأخذ ما يأتي عن كتاب الاغاني :

﴿ ذكر سائب خاثر ونسبه ﴾

كان سائب خاثر مولى بني ليث . واصله من فيء كسرى . واشترى عبد الله بن جعفر ولاءه من مواليه وقيل بل اشتراه فاعتقه وقيل بل كان على ولائه لبني ليث وانما انقطع الى عبد الله بن جعفر فلزمه وعرّف به . وهو اول من حمل العود بالمدينة وغنى به .

وكان عبد الله بن عامر اشترى اماء نائحات واتى بهن المدينة فكان لهن يوم في الجمعة يلعبن فيه وسمع الناس منهن فأخذ عنهن ثم قدم رجل فارسي يسمى بنشيط فغنى فاعجب عبد الله بن جعفر به فقال له سائب خاثر انا اصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية ثم غدا عبد الله بن جعفر وقد صنع : « لمن الديار رسومها قفر » وهو اول صوت غني به في الاسلام من الغناء العربي المتقن الصنعه .

وقد اشترى عبد الله بن جعفر نشيطاً بعد ذلك فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربى وأخذ عنه بن سريج وجميلة ومعبد وعزة الملاء وغيرهم .

وكان سائب خاثر يكنى أبا جعفر ولم يكن يضرب بالعود انما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلا وقتل يوم الحرة . ومر به بعض القرشيين وهو قتيل فضربه برجله وقال : ان ههنا لحنجرة حسنة

وكان سائب خاثر تاجراً موسراً يبيع الطعام بالمدينة وكان مع ذلك يخالط مروات الناس واشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ان لايغني احداً سوى عبد الله بن جعفر الا أن يكون خليفة أو ولي عهد او ابن خليفة . فكان على ذلك الى أن قتل . ويقال أن معبد أخذ عنه غناء كثيراً فنسب الناس بعضه اليه . . وسائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل وأول لحن صنعه منه هو الذي سبق ذكره :

واول صوت صنعه سائب خاثر كان في شعر امريء القيس « أفاطم مهلا بعد هذا التدلل » وقد أخذ معبد لحنه فيه وغنى عليه : « امن آل ليلى باللوى متربع »

وفد عبد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقع له في حوائجه ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر . فقال معاوية : من سائب خاثر ؟ قال : رجل من أهل المدينة يروي الشعر . قال اوكل من روى الشعر اراد أن نصله ؟ قال انه أجسنه . قال : وان احسنه ؟ قال : أفأدخله اليك ياأمير المؤمنين ؟ قال نعم : فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى :

لمن الديار رسومها قفر ... لعبت بها الارواح والقطر
وخلالها من بعد ساكنها ... حجج مضين ثمان أو عشر
والزعفران على ترائبها ... شرق به اللبات والنحر

ابو عثمان سعيد بن مسجح

هو اسود ولد بمكة. سمع بنائين فرسا جاؤا من العراق ليبنوا منازل على أرض ملك الخليفة معاوية الاول .

وقد اعتقه مولاه لما امتاز به من المواهب الفنية . وقد رحل الى سوريا والى بلاد فارس وتعلم العزف على آلات مختلفة ثم عاد الى الحجاز . وقد اختار من السلم الموسيقي اليوناني والفارسي أجمل مافيه من الاصوات واهمل مالم يلائم ذوقه من موسيقى هذين الشعبين وعلى الاخص الاسراف في النبرات والوثوب من الطبقات الثقيلة (الغليظة) الى الطبقات الحادة و بعض الاصوات التى تتركب منها السلالم الموسيقية عند اليونان وعند الفرس والتي كانت خارجة عن السلم الموسيقي العربي وقد وفق بعد ذلك الى وضع طريقة جديدة للغناء اقره عليها جميع رجال الفن. فهو اذن الذي قرر سلم الاصوات للغناء العربي وهو اول من ابتدع عليه الالحان .

وقد قال اسحق بن ابرهيم الموصلي مغني الخلفاء العباسيين الذي كان حيا حول بدء القرن الثالث للهجرة ان اول مغني غنى في مكة الغناء العربي كما يسمع حتى اليوم هو سعيد بين مسجح . وهذا ما يؤكده أيضا علي بن هشام احد الموسيقيين المعاصرين لاسحق اذ يقول ان سعيد بن مسجح هو اول من وضع الغناء العربي المقتبس عن الفرس . ويؤكد صاحب كتاب الاغاني ايضا هذا الخبر اذ يقول: كان ابن مسجح اول من انشأ الغناء العربي في جزيرة العرب الاسلامية وهو اول من نقل الغناء الفارسي الى الغناء العربي .

وقد كان لتفوقه شهرة كبيرة . فقد ادخل مرة في دمشق الى ليلة سمر ولم يكن يعرفه احد . فسمع مغنية مشهورة تلقي خطأ لحناً من الحانه فلم يتمالك ان اسكتها وغنى اللحن بنفسه . فتملكت الدهشة المغنية وقامت على الفور وصاحت : لا يمكن ان يكون هذا الرجل الا سعيد بن مسجح

وقد رغب الخليفة عبد الملك في سماعه فسأله ان يغنيه حداء سريعا ثم غناء من غناء الركبان ثم

فالتفت معاوية الى عبد الله بن جعفر وقال : اشهد لقد حسنه . وقضى حوائجه وأحسن اليه

وقيل أشرف معاوية بن ابي سفيان ليلا على منزل يزيد ابنه فسمع صوتا اعجبه واستخفه السماع فاستمع قائما حتى مل ثم دعا بكرسي فجلس عليه واشتهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى مل فلما اصبح. غدا عليه يزيد فقال له يابني من كان جليسك البارحة ؟ قال اي جليس ياامير المؤمنين؟ واستعجم عليه. قال: عرفني فانه لم يخف علي شيء من امرك. قال: سائب خاثر . قال فاخثر له يابني من برك وصلتك فما رأيت بمجالسته بأساً.

وقتل سائب خاثر يوم الحرة . وكان خشي على نفسه من اهل الشام فخرج اليهم وجعل يحدثهم ويقول : انا مغن ومن حالي وقصتي كيت وكيت . وقد خدمت امير المؤمنين يزيد واباه قبله . قالوا فغن لنا . فجعل يغني فقام اليه احدهم فقال له : احسنت والله . ثم ضربه بالسيف فقتله .

(المعرب)

غناء من الغناء المتقن فأعجب الخليفة به كل الاعجاب . وقال اذهب فلست بمندهش بعد اليوم أن أرى الفتيان يتهافتون الى سماعك . وأمر برد المقبوض عليه من أمواله وأملاكه .

وقد مات بين سنة ٧٠٥ وسنة ٧١٤ مسيحية في حكم الوليد (١)

(١) نأخذ ما يأتي عن كتاب الاغاني

اخبار ابن مسجح ونسبه

سعيد بن مسجح ابو عثمان مولى بني جمح وقيل أنه مولي بني نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وقيل مولى بني مخزوم . هو مكيّ اسود مغن متقدم من فحول المغنين وأكابرهم واول من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس الى غناء العرب ثم رحل الى الشام وأخذ الحان الروم والبربطية والاسطوخوسيه وانقلب الى فارس فأخذ بها غناء كثيراً وتعلم الضرب ثم قدم الى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم والقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنى على هذا المذهب فكان أول من اثبت ذلك ولحنه وتبعه الناس بعده .

مر ابن مسجح بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر عربي . وهو الذي علم ابن سريج والغريض . وكان مولداً اسود يكنى بابي عيسي . وكان فطناً كيساً ذكياً . وكان مولاه معجباً به . وكان يقول في صغره : ليكونن لهذا الغلام شأن . وما منعني من عتقه الا حسن فراستي فيه . ولئن عشت لأ تعرفن ذلك وان مت فهو حر .

سمعه مولاه يوماً وهو يتغنى بشعر ابن الرقاع العاملي وهو من الثقيل الاول بالسبابة في مجرى الوسطى .

الم على طلل عفا متقادم * بين الكيك وبين غيب الناعم
لولا الحياء وان رأسي قد عسا * فيه المشيب لزرت أم القاسم

فدعا به مولاه فقال له يا بني أعد ما سمعته منك عليّ . فاعاده فاذا هو أحسن مما ابتدأ به فقال : ان هذا لمن بعض ما كنت اقول . ثم قال : انى لك هذا ؟ قال : سمعت هذه الاعاجم تتغنى بالفارسية فثقفتها وقلبتها في هذا الشعر . قال له : فانت حر لوجه الله . فلزم مولاه وكثر أدبه واتسع في غنائه ومهر بمكة وأعجبوا به لظرفه وحسن ما سمعوه منه . ودفع اليه مولاه عبيدالله بن سريج وقال له : يا بني علمه واجتهد فيه . وكان بن سريج أحسن الناس صوتاً فتعلم منه ثم برز عليه حتى لم يعرف له نظير .

وقال احمد بن موسى بن حمزه بن عماره بن صفوان الجمحي عن أبيه قال . أول من نقل الغناء الفارسي من الفارسي الى الغناء العربي سعيد ابن مسجح مولى بني مخزوم . وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما بنى دوره التي يقال لها الرقط وهي ما بين الدارين الى الردم . أولها الدار البيضاء وآخرها دار الحمام وهي على يسار المصعد من المسجد الى ردم عمر فجعل لها بنائين فرساً من العراق فكانوا يبنونها بالجص والآجر . وكان سعيد بن مسجح يأتي فيسمع من غنائهم على بنيانهم فما استحسن من الحانهم

(تابع الهامش)

أخذه و نقله الى الشعر العربى ثم صاغ على نحو ذلك وهو الذي علم الغريض فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الاغاني .

أسلامُ انك قد ملكت فاسجحي * قد يملك الحر الكريم فيسجح
مني على عانٍ اطلتِ عناءه * في الغلّ عندك والعناة تسرّح
اني لانصحكم واعلم انه * سيان عندكِ من يغش وينصح
واذ شكوت الى سلامة حبها * قالت اجدُّ منك ذا ام تمزح

الشعر للاحوص والغناء لابن مسجح ثقيل اول بالبنصر .

وعاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبد واخذ عنه في ايام الوليد بن عبد الملك .

وحدث دحمان الاشقر قال كنت عاملا لعبد لملك بن مروان بمكه فنمى اليه ان رجلا اسود يقال له سعيد بن مسجح افسد فتيان قريش واتفقوا عليه اموالهم فكتب الي ان: اقبض ماله وسيره.(اي انفيه) ففعلت . فتوجه بن مسجح الى الشام فصحبه رجل له جوارٍ مغنيات في طريقه . فقال له بن تريد فاخبره خبره وقال اريد الشام قال له فتكون معي قال نعم فصحبه حتى بلغا دمشق فدخل مسجدها فسألا من اخص الناس بامير المومنين فقالوا :هؤلاء النفر من قريش و بنو عمه. فوقف بن مسجح عليهم وسلم ثم قال: يا فتيان هل فيكم من يضيف رجلا غريباً من اهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم الى بعض وكان عليهم موعد ان يذهبوا الى قينة يقال لها برق الافق. فتثاقلوا به الا فتى منهم تذمم فقال انا اضيفك.وقال لاصحابه انطلقوا انتم وانا أذهب مع ضيفي . قالوا لا بل تجيء انت وضيفك فذهبوا جميعاً الى بيت القينه فلما اتوا بالغداء قال لهم سعيد : اني رجل اسود ولعل فيكم من يقذرني فانا اجلس وآكل ناحية . وقام فاستحيوا منه وبعثوا اليه بما اكل . فلما صاروا الى الشراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا به . واخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما فغنتا الى العشاء ثم دخلتا وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير وجلستا اسفل منها عن يمين السرير وشماله فقال ابن مسجح متمثلا بهذا البيت :

فقلت اشمس ام مصابيح بيعة * بدت لك خلف السجف ام انت حالم

فغضبت الجارية وقالت ايضرب هذا الاسود بي الامثال فنظروا اليه نظراً منكراً ولم يزالوا يسكتونها ثم غنت صوتا فقال ابن مسجح : احسنت والله . فغضب مولاها وقال : امثل هذا الاسود يقدم على جاريتي . فقال لي الرجل الذي انزلني عنده : قم فانصرف الى منزلي فقد ثقلت على القوم . فذهبت اقوم فتذمم القوم وقالوا لي : بل اقم واحس ادبك : فاقت وغنت (الجارية) فقلت : اخطأت والله يا فاجرة واسأتِ . ثم اندفعت فغنيت الصوت فوثبت الجارية فقالت لمولاها : هذا والله ابو عثمان سعيد بن مسجح . فقلت اني والله انا هو . والله لا اقيم عندكم . فوثب القرشيون . فقال هذا يكون عندي وقال هذا بل عندي . فقلت والله لا أقيم الا عند سيدكم . يعني الرجل الذي انزله منهم . ثم سألوه عما اقدمه . فاخبرهم الخبر . فقال له صاحبه . اني اسمر الليلة مع امير المؤمنين فهل تحسن ان تحدو ؟ قال لا ولكني استعمل حداء . قال منزلي بحذاء امير المؤمنين فان وافقت منه طيب نفس ارسلت اليك .

ابن محرز

هو مسلم بن محرز من مكة كان ابن معتوق فارسي من عائلة أبي الخطاب . تلقى دروساً في الغناء عن ابن مسجح وقد شخص الى بلاد فارس والى الشام كما فعل استاذه وعند عودته استأنف العمل في مهمة تنظيف الموسيقى العربية من الاصوات التي لم تكن ترتاح اليها أذن معاصر به. ومن المزيج الذي صنعه من ألذ الاصوات واحسنها امكن له ان يصيغ ألحاناً من الشعر العربي كانت على جانب كبير من الحلاوة لم يسمعوا لها شبيهاً في مكة قبل ذلك

وقد قسم ابن محرز حياته ما بين مكة والمدينة حيث تعلم ألحان عزة الميلاء . اما ألحانه فكان الفضل في نشرها لجارية من المغنيات كانت لصديق من اصدقائه

وينسب اليه كتاب الاغاني اختراع الرمل وهو غناء يوقع على ميزان رشيق سريع استمر خصيصاً بالعرب مدة قرن بالتقريب

وقد انتقل الرمل الى بلاد الفرس في عهد الخليفة هارون الرشيد .

وينسب المؤرخون لابن محرز اصلاحاً فنياً كبيراً . من ذلك ان قاعدة الغناء من قبله كانت ان يلحن البيت الاول من الشعر ويتكرر التلحين في كل بيت يليه كانوا يصنعون ذلك بلا شك نظراً لان كل بيت من أبيات الشعر كان يحوي معنى كاملا. فجاء ابن محرز وضرب بهذه القاعدة عرض الحائط ومدّ التلحين من بيت واحد الى بيتين وما كان أسرع الملحنين في اتباع قاعدته والتشبه به

(تابع الهامش)

ومضى الى عبد الملك فلما رآه طيب النفس ارسل الى ابن مسجح فاخرج هذا رأسه من وراء شرف القصر ثم حدا :

انك يا معاذ يا ابن الفضل	أن زلزل الاقدام لم تزلزل
عن دين موسى والكتاب المنزل	تقيم اصداع القرون الميل

للحق حتى ينتحوا للاعدل

فقال عبد الملك للقرشي : من هذا ؟ قال : رجل حجازي قدم عليّ .قال احضره . فاحضره له وقال له احد مجدا . ثم قال له : هل تغني غناء الركبان ؟ قال نعم قال : غنه فتغنى فقال له : فهل تغنى الغناء المتقن ؟ قال نعم . قال : غنه . فتغنى . فاهتز عبد الملك طربا ثم قال له : اقسم ان لك في القوم لا سما كثيرا . من انت ويلك . قال له : انا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح . قبض مالي عامل الحجاز ونفاني . فتبسم عبد الملك ثم قال له : قد وضح عذر فتيان قريش في ان ينفقوا عليك اموالهم . وامنه ووصله وكتب الى عامله يرد ماله عليه وان لا يعرض له بسوء . (المعرب)

وقد مات ما بين سنة ٧٠٥ وسنة ٧١٤ مسيحية أي في الزمن الذي مات فيه ابن مسجح (١)

---

(١) نأخذ ما يأتي عن كتاب الاغاني :

أخبار ابن محرز ونسبه

هو مسلم بن محرز ويكنى أبا الخطاب مولى بني عبد الدار من قصي . وقيل اسمه سلم وقيل اسمه عبد الله . وكان أبوه من سدنة الكعبة أصله من الفرس وكان ابن محرز يسكن المدينة مرة ومكة مرة فاذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة اشهر يتعلم الضرب من عزة الميلاء ثم يرجع الى مكة فيقيم بها ثلاثة اشهر ثم يشخص الى فارس فيتعلم ألحان الفرس وغناءهم . ثم صار الى الشام فتعلم الحان الروم واخذ غناءهم فاسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين وأخذ محاسنها فزج بعضها ببعض وألف منها الاغاني التي صنعها في اشعار العرب فأتى بما لم يسمع مثله . وكان يقال له صناج العرب (الصناج آلة باوتار يضرب بها . معرب . قاموس) وأول من غنى الرمل ابن محرز وما غناه احد من قبله . وأول من غنى رملا بالفارسية سلمك في أيام الرشيد ، استحسن لحناً من ألحان ابن محرز فنقل لحنه الى الفارسية وغنى فيه

وكان ابن محرز قليل الملابسة للناس فاخمل ذلك ذكره فما يذكر منه الا غناؤه . واخذت اكثر غنائه جارية كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذه الناس عنها . وكان يقدم بما يصيبه فيدفعه الى صديقه ذلك فينفقه كيف شاء لا يسأله عن شيء منه حتى اذا كاد ان ينفد جهزه واصلح من أمره وقال له اذا شئت فارحل . فيرحل ويعود . فلم يزل كذلك حتى مات ٠ وهو أول من غنى بزوج من الشعر وعمل ذلك بعده المغنون اقتداءً به وكان يقول: الافراد لا تتم بها الالحان . وذكر انه أول ما اخذ الغناء اخذه عن ابن مسجح . وكانت العلة التي مات بها الجذام فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس لاجل ذلك .

قال اسحق ليونس: من أحسن الناس غناء؟ قال : ابن محرز . قال : وكيف قلت ذاك ؛ قال ان شئت فسرت وان شئتَ اجملتُ . قال اجمل . قال كأنه خلق من كل قلب فيغني كل انسان ما يشتهي. وهذه الحكاية بعينها قد حكيت في ابن سريج

وسأل الفضل بن يحيى بن خالد بعض من يبصر الغناء : من احسن الناس غناء ؛ فقال أمن الرجال أم من النساء ؛ فقال من الرجال . فقال ابن محرز

وكان اسحق يقول . الفحول ابن سريج ثم ابن محرز ثم معبد ثم الغريض ثم مالك .

شخص ابن محرز مرة يريد العراق فلقيه حنين فقال له غني صوتاً من غنائك فغناه :

وحسن الزبرجد في نظمه * على واضح الليت زان المقودا
يفصل ياقوته دره * وكالجمر ابصرت فيه الفريدا

(الشعر لعمر بن ابي ربيعة والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر) فقال له حنين حينئذ . كم أملت من العراق ؟ قال : الف دينار . فقال له ; هذه خمسماية دينار فخذها وانصرف واحلف

حنين بن بلوع

هو ابو كعب حنين بن بلوع المسمى بالحيري لانه من الحيرة . والحيرة قديماً عاصمة العراق العربي وكان مسيحياً.

كان حنين يبيع الازهار والفاكهة متنقلا بين منازل المطربين واعيان القوم الموسرين فيسمع الغناء ولما كان مطبوعاً على حسن الصوت فقد دأب على درس الموسيقى وعمد الى وادى القرى يطلب العلم من اهله . فلما قلب الى العراق كان يجيد العزف على العود ويبتدع الحاناً فاخرة الصناعة فكان نجاحه سريعاً .

حرم خالد حاكم العراق الغناء في جميع الاقليم الذي كان تحت سلطته زاعماً ان ذلك يفسد الاخلاق فدخل اليه حنين يوماً وغناه على عوده شعراً كله حكم وادب . فصاح خالد : احسنت ! وقد أذنت لك وحدك بالغناء على ان لا تجالس سفيهاً او سكيراً معربداً .

وقد وصل بعد ذلك حنين الى ان يكون نديم بشر بن مروان الشقيق الاصغر للخليفة عبد الملك حاكم العراق ورفيقه في ليالى مسراته واعياده.

وكان حنين عميد الفن الموسيقي الراقي في العراق : أما سواه من الموسيقيين فلم يكونوا يصنعون ويغنون الا الالحان البسيطة من النوع السهل فى النصب والهزج يختلف قليلا عن النصب

وقد بلغ اليه ان ابن محرز وافد الى العراق مدفوعاً بعامل الاستفادة من كرم عشاق الموسيقى فخرج الى لقائه واقنعه بالعدول عن ذلك مقابل خمسماية دينار ذهب فعاد من حيث اتى

وقد لامه القوم يوماً على ما كان يستنزفه با كثار من أموال العظماء الذين كان يستغل سماحتهم وكرمهم فقال مهلا أيها الاخوان وكونوا من المنصفين انى أفيض عليهم من روحي ومن انفاسي افتلوموني ان اجعل لذلك ثمنا غالياً :

وقد مات في المدينة حول سنة ٧١٨ مسيحية في كارثة حدثت في حفلة اقيمت لتكريمه (١)

ان لا تعود . ولما شاع ما فعل حنين لامه أصحابه عليه فقال . والله لو دخل ابن محرز العراق لما كان لى معه فيه خبز آكله وسقطت الى آخر الدهر .

وهذا الصوت . وحسن الزبرجد فى نظمه : من صدور اغاني ابن محرز وأوائلها وما يتعلق بمذهبه فيه ولا يتشبه به أحدهم . ومما يغني فيه من قصيدة نصيب التى أولها : أهاج هواك المنزل المتقادم :

لقد راعني للبين نوح حمامة * على غصن بان جاوبتها حمائم
هواتف أما من بكين فعهده * قديم وأما شجوهن فدائم

(المعرب)

(١) نأخذ من كتاب الاغاني :

اخبار حنين الحيري ونسبه

حنين بن بلوع الحيري مختلف في نسبه فقيل انه من العباديين من تميم وقيل انه من بني الحرث

(تابع الهامش)

بن كعب. وقيل انه من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحرث بن كعب فعدوا فيهم . ويكنى أبا كعب : وكان شاعراً مغنياً فحلا من فحول المغنين وله صنعة فاضلة متقدمة وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال الى الشام وغيرها . وكان نصرانياً • وهو القائل يصف الحيرة ومنزله بها .

انا حنين ومنزلي النجفُ * وما نديمي الا الفتى القصفُ
اقرع بالكاس ثغر باطية * مترعةٍ تارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها * بيت يهود قرارها الخزف
والعيش غضٌ ومنزلي خصب * لم تغذني شقوة ولا عنف

ذكر اسحق ان حنيناً غنى هشاماً بن عبد الملك وهو سائر الى الحج :

صاح هل أبصرت بالخبـ.....تين من اسماء نارا
موهنا شبت لعينيـ.....ك ولم توقد نهارا
كتلالي البرق في المز.....ن اذا البرق استطارا
اذكرتني الوصل من سعـ.....دى وأياما قصارا

فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف فأمر له بمائتي دينار .

قيل لحنين أنت تغنى منذ خمسين سنة ما تركت لكريم مالا ولا داراً ولا عقاراً الا أتيتَ عليه فقال بأبي انتم انما هي انفاسي اقسمها بين الناس افتلوموني ان اغلي بها الثمن

كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في حمل التحيات فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة واصحاب القيان والمطربين الى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه وأقام عندهم وخف لهم فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويصغي اليه ويستمعه ويطيل الاصغاء اليه فلا يكاد ينتفع به في شيء اذا سمعه حتى شدا منه أصواتاً فسمعها الناس وكان مطبوعاً حسن الصوت واشتهوا غناءه والاستماع منه وعشرته وشهر بالغناء ومهر فيه وبلغ منه مبلغاً كثيراً ثم رحل الى عمر بن داود الوادي والى حكم الوادي واخذ منهما وغنى لنفسه في اشعار الناس فاجاد الصنعة واحكمها ولم يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصره . وقدم ابن محرز حينئذ الى الكوفة فبلغ خبره حنيناً وقد كان يعرفه فخشي ان يعرفه الناس فيستحلونه ويستولى على البلد فيسقط هو فقال له كم منتك نفسك من العراق قال الف دينار فقال هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبدأتك ودع العراق لي وامض مصاحباً حيث شئت . وكان ابن محرز صغير الهمة لا يحب عشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً فأخذ المال وانصرف

وقال حماد في خبره (عن حنين) : قال حنين : خرجت الى حمص التمس الكسب بها وارتاد من استفيد منه شيئا فسألت عن الفتيان واين يجتمعون فقيل لي عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا . فجئت الى احدها فدخلته فاذا فيه جماعة منهم فانست وانبسطت واخبرتهم اني غريب . ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي الى منزل احدهم فلما قعدنا اتينا بالطعام فأكلنا واتينا بالشراب فشربنا . فقلت لهم هل لكم في مغنٍ يغنيكم قالوا ومن لنا بذلك . قلت انا لكم به هاتوا عودا ،

(تابع الهامش)

فاتيت به فأبتدأت في هنيات ابي عباد معبد فكأنما غنيت الحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سروا به . فقلت ثقل عليهم غناء معبد لكثرة عمله وشدته وصعوبة مذهبة . فاخذت في غناء الغريض فاذا هو عندهم كلا شيء . وغنيت خفائف ابن سريج واهزاج حكم والاغاني التى لي واجتهدت في ان يفهموا فلم يتحرك من القوم احد وجعلوا يقولون : ليت ابا منبه قد جاءنا . فقلت في نفسى اراني سافتضح اليوم بابي منبه فضيحة لم يفتضح احد قط مثلها . فبينما نحن كذلك اذ جاء ابو منبه واذا هو شيخ عليه خفان احمران كأنه جمال فوثبوا جميعا اليه وسلموا عليه وقالوا : يا ابا منبه ابطأت علينا وقدموا له الطعام وسقوه اقداحا وخنست انا حتى صرت كلا شيء خوفا من ابي منبه فاخذ العود ثم اندفع يغني :

طرب البحر فاعبري يا سفينة * لا تشقي على رجال المدينة

فاقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون ثم أخذ في نحو هذا من الغناء (السخيف) فقلت في نفسي انتم ههنا لئن اصبحت سالما لا امسيت في هذه البلدة . فلما اصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجها الى الحيرة وقلت :

ليت شعري متى تخب بي النا * قة بين السدير والصنين
محقبا ركوة وخبز رقاق * وبقولا وقطعة من نون
لست ابغي زاداً سواها من الشا * م وحسبي علالة تكفيني
فاذا أبت سالما قلت سحقا * وبعادا لمعشر فاروقوني

وذكر ابن كناسة ان خالد بن عبد الملك القسري حرم الغناء بالعراق في أيامه ثم أذن للناس يوماً في الدخول عليه فدخل اليه حنين ومعه عود تحت ثيابه فقال : أصلح الله الامير . كانت لي صناعة أعود بها على عيالي فحرمها الامير فاضر ذلك بي وبهم فقال الامير وما صناعتك فكشف حنين عن عوده وقال : هذا . فقال له خالد غن . فحرك اوتاره وغنى .

أيها الشامت المعير بالده * ر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الايا * م بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من * ذا عليه من أن يضام خفير

فبكي خالد وقال: قد أذنت لك وحدك خاصة فلا تجالسن سفيها ولا معربداً فكان اذا دعي قال : أفيكم سفيه او معربد فاذا قيل له لا دخل .

(شعر هذا الصوت المذكور لعدي بن زيد والغناء لحنين رمل بالوسطى . وقوله المبرأ يعني المبرأ من المصائب والموفور الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء)

(قال اسحق ولم يكن بالحيرة مذكور فى الغناء سوى حنين الا نفراً من السدريين يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن حمه وكانوا يغنون غناء الحيرة بين الهزج والنصب وهو الى النصب اقرب . ولم يذروا منه شيئاً لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول

قدم عبيد الله بن سريج الحيرة في ولاية بشر بن مروان للكوفة ومعه ثلثمائة دينار فأتى بها

(تابع الهامش)

منزل حنين وقال له أنا رجل من أهل الحجاز من أهل مكة بلغني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر :

حنتني حانيات الدهر حتى * كأني خاتل يدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رآني * ولست مقيداً أني بقيد

فخرجت بهذه الدنانير لانفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفذ وانصرف الى منزلي . فسأله عن اسمه ونسبه فخبرهما وانتمى الى بني مخزوم فأخذ حنين المال منه وقال موفر مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج اليه مثلك ما نشطت للمقام عندنا فاذا دعتك نفسك الى بلدك جهزناك اليهم ورددنا عليك مالك . واسكنه داراً كان ينفرد فيها فمكث عنده شهرين لا يعلم حنين ولا أحد من أهله انه يغني .

ففي ذات يوم صائف انصرف حنين من دار بشر بن مروان مع قيام الظهيرة فصار الى باب الدار التي كان انزل ابن سريج فيها فوجده مغلقا فارتاب بذلك ودق الباب فلم يفتح له ولم يجبه أحد . فصار الى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريها ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحاً فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته . فلما دخلها رأى ابنته وجواريها وقوفاً على باب السرداب وهن يومين اليه بالسكوت وتخفيف الوطء فلم يلتفت الى اشارتهن لما تداخله الى ان سمع ترنم ابن سريج بهذا الصوت :

وتركته جزر السباع ينشنه * ما بين قلة رأسه والمعصم
ان تغدفي دوني القناع فانني * طب بأخذ الفارس المستلئم

(اغدفت المرأة قناعها ارسلته)

فالقى حنين السيف من يده وصاح به وقد عرفه من غير ان يكون رآه ولكن بالنعت والحذق : ابا يحيى جعلت فداءك اتيتنا بثلثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا فوحق المسيح لاخرجتَ منها الا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك ثم دخل اليه فعانقه ورحب به ولقيه بخلاف ما كان يلقاه به وسأله عن هذا الصوت فأخبره أنه صاغه في ذلك الوقت فسار معه الى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم اول مرة ثم وصله بعد ذلك بمثلها . فلما اراد الخروج رد عليه حنين ماله وجهزه ووصله بمقدار نفقته التي انفقها من مكة الى الحيرة ورجع ابن سريج الى اهله وقد اخذ جميع من كان في دار حنين منه هذا الصوت .

وكان المغنون في عصر حنين اربعة نفر ثلاثة بالحجاز وحنين وحده بالعراق والذين بالحجاز : ابن سريج والغريض ومعبد . فكان يبلغهم ان حنيناً قد غنى في هذا الشعر

هلا بكيت على الشباب الذاهب * وكففت عن ذم المشيب الآيب
هذا ورب مسوفين سقيتهم * من خمر بابل لذة للشارب
بكروا علي بسحرة فصحبتهم * من ذات كرنيب ككعب الحالب
بزجاجة ملء اليدين كأنها * قنديل صبح في كنيسة راهب

فاجتمعوا فتذاكروا امر حنين وقالوا : ما في الدنيا اهل صناعة شر منا . لنا اخ بالعراق ونحن

﴿ جميلة ﴾

هي من المدينة وكانت مولاة عائلة من عائلات بني بهز (١) نبغت في فن الغناء وكانت من اساتذته الكبار وبين تلامذتها طائفة كبيرة بلغت من الشهرة جانبا كبيراً ومنهم معبد وابن سريج وابن عائشة وحبابة وسلامة القس وخليدة وسواهم . وكان معبد يقول : الاصل في فن الغناء جميلة ونحن الفروع واننا لم نكن شيئاً لولاها

وقد كانت جميلة تقول ان الفضل في مهارتها فى فن الغناء يرجع الى سائب خاثر الذي كانت تسمعه يغني ويعزف على عوده يوم كان يسكن الى جوار آل بهز فلم تبطء ان غنت وصاغت الالحان بنفسها وقد عظمت شهرتها بسرعة . وكم كان من القوم من يسوق اليها صبايا الجواري ليأخذن عنها دروساً في الموسيقى فينقضي النهار كله وينصرف اكثرهن في المساء ولم يجدن فسحة من الوقت لاخذ دروسهن

وقد كان لها زوج من موالي بني الحرث بن الخزرج وكانت تقيم واياه بالسنح (٢) في دار فخمة وخدم كثير . وجميع الموسيقيين والشعراء كانوا يأمون دارها وقد جاء صاحب كتاب الاغاني بشيء كثير من الوصف عن ابهة استقبالاتها وفخامتها وعن وجاهة زوارها وضيوفها الذين كانوا يتحملون المشاق الكثيرة ليحضروا الى سماعها

ففي ليلة من الليالي التي اقامتها لتكريم عبد الله بن جعفر غنت جميلة مع خمسين غادة على رؤوسهن اكاليل الازهار ولباسهن من افخر اللباس المصبغه فقالت لهن : اضربن بضرب واحد وانشدن معي هذا الشعر وهذا اللحن بصوت واحد. فلما سمع عبدالله هذا العدد الكبير من اصوات المعازف والنساء بلغت دهشته ولذته مقداراً كبيرا خشي منه على فضيلته الاسلامية وقال : ما ظننت ان يبلغ الفن هذا الحد البعيد وحقا ان ذلك لما تفتتن به القلوب وتضطرب له الحواس ولذلك يحكم بعض الناس على الموسيقى وكانت الحانها تنتشر بسرعة وتبلغ في الشهرة حداً كبيراً بدليل الحادث الآتي : طلب منها مرة ان

بالحجاز لا نزوره ولا نستزيره · فكتبوا اليه ووجهوا له نفقة وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وانت وحدك فانت اولى بزيارتنا فشخص اليهم فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه فلم ير يوم كان اكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ . ودخلوا فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صيروا الي . فقال له ابن سريج . ان كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سكينه بنت الحسين عطفنا اليك . فقال : ما لي من ذلك شيء . وعدلوا الى منزل سكينة فلما دخلوا اليها اذنت للناس اذناً عاماً فغصت الدار بهم وصعدوا فوق السطح وامرت لهم بالاطعمة فاكلوا منها ثم انهم سألوا حنيناً ان يغنيهم صوته الذي اوله : هلا بكيت على الشباب الذاهب · فغناهم اياه وكان من احسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه فسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعا واخرجوا اصحاء ومات حنين تحت الهدم فقالت سكينة عليها السلام : لقد كدر علينا حنين سرورنا . انتظرناه مدة طويلة كانا والله كنا نسوقه الى منيته · وعاش حنين مائة سنة وسبع سنين (المعرب)

(١) جاء بالفرنسية : Babz وهذا ينطق (ببز) وصحته (بهز) Bahz كما ذكرنا

(٢) جاء في الاصل الفرنسي Soun ويقرأ سون وصحته Sounh كما ذكرناه

تأوي الاحوص الملقب بالعرجي(١) في دارها وهو من احفاد الخليفة عثمان ومن اكبر شعراء بني قريش فكتبت الى الشاعر ابي محمد عبدالله من المدينة الملقب بالاحوص ما يأتي :

« لقد لحنت جميلة ابياتك الاخيرة التي قدمتها اليها فاذا ماشئت ان تغنيها وتنشرها بين الناس وان تستمر صديقة لك اصلح ما بينك وبين العرجي وانزله منزلك »

فكان ما طلبت .

وقد جاء ابن سريج ومعبد ومالك وجميع الموسيقيين المشهورين المدينة ليتقنوا فن الغناء في مدرسة جميلة . ففي ذات يوم غنت جميلة لحنا من صنعها في شعر لحاتم الطائي فصاح جميع من حضر :

هذا غناء جدير بداود !

وكانت في اكثر الاحيان تغني معهم جميعاً فتقول لهم اضربوا معي فيضربون «وضربوا بضرب واحد» وكانت جميلة تغني لحنا فيكررونه جميعاً بعدها مستصحبين الغناء بصوت العيدان فكان الموسيقيون الغرباء يبلغون في الطرب الى حد الذهول وكان بعضهم يقول . هل يؤثر اصحابنا المكيون المقام بالمدينة انقاسمهم جميع ما نملك .

وكان معبد عند ما يذكر تلك الحفلات يقول: ما مررت بالذ من تلك الاوقات حتى ولا عند خليفة من الخلفاء .

وقد حجت جميلة فوافت مكة بموكب عظيم وركب كبير جمع اشهر مغني ومغنيات وشعراء المدينة وجماعة من الاشراف وخمسين قينة لكريمات العقائل في المدينة وجهن بهن معها ليكرمنها ويعظمن قدرها . فكان لموكبها ذكر كبير .

وقد ابت جميلة ان تغني في مكة كي لا تخلط عملا دينياً بعمل دنيوي .

وقد صحبها في عودتها جماعة كبيرة من المكيين ولما عادت الى المدينة خرج اليها اهل المدينة من جميع الطبقات كباراً وصغاراً واستقبلوها استقبالا باهراً .

اما هي فلتقابل حسن صنيعهم بالشكر أحيت لهم حفلات موسيقية جمعت من الموسيقيين ابن مسجح وابن محرز وابن سريج ومعبد ومالك والغريض وابن عائشة ونافع بن طنبوره والهزلين الثلاثة وبديح المليح وطويس والدلال وبرد الفواد ونومة الضحى وهبة الله وفند(٢) ومن الموسيقيات عزة الميلاء وحبابة وسلامة القس وخليدة وربيحة وفرعة وبلبلة ولذة العيش وسعدة وكانت جماعة العازفات على العيدان خمسين عازفة وكان البرنامج يشتمل على قطع غنائية فردية (Solo) ومزدوجة (Duo) ومثالثة (Trio) يتخلل ذلك بعض القطوف الموسيقية للآلات فكانت حفلة موسيقية عجيبة فريدة جمعت عظماء واقطاب الموسيقى في الاسلام لم تر العين مثلها

---

(١) الملقب بالعرجي هو عبدالله بن عمرو بن عثمان الشاعر وليس الاحوص وسيتضح الخطأ مما سنقتبسه من كتاب الاغاني فيما يلي .

(٢) كتب بالفرنسيه (Fendl) فندل وهذا خطأ

(المعرب)

وماتت جميلة قبيل حكم الوليد أي قبيل سنة ٧١٤ مسيحية (١)

(١) ذكر جميلة واخبارها

مقتطف من كتاب الاغاني

هي جميلة مولاة بني سليم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز . وكان لها زوج من موالي بني الحرث بن الخزرج . وكانت تنزل فيهم . فغلب عليها ولاء زوجها . فقيل أنها مولاة للانصار . تنزل بالسنح ....

وهي أصل من اصول الغناء . وعنها اخذ معبد وأبن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشماسيتان : خليدة وربيحة .

يقول الحسين بن يحيى : كانت جميلة اعلم خلق الله بالغناء وكان معبد يقول : اصل الغناء جميلة وفروعه نحن. ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين .

وسئلت جميلة انى لك هذا الغناء قالت :

والله ماهو الهام ولا تعليم ولكن ابا جعفر سائب خاثر كان لنا جاروكنت اسمعه يغني ويضرب بالعود فلا افهمه. فاخذت تلك النغمات فبنيت عليها اغنائي فجاءت اجود من تأليف ذلك الغناء فعلمتُ والقيت فسمعني مواليَّاتي يوماً وانا اغني سراً ففهمنني ودخلن عليَّ وقلن : قد علمنا فما تكتمينا فاقسمن عليَّ فرفعت صوتي وغنيتهن بشعر زهير بن ابي سلمى

وما ذكرتك الاهجت لي طرباً ... ان المحب ببعض الامر معذور

ليس المحب كمن ان شط غيره ... هجر الحبيب وفي الهجران تغيير

فحينئذ ظهر امري وشاع ذكري فقصدني الناس وجلست للتعليم فكان الجواري يتكاوسنني فربما انصرف اكثرهن ولم يأخذن شيئاً سوى ماسمعنني اطارح لغيرهن ولقد كسبتُ لمواليَّ مالم يخطر لهن ببال .

وقالوا : كانت جميلة ممن لا يشك في فضيلتها في الغناء ولم يدَّع احد مقاربتها في ذلك وكل مدنيٍّ ومكيٍّ يشهد لها بالفضل .

وكانت مرة في مجلس لها وكان عندها جارية محسنة لبقة ظريفة فطارحتها بشعر حاتم الطائي .

اتعرفُ آثار الديار توهما ... كخطك في رق كتابا منمنما

اذاعت به الارواح بعدانيسها ... شهوراً واياماً وحولا مجرماً

فاصبحن قد غيرن ظاهر تربه ... وغيرت الانواء ما كان معلما

وغيرها طول التقادم والبلى ... فما اعرف الاطلال الا توهما

وحضر ذلك المجلس جماعة من حذَّاق اهل الغناء فكلهم قال مزامير داود !

اتى ابن ابي عتيق وعمر بن ابي ربيعة والاحوص بن محمد الانصاري منزل جميلة فقال لها عمر اني قصدتك من مكة للسلام عليك فقالت له اهل الفضل انت. قال : وقد احببت ان تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك قالت افعل .ودعت بالعود وغنت :

(تابع الهامش)

تمشي الهوينا اذا مشت فضلا　　مشي النزيف المخمور في الصعد
تظل من زور بيت جارتها　　واضعةً كفها على الكبد
يا من لقلب متيم سدم　　عانٍ رهينٍ مكلمٍ كمد
ازجره وهو غير مزدجرٍ　　عنها وطرفي مكحل السهد

فلقد سمع للبيت زلزلة وللدار همهمة واستخف الغناء القوم اجمعين وصفقوا بايديهم وفحصوا بارجلهم وحركوا رؤسهم وقالوا نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه . ما أحسن ما غنيتِ واجمل ما قلتِ .

ثم دعت بانواع الاشربه فشرب القوم اجمعون فغنت صوتا لشعر لعمر :

ولقد قالت لجارات لها　　كالمها يلعبن في حجرتها
خذن عني الظل لا يتبعني　　ومضت تسعى الى قبتها
لم تعانق رجلا فيما مضى　　طفلة غيداء في حلتها
لم يطش قط لها سهم ومن　　ترمه لم ينج من رميتها

فصاح عمر ويلاه ثلاثاً ثم عمد الى جيب قميصه فشقه الى اسفله فصار قباء . ثم آب اليه عقله فندم واعتذر وقال لم املك من نفسي شيئا . قال القوم قد اصابنا كالذي اصابك واغمي علينا . غير انا فارقناك في تخريق الثياب . فدعت جميلة بثياب فخلعتها على عمر فقبلها ولبسها وانصرف القوم الى منازلهم ووجه عمر الى جميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب فقبلتها جميله وانصرف عمر الى مكة جزلان مسرورا

حجت جميلة فصحبها من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء هيت وطويس والدلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى وقند ورحمة وهبة الله هؤلاء مشايخ وكلهم طيب الغناء . ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة وبديح المليح ونافع الخير . ومن النساء المغنيات : عزة الميلاء وحبابة وسلامة وخليدة وعتيلة والشماسية وفرعة وبلبلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء ومن غير المغنين ابن ابي عتيق والاحوص وكثير عزة ونصيب وجماعة من الاشراف وكذلك من النساء من مواليها وغيرهم وحج معها من القيان مشيعات لها ومعظمات لقدرها . ولحقها زهاء خمسين قينة وجه بهن مواليهن معها فاعطوهن النفقات وحملوهن على الابل في الهوادج والقباب وغير ذلك . فابت جميلة ان تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن .

وحج معها من الرجال المغنين مع من سمينا زهاء ثلاثين رجلا وتخاروا في اتخاذ انواع اللباس العجيب الظريف .

وقيل فيما قال اهل المدينة انهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سفرا طيباً وحسنا وملاحة

ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز والهزليون وجماعة من المغنين من اهل مكة وقيان كثيرة الخ الخ . . . فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز ممن حاذق ولا مغنية الا وهو معها .

وخرج ابناء اهل مكة من الرجال والنساء ينظرون الي جمعها وحسن هيئتهم . فلما قضت حجها

(تابع الهامش)
سألها المكيون ان تجعل لهم مجلساً فقالت : ـ للغناء ام للحديث ؟
قالوا : لهما جميعاً .
قالت : ما كنت لاخلط جداً بهزل .
وابت ان تجلس للغناء . فقال عمر بن ابي ربيعة :
ـ اقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها الا خرج معها الى المدينة فاني خارج .
فعزم القوم الذين سميناهم كلهم على الخروج ومعهم جماعة ممن نشط . فخرجت في جمع اكثر من جمعها بالمدينة .
فلما قدمت المدينة تلقاها اهلها واشرافهم من الرجال والنساء فدخلت احسن مما خرجت به منها وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على ابواب دورهم ينظرون الى جمعها والى القادمين معها
فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع الى منازلهم ونزل اهل مكة على اقاربهم واخوانهم اتاها الناس مسلمين وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير . فلما مضى لمقدمها عشرة ايام جلست للغناء الخ .
فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس فضربت ستارة واجلست الجواري كلهن فضربن وضربت . فضربن على خمسين وتراً فتزلزلت الدار ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر .

فان خفيت كانت لعينك قرة ... وان تبد يوما لم يعممك عارها
من الخفرات البيض لم تر غلظةً ... وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها
فما روضةٌ بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندا جثجاثها وعرارها
باطيب من فيها اذا جئت طارقا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

ولجميلة لحن في الشعر الآتي من نظم عمر بن ابي ربيعة :

من البكرات عراقيـة * تسمى سبيعة اطريتها
من آل ابي بكرة الاكرمين * خصصت بودي فاصفيتها
ومن حبها زرت اهل العراق * وأسخطت اهلي وارضيتها
اموت اذا شحطت دارها * واحيا اذا انا لاقيتها
فاقسم لوان ما بي بها * وكنت الطبيب لداويتها

ولها لحن ايضاً في الشعر الآتي :

ابت المليحة ان تواصلني * واظن اني زائر رمسي
لا خير في الدنيا وزينتها * مالم توافق نفسها نفسي
لا صبر لي عنها اذا حسرت * كالبدر أو قرن من الشمس
ورمت فؤادك عند نظرتها * بملاحة الائثار والانس

وقعدت جميلة يوماً على كرسي لها وقالت لآذنها لا تحجبي عنا احداً اليوم واقعدي بالباب فكل

(تابع الهامش)

من يمر بالباب فاعرضي عليه مجلسي ففعلت ذلك حتى غصت الدار بالناس . فقالت جميلة : اصعدوا الى العلالي . فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح فجاءتها بعض جواريها فقالت لها : ان تمادي امرك على ما ارى لم يبق في دارك حائط الا سقط فاظهري ما تريدين : قالت اجلسي .

فلما تعالى النهار واشتد الحر استسقى الناس الماء فدعت لهم بالسويق فشرب من اراد . فقالت :

اقسمتُ على كل رجل وامرأة دخل منزلي الا شرب

فلم يبق في سفل الدار ولا علوها احد الا شرب وقام على رؤسهم الجواري بالمناديل والمراوح الكبار وامرت جواريها فقمن في ما بين كل عشرة نفر جارية تروح ثم قالت لهم :

اني قد رأيت في منامي شيئاً افزعني وارعبني ولست اعرف ماسبب ذلك وقد خفت ان يكون قرب أجلي وليس ينفعني الاصالح عملي . وقد رأيت ان اترك الغناء كراهة ان يلحقني منه شيء عند ربي .

فقال قوم منهم : وفقك الله وثبت عزمك . وقال آخرون : بل لا حرج عليك في الغناء . وقال شيخ منهم ذو سن وعلم وفقه وتجربة .

ـ قد تكلمت الجماعة وكل حزب بما لديهم فرحون ولم اعترض عليهم في قولهم ولا شركتهم في رأيهم فاستمعوا الآن لقولي وانصتوا ولا تشغبوا الى وقت انقضاء كلامي . فمن قبل قولي فالله موفقه ومن خالفني فلا بأس عليه اذ كنت في طاعة ربي .

فسكت القوم جميعاً فتكلم الشيخ قائلا .

ـ يامعشر أهل الحجاز . . . . ان الغناء من اكبر اللذات وأسر للنفوس من جميع الشهوات . يحيي القلب ويزيد في العقل . ويسر النفس . ويفسح في الرأي . ويتيسر به العسير وتفتح به الجيوش ويذلل به الجبارون ويبريء المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره .... من تمسك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلا لانه لا منزلة ارفع ولا شيء احسن منه فكيف يستصوب تركه الخ وقال لجميلة أرعيت ماقلت ووقع من نفسك ماذكرت قالت أجل وانا استغفر الله . قال لها فاختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط فغنت .

افي رسم دار دمعك المترقرق . الخ

فقال الشيخ : حسن والله امثل هـذا ينزل فيه مشاهد الرجال لا والله لا ينزل هذا . ولا كرامة لمن خالف الحق .

ثم قام وقام الناس معه وهو يقول : الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته . وسلام عليك ورحمة الله ياجميلة ؟

جلست جميلة يوماً ولبست برنساً طويلا والبست من كان عندها برانس دون ذلك وكان في القوم ابن سريج وكان قبيح الصلع قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسه .

وأحبت جميلة ان ترى صلعته فلما بلغ البرنس الى ابن سريج قال دبرت علي ورب الكعبة . وكشف صلعته ووضع القلنسية على رأسه فضحك القوم من قبح صلعته ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم امثالها وقام ابن سريج يرقص ومعبد

ابن سريج

هو عبيد الله بن سريج ويكنى ابايحيى(١) من موالي مكة وتلميذ ابن مسجح . ولم يكن له شأن يذكر في أول نشأته اذ كان نائحاً يغني غناء الندب(٢) في الجنازات . وقد سمع عمالاً من الفرس يشتغلون ببناء الكعبة (سنة ٦٨٠ مسيحية) فكان للموسيقى الفارسية ايضاً تأثير عليه . ولم يكتف بعد ذلك بقضيب يضرب به الميزان الموسيقي كما كان يفعل من قبل بل تعهد العود فمهر به واخذ يستصحبه في غنائه .

ويقول ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني ان ابن سريج هو اول من غنى في مكة الشعر العربي مستصحباً العود .

على أنه ما كاد يبلغ بعض الشهرة حتى عدل عن مهنة الندب واقبل على الغناء المتقن يصنع فيه الالحان على الميزان الثقيل وفروعه .

وقد كان له تلميذ اسمه الغريض معتوق عبدالملك(٣) ساواه فى التلاحين من هذا النوع فكبر عليه الامر واقبل يعمل في الهزج والرمل . الاول نوع سهل بسيط والثاني نوع حي مشتعل . على أنه عاد بعد

والغريض وابن عائشة ومالك وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها فغنت وغنى القوم على غنائها :

ذهب الشباب وليته لم يذهب — وعلا المفارق وقع شيب مغرب
والغانيات يردن غيرك صاحباً — ويعدنك الهجران بعد تقرب
اني اقول مقالة بتجارب — حقا ولم يخبرك مثل مجرب
صاف الكريم وكن لعرضك صائناً — وعن اللئيم ومثله فتنكب

ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا . ثم ضربت بالعود ومشت ومشى القوم خلفها وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد :

يمشين مشي قطى البطاح تأوداً — قب البطون رواجح الاكفال
فيهن آنسة الحديث حيية — ليست بفاحشة ولا متفال
وتكون ريقتها اذا نبهتها — كالمسك فوق سلافة الجريال

ثم نعرت ونعر القوم طرباً ثم جلست وجلسوا و خلعوا ثيابهم ورجعوا الى زيهم واذنت لمن كان ببابها فدخلوا وانصرف المغنون وبقى عندها من يطارحها من الجواري .

(المعرب)

(١) جاء بالفرنسية : ابويحيى عبيد بن سريج وصحته كما اوردنا

(٢) جاء بالفرنسية : (Nayeb) وصحتها (Nadb)

(٣) جاء بالفرنسية :(El-Sharidh, affranchi d'Abd-el-Melik) الغريض معتوق عبدالملك .
وهذا خطأ صحته : عبدالملك الملقب بالغريض كما سيظهر مما سنورده في مكانه عن كتاب الاغاني .

زمن الى النوع المتقن فصنع منه لحنا على ميزان الثقيل بن شعر عمر فكان من احسن ماصنع في الموسيقى العربية . رفع شأنه وزاد في شهرته وكان من عادته اذا غنى ان يحجب وجهه وان يوقع الميزان بقضيب .

وقداصيب بالامعصبية فظن انالله يعاقبه لانه وقف حياته لفن محرم فهجر الموسيقى زمنا انفقه في العبادة على انه ارتد الى الحياه الفنية بلا ابطاء .

وقد بلغ ابن سريج مالم يبلغه سواه من اشهر رجال الفن فكان اذا دعى للغناء تقاضى بدره من عشرة الآف درهم .

وقد دعاه الوليد الى دمشق حيث جعله موضوع تعظيم كبير واكرمه اكراما لايفوقه اكرام

رأى ذات يوم ان يجرب صوته في حشد كبير ليعرف مقدار ما يحدثه من التأثير في نفوس الناس فوقف يغني بينما كان موكب الحجاج يمر امام ابن عامر فما ان بدأ بالغناء حتى وقف من كان في مقدمة الموكب واستمر من كان في ذيله سائراً فحدث زحام هائل شديد حتى جعل الحجاج يركب بعضهم بعضاً وكاد يختنق خلق كثير . فسكت بن سريج امام هذا المشهد فتحرك الموكب واستأنف المسير

ويقول صاحب الاغاني ان ابن سريج عند ما شعربدنو اجله احزنه ان يموت بغير ان يترك لابنته شيئا من الثروة . فاجابته هذه قائلة . لا تحزن يا ابي فقد وعت الذاكرة جميع الحانك وستكون هذه الالحان مورداً كبيراً لي بعدك .

وهذا ماحدث فقد تزوجت ابنته بسعيد بن مسعود الهذلي فاخذ عنها غناء ابيها فصادف به نجاحاً كبيراً وجنى منه فوائد جمة .

وقد مات ابن سريج حوالى سنة ٧٢٦ مسيحية (القرن الثاني للهجرة) بالغاً من العمر خمسة وثمانين سنة (١) .

---

(١) ﴿ ابن سريج ﴾

﴿ مقتطف من كتاب الاغاني ﴾

هو عبيد الله بن سريج ويكني ابا يحيى مولى بني نوفل بن عبد مناف ويقال أيضاً انه مولى لبني ليث ومنزله مكة . ويقال ايضاً انه مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

وكان ابن سريج احول احمش يلقب وجه الباب ولايغضب من ذلك وكان ابوه تركياً وكان اذا غنى سدل قناعاً على وجهه حتى لا يرى حوله وكان يوقع بقضيب وكان له عود على صنعة عيدان الفرس وهو اول من ضرب به على الغناء العربي بمكة . وذلك انه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة فاعجب أهل مكة غناؤهم فقال ابن سريج انا اضرب به على غنائي . فضرب به فكان احذق الناس .

واخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجح . وكان اسحق يقول : الغناء لاربعة نفر : مكيان ومدنيان

(تابع الهامش)
فالمكيان ابن سريج وابن محرز والمدنيان معبد ومالك . وسئل هشام بن المرية وكان قد عمر وكان عالما بالغناء . من احذق الناس بالغنا فقال : ماخلق الله بعد داود النبي عليه الصلاة والسلام احسن صوتاً من ابن سريج ولا صاغ الله عزوجل أحداً احذق منه بالغناء .ويدل على ذلك ان معبداً كان اذا اعجبه غناؤه قال انا اليوم سريجي .وسأل ابراهيم الموصلي يونس بن محمد الكاتب من احسن الناس غناء فقال : عبيد بن سريج .فقال ابراهيم وكيف ذاك قال ان شئتَ فسرتُ لك وان شئت اجملت . فقال ابراهيم : اجمل فقال كانه خلق من كل قلب فهو يغني لكل انسان ما يشتهي

وذكر ان ابن سريج هو اول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس وان مولده كان في خلافة عمر بن الخطاب وانه ادرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ومات في خلافة هشام .

وكان ابن سريج قبل ان يغني الغناء المتقن نائحا . وقد بعثت سكينة بنت الحسين الى ابن سريج بشعر امرته ان يصوغ فيه لحناً يناح به فصاغ فيه . فقدمه ذلك عند اهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف وهذا هو الشعر .

يا ارض ويحك اكرمى امواتي * فلقد ظفرت بسادتي وحماتي

وقد بعثت سكينة اليه بمملوك لها اسمه عبد الملك وامرته ان يعلمه النياحة فعلمه مدةَ طويلة . ثم توفي ابو القاسم محمد بن الحنفية ابو سكينه وكان ابن سريج عليلا علة صعبة فلم يقدر على النياحة فقال لها مملوكها عبد الملك . انا انوح لك نوحا انسيك به نوح ابن سريج . فقالت اوتحسن ذلك قال نعم . فامرته فناح . وكان نوحه في الغاية من الجودة . فقال النساء هذا نوح غريض . ولقب عبد الملك الغريض ولما افاق ابن سريج من علته بعد ايام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية سأل من ناح عليه . فقالوا عبد الملك غلام سكينة فقال هل جوز الناس نوحة . قالوا نعم وقدمة بعضهم عليك . فحلف ابن سريج ان لا ينوح بعد ذلك اليوم وترك النوح وعدل الى الغناء . ولم ينح حتى ماتت حبابة وكانت قد اخذت عنه واحسنت اليه فناح عليها ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ثم لم ينح بعده حتى هلك

وحج عمر بن ربيعة في عام من الاعوام ومعه عبيد بن سريج . فخرجوا من مكة بعد العصر يريدون منى .ثم قال عمر لابن سريج يا ابا يحيى اني تفكرت في رجوعنا مع العشية الى مكة مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج فثقل علي فهل لك ان نروح رواحاً طيباً معتزلا فنرى فيه من راح صادراً الى المدينة من اهلها ونري اهل العراق واهل الشام ونتعالل في عشيتنا ونستريح على كثيب ابي سجرة المشرف على بطن يأجج بين منى وسرف . قال ابن سريج طيب والله ياسيدي . فامر بعض خدمة ان يذهبوا الى داره بمكة ويعودوا بسفرة وشراب الى الكثيب .

والكثيب على خمسة اميال من مكة .مشرف على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق وهو كثيب شامخ مشيد . فصارا اليه فاكلا وشربا ولما انتشيا اخذ ابن سريج الدف فنقره وجعل يغني وهما ينظران الى الحاج فلما امسيا رفع ابن سريج صوته يغني فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به ياصاحب الصوت اما تتقي الله قد حبست الناس عن مناسكهم . فسكت قليلا حتى اذا مضوا رفع صوته وقد اخذ فيه الشراب فيقف اخرون الى ان مرت قطعة من الليل فوقف عليه في الليل رجل على فرس عربي عتيق

ابو عباد معبد بن وهب

هو أمام أهل المدينة في الغناء وفيه يقول الشاعر

(تابع الهامش)

باصل الكثيب وثنى رجله على قربوس سرجة ثم نادى : ياصاحب الصوت . ايسهل عليك ان ترد شيئا مما سمعته قال نعم ونعمة عين فأيها تريد . قال تعيد عليَّ :

الاياغراب البين مالك كلما * نعبت بفقدان عليَّ تحوم

ابالبين من عفراء انت مخبري * عدمتك من طير فانت مشوم

والغناء لابن سريج فاعاده

فقال له الفارس بالله انت ابن سريج . قال نعم . قال حياك الله وهذا عمر بن ابي ربيعة قال نعم . قال حياك الله يا ابا الخطاب فقال له وانت فحياك الله قد عرفتنا فعرفنا نفسك. قال لا يمكني ذلك . فغضب ابن سريج وقال والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال انا يزيد بن عبد الملك. فوثب اليه عمر فاعظمه ونزل بن سريج اليه فقبل ركابه فقال له لولا اني اريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثقلي وغلماني لاطلت المقام معك ولنزلت عندكم ولكني اخاف ان يفضحني الصبح . ولوكان ثقلي معي لما رضيت لك بالهوينا ولكن خذ حلتي هذه وخاتمي ولا تخدع عنهما فان شراءهما الف وخمسماية دينار ومضى يركض حتى لحق ثقله.

وسئل ابن سريج مرة عن قول الناس فلان يصيب وفلان يخطيء وفلان يحسن وفلان يسيء فقال المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الالحان ويملاء الانفاس ويعدل الاوزان ويفخم الالفاظ ويعرف الصواب ويقيم الاعراب ويستوفي النغم الطوال ويحسن مقاطيع النغم القصار ويصيب اجناس الايقاع ويختلس مواقع النبرات ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات . فعرض ما قال على معبد فقال لو جاء في الغناء قرآن لما جاء الا هكذا

وحدث الفضل عن اسحق ان ابن سريج كان عند بستان ابن عامر يغنى

لمن نارٌ باعلى الخيـ...ـف دون البئر ما تخبو

أرقتُ لذكرموقعها فحنَّ لذكرها القلب

اذا ما أخمدت القي عليها المندل الرطب

فجعل الحاج (الحجاج) يركب بعضهم بعضاً الخ

ولما احتضر ابن سريج نظر الى ابنته تبكي فبكى وقال ان من اكبر همي انى اخشى أن تضيعي بعدي فقالت لا تخف فاغنيت شيئا الا وانا اغنيه. فقال هاتي فاندفعت تغني اصواتا وهو مصغ اليها ثم قال : قد أصبت ما في نفسي وهونتِ عليَّ امرك ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه اياها فاخذ عنها اكثر غناء ابيها وانتحله :

وتوفى ابن سريج بالعلة التى اصابته من الجذام بمكة في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد بمكة ودفن في موضع بها يقال له دسم ولما بلغ خبر موته الى معبد قال . اصبحت أحسن الناس غناء . (المعرب)

اجاد طويس والسريجي بعده * وما قصبات السبق الا لمعبد

على أن معبداً كان يعترف بتقدم ابن سريج عليه تواضعاً . وعندما ابلغوه خبر موت هذا الاخير صاح قائلا : اصبحت أحسن الناس غناء . فقالوا أو لم تكن كذلك . فقال لا لم اكنه وابن سريج على قيد الحياة .

وكان معبد معتوقا خلاسياً يرعى الغنم ويشتغل بالتجارة لمواليه ثم أخذ الغناء عن سائب خاثر ونشيط الفارسي وجميلة .

وقد بدأ في الغناء حوالي سنة ٦٨٩ مسيحية فما ابطأ ان تقدم سريعا واجاد واصبح من المبدعين . فكان صوته سواء اعند أهل مكة أو أهل المدينة وعند أهل القصور أو عند سكان الاكواخ مضرب الامثال

وقد كان يقول بغية أن يوضح الفرق بين فنه وفن ابن سريج : أن ابن سريج يتناول النوع الظريف الخفيف أما أنا فقد تخصصت للنوع الثقيل الكبير فهو متجه الى الغرب وانا متجه الى الشرق ولا سبيل بيننا الى لقاء .

غنى مرة أمام الخليفة يزيد الثاني لحنا من صنعه على الرمل السريع فاستعاده الخليفة ثلاثاً ثم وثب من شدة الطرب والنشوة وصاح بالجواري وكن خلف ستار : اسرعن الي واصنعن صنعي . واخذ يدور حول نفسه ويسير في الغرفة وينشد ابياتا غرامية والنساء تتبعه ثم هوى الى الارض وهوت النساء فوقه .

وقد كان معبد مقبول الشهادة بالرغم من مهنته نظراً لاستقامته ولكنه في عصر هشام عاشر الوليد ابن اخ الخليفة وشاركه في خلاعاته وشطحه فانحطت كرامته وسقطت شهادته أمام القاضي .

ولما اعتلى الوليد العرش اشرك معبد في جميع مجالسه . وقد كان للموسيقى تأثير عجيب على هذا الامير . فقد كان اذا ما انتهى معبد من لحن يخلع ثيابه وينزل الى حوض مملوء بالماء والنبيذ والعطور فيغوص ثم يخرج ويرتدي ثياباً جديدة ويعود الى ذلك بعد كل لحن يطربه وقد كان هذا الامير جزيل العطاء واسع الجود . ففي أول مرة سمع فيها معبد دعا له باثني عشر الف دينار ذهباً . وقد منح مغنياً آخر حضر غوصه في حوض الماء والنبيذ ثيابه الغالية الموشاة بالذهب التي كان يخلعها في كل مرة ينزل فيها الى ذلك الحوض مضافا اليها الف دينار من ذهب .

وقد اشتهر لمعبد في عهد الوليد الثاني خمسة الحان اطلق عليها المعبديات .

وقد مات معبد في بلاط دمشق في أول سنة ٧٤٣ مسيحية . وكانت سلامه القس احدى المغنيات الشهيرات آخذة بعمود السرير وهي تنشد مرثية على ميزان الثقيل الثاني اخذتها عن استاذها الراحل وقد كان الخليفة واخوه يمشيان بين يدي سريره وكلاهما في قميص ورداء بسيطين . (١)

---

(١) **معبد**

(مقتطف من كتاب الاغاني)

هو معبد بن وهب مولى عبدالرحمن بن قطر وكان ابوه اسود وكان هو خلاسياً (الخليس الاحمر

(تابع الهامش)
الذي خالط بياضه سواد) مديد القامة احول . وذكر ابن خرداذبه انـه غنى في أول دولة بني امية وادرك دولة بني العباس .

وكان معبد من احسن الناس غناء واجودهم صنعة واحسنهم خلقاً وهو فحل المغنين وامام اهل المدينة في الغناء . اخذ عن سائب خاثر ونشيط الفارسي وجميلة . فما ابطأ حتى اشتهر بالحذق وحسن الغنا وطيب الصوت وصنع الالحان فاجاد واعترف له بالتقدم على اهل عصره .

جاء ابن سريج الى المدينة فاسمعوه غناء معبد وهو غلام وقالوا ماتقول فيه : فقال ان عاش كان مغني بلاده

ولمعبد صنعة لم يسبقه اليها من تقدم ولا زاد عليه فيها من تأخر . وكانت صناعته التجارة وربما رعي الغنم لمواليه .

وكان معبد يقول : والله لقد صنعت الحانا لايقدر شبعان ممتلىء ولا سقاء يحمل قربة على الترنم بها . ولقد صنعت الحاناً لا يقدر المتكيء ان يترنم بها حتى يقعد مستوفزاً ولا القاعد حتى يقوم

قدم معبد يوماً مكة فقيل له : ان ابن صفوان وضع جائزة للمغنين فقصد بابه وطلب الدخول فمنعه الحاجب وقال قد تأخرت . فقال معبد او تدعني ادنو من الباب واغني صوتاً ؟ قال الحاجب اما هـذ فنعم . فدنا من الباب وغنى فقال من بالداخل هذا معبد ففتحوا له وأخذ الجائزة .

قيل لمعبد كيف تصنع اذ اردت ان تصوغ الغناء قال ارتجل قعودي واوقع بالقضيب على رحلي واترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت

قدم ابن سريج والغريض المدينة حتى اذا بلغا المغ لة وهي جبـانة على طرف المدينة يغسل فيهـا الثياب اذا هما بغلام بيده حبالة يتصيد بها الطير وهو يتغني ويقول :

القصر فالنخل فالجمَّاء بينهما * اشهى الى النفس من ابواب جرون

واذا الغلام معبد . فلما سمع ابن سريج والغريض معبداً مالا اليه واستعاداه فاعاد الصوت فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قط

شخص معبد مرة الى مكة واشتد عليه الحر والعطش في الطريق فانتهى الى خباء فيه اسود واذا بجرة ماء قد بردت فمال اليها وقال للاسود اسقني من هذا الماء ياهذا . فقال لا . فقال له اتأذن لي في الـكن ساعة ؟ فقال لا . فاناخ معبد ناقته ولجأ الى ظلها فاستتر به واخذ يترنم بصوته : (القصرفالنخل فالجماء بينهما) فما سمع الاسود ذلك حتى وثب اليه واحتمله الى داخل الخباء وسقاه حتى ارتوى واقام عنده الى وقت الرواح . ولما اراد الرحيل قال له الاسود بابي إنت وامي الحر شـديد ولا آمن عليك فأذن لي ان احمل معك قربة من ماء على عنقي واسعى بها معك فكلما عطشت سقيتك صحنا وغنيتني صوتا . فقال معبد ذاك لك . وما فارقه حتى بلغ المنزل هذا يسقي وذاك يغني

وخرج معبد الى مكة في بعض اسفاره فلما بلغ موضعاً اسمه بطن مر سمع غناءً فقصده واذا رجل جالس على حرف بركة يغني .

تابع الهامش

حن قلبي من بعد ما قد انابا * ودعا الهمَّ شجوه فاجابا
ذاك من منزل لسلمى خلاء * لابس من خلائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عرجوا * طمعا ان يرد ربع جوابا
فاستثار المنسي من لوعة الحـــب وابدى الهموم والاوصابا

فقرع معبد بعصاه وغنى :

منع الحياةِ من الرجال ونفعها * حدق تقلبها النساء مراض
وكأن افئدة الرجال اذا رأوا * حدق النساء لنبلها اغراض

فقال له الرجل بالله انت معبد . قال نعم وانت ابن سريج : وكان هو فقـال نعم ووالله لو عرفتك غنيت بين يديك

علم معبد الغناء لجارية من جوار الحجاز تدعى ظبية وعنى بتخريجها فاشتراها رجل من اهل العراق فاخرجها الى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الاهواز فاعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه ثم ماتت بعد ان أخذ جواريها أكثر غنائها فكان لمحبة هذ الرجل لها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن اخبار معبد واين مستقره ويظهر التعصب له والميل اليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره . فبلغ معبد خبره وخرج من مكة حتى أتى البصرة فصادف الرجل وقد خرج عنها في ذلك اليوم الى الاهواز في سفينة وتلمس معبد سفينة تنحدر به الى الاهواز فلم يجد غير سفينة الرجل وكلاهما لا يعرف الاخر . فأمر الرجل الملاح ان يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا فلما صاروا في فم نهر الابله تغدوا وشربوا وأمر الرجل جواريه فغنين ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وخفان غليظان وزي جاف من زي أهل الحجاز الى ان غنت احدى الجواري شعراً للنابغة الذبياني في لحن لمعبد فلم تجد اداءه فصاح بها معبد ياجارية ان غناءك هذا ليس بمستقيم . فقال له مولاها وقد غضب . وانت ما يدريك الغناء . وماهو الا تمسك وتلزم شأنك فامسك معبد

ثم غنت الجارية اصواتا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت :

يابنة الازدي قلبي كئيبُ * مستهام عندها ما ينيبُ
ولقد لاموا فقلت دعوني * ان من تهون عنه حبيبُ
انما ابلى عظامي وجسمي * حبها والحب شيء عجيبُ

والشعر لعبد الرحمن بن ابي بكر والغناء لمعبد . فاخلت الجارية ببعضه فقال لها معبد ياجاريه لقد اخللت بهذا الصوت اخلالاً شديداً فغضب الرجل وقال له ويلك ما انت والغناء . الا تكف عن هذا الفضول فامسك وغنى الجواري مليا ثم غنت احداهن .

خليلي عوجاً منكما ساعة معي * على الربع نقضي ساعة ونودع ـ الخ ..

الشعر لكثير والغناء لمعبد . فلم تصنع الجارية فيه شيئا . فقال لها معبد . ياهذه اما تقوين على اداء صوت واحد . فغضب الرجل وقال له ما اراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة واقسم بالله لان عاودت لاخرجنك من السفينة .

(تابع الهامش)

فامسك معبد حتي اذا سكتت الجواري اندفع يغني الصوت الاول حتى فرغ منه فصاح الجواري احسنت والله يا رجل فاعده . فقال لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني . فقلن لسيدهن ويحك هذا والله احسن الناس غناء فسله ان يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه فانه ان فاتنا لم نجد مثله ابداً فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن وانا خائف منه وقد اسلفناه الاساءة فاصبرن حتى نداريه ثم غنى معبد الصوت الثالث فزلزل عليهم الارض فوثب الرجل اليه وقبل رأسه وقال: ياسيدي اخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال معبد هبك لم تعرف موضعي الم يكن ينبغي لك ان تتثبت ولا تسرع الي بسوء العشرة وجفاء القول . فقال الرجل : قد اخطأت وانا اعتذر اليك مما جرى واسألك ان تنزل الي وتختلط بي وما زال به حتى نزل اليه . وسأله ممن اخذت هذا الغناء فقال معبد من بعض اهل الحجاز فمن اين اخذه جواريك . فقال اخذنه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من اهل البصرة من مكة وكانت قد اخذت عن ابي عباد معبد وعنى بتخريجها فكانت تحل مني محل الروح من الجسد ثم استأثر الله عز وجل بها وبقى هؤلاء الجوارى وهن من تعليمها وانا الى الان اتعصب لمعبد وافضله عن المغنين جميعاً وافضل صنعته على كل صنعة . فمرك معبد بيده صلعته ثم قال . انا والله معبد واليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لاقصدك بالاهواز ووالله لاقصرت في جواريك هؤلاء ولاجعلن لك في كل واحدة منهن خلفا من الماضية فاكب الرجل والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نفسك طول هذا حتى جفوناك في المخاطبة واسأنا عشرتك وانت سيدنا ومن نتمنى على الله ان نلقاه ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع واعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا غثلها وانحدر معه الى الاهواز فاقام عنده حتى رضى حذق جواريه وما اخذنه عنه ثم ودعه وانصرف الى الحجاز

اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجه اليه الى المدينة فاحضر وبلغ الوليد قدومه فامر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ايضا وجيء بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد فقال له الحاجب : يامعبد سلم على امير المؤمنين واجلس في هذا الموضع فسلم فرد عليه الوليد السلام من الستر ثم قال له حياك الله يامعبد اتدري لم وجهت اليك قال الله اعلم وامير المؤمنين . قال ذكرتك فاحببت ان اسمع منك. قال معبد أأغني ماحضر اوما يقترحه امير المؤمنين فقال الوليد بل غني :

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فغناه فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ثم خرج الوليد فالقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها فاستقبلة الجواري بثياب غير الثياب الاولى ثم شرب وسقي معبداً ثم قال له غني يامعبد

يا ربع مالك لا تجيب متيماً * قد عاج نحوك زائرا ومسلما

جادتك كل سحابة هطالة * حتي ترى عن زهرة متبسما

لوكنت تدري من دعاك اجبته * وبكيت من حرق عليه اذن دما

فغناة واقبل الجواري برفعن الستر وخرج الوليد فالقي نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس

محمد ابن عائشة

هو من اهل المدينة لا يُعرف له اب وكانت امه ماشطه اسمها عائشة . واخذ عن جميلة ومعبد. وكان له صوت فتان وكان له ابتداء باهر في الغناء يضرب به المثل فيقال: «هذا ابتداء حسن كابتداء ابن عائشة » وقد كان به صلف وكبرياء الى حد لم يكن يرضى ان يعلن سامعوه استحسانهم حتى في حضرة الامراء

(تابع الهامش)

ثياباً غير تلك ثم شرب وسقي معبداً ثم قال له غني :

عجبتْ لما رأتني * اندب الربع المحيلا
واقفاً في الدار ابكي * لا ارى الا الطلولا
كلما قلت اطمأنت * دارهم قالوا الرحيلا

فغناه فرمى نفسه في البركة ثم خرج فردوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبداً وقال له : يا معبد من اراد ان يزداد عند الملوك حظوة فليكتم اسرارهم : فقال معبد : ذلك مالا يحتاج امير المؤمنين الى ايصائي به فقال الوليد يا غلام : احمل الى معبد عشرة آلاف دينار تحصل له في بلده والفي دينار لنفقة طريقه فحملت اليه كلها وحمل على البريد من وقته الى المدينة .

وكان معبد في اول امره معدلا مقبول الشهادة عند القضاة بالمدينة فلما حضر الوليد ابن يزيد وعاشره على تلك الهنات وغنى له سقطت عدالته (أي شهادته)

وعاش معبد حتى كبر ويقال انه قد اصابه الفالج في آخر ايامه وارتعش وبطل صوته . وان رجلا من ولد عثمان دعاه للغناء فغنى ولم يطرب القوم وكان فيهم فتيان فضحكوا منه وهزأوا به فهجاهم بشعر قديم فقاموا اليه ليتناولوه فمنعهم العثماني من ذلك وقال له بعضهم وقد رآه على هذه الحال :اصرت الى ما ارى . فاشار الى حلقه وقال :

انما كان هذا فلما ذهب ذهب كل شي

ومات معبد في ايام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده وقد قيل انه اصيب بالفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته . وحين اخرج نعشه كانت سلامة القس جارية يزيد بن عبد الملك آخذة بعمود السرير وهي تبكي وتقول :

قد لعمري بت ليلي * كأخي الداء الوجيع
ونجي الهم مني * بات ادنى من ضجيعي
كلما ابصرت ربعاً * خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيدٍ كا * ن لنا غير مضيع
لا تلمنا ان خشعنا......اوهممنا بخشوع

وكان الوليد بن يزيد والغمر اخوه متجردين في قميصين وردائين يمشيان بين يدي سريره حتى اخرج من دار الوليد لانه تولى امره واخرجه من داره الى موضع قبره

(المعرب)

والخلفاء . ويروى انه ذهب ضحية صلفه وكبريائه اذ رفض ان يردد لحنا استعاده فيه الغمر ابن اخ الخليفه وليد الثاني فامر بطرحه عن سطح القصر في ذي خشب وكان ذلك حول سنة ٧٤٣ مسيحية(١)

---

(١) ابن عائشة

(مقتطف من كتاب الاغاني)

محمد بن عائشة ويكني ابا جعفر ولم يكن يعرف له اب فكان ينسب الى امه . ويلقبه من عاداه أو اراد سبة ابن عاهة الدار وكان هو يزعم ان اسم ابيه جعفر وليس يعرف ذلك . وقال مرة للوليد بن يزيد . كانت امي يا امير المؤمنين ماشطه وكنت غلاما فكانت اذا دخلت الى موضع قالوا ارفعوا هذا لابن عائشة فغلبت على نسبي

وكان ابن عائشة اطيب الناس صوتاً يفتن كل من سمعه وقد اخذ عن معبد ومالك وساواهما على اعترافه بفضلهما . وقد قيل انه لم يكن يحسن الضرب على العود . وابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل فيقال لكل ابتداء جميل : كانه ابتداء ابن عائشة .

رأى ابن ابي عتيق حلق (عنق) ابن عائشة مخدشاً فسأله من فعل بك هذا . قال فلان .. فمضى الى دار فلان .. ونزع ثيابه وجلس للرجل على بابه فلما خرج اخذ بتلابيبه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له مالك تضربني واي شيء صنعت . وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ثم خلاه واقبل على من حضر يقول : هذا اراد ان يكسر مزامير داود . لقد شد على عنق ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه .

وكان يونس الكاتب يقول : ما عرفنا بالمدينة احسن ابتداء من ابن عائشة اذا غنى . ولو كان آخر غنائه مثل اوله لقدمناه على ابن سريج

وكان صالح بن حسان يقول : لم يكن بالمدينة احد بعد طويس اعلم من ابن عائشة ولا اظرف مجلسا ولا اكثر طيباً وكان يصلح ان يكون نديم خليفة وسمير ملك . وكانت جميلة تقول له . وانت يا ابا جعفر فمع الخلفاء تصلح ان تكون

على انه كان ذا صلف وكبرياء وبه سوء خلق فان قال له انسان : تغنَّ . قال أَلمثلي يقال هذا . وان قيل له احسنت . قال أَلمثلي يقال احسنت . ثم يسكت فكان قليلا ما ينتفع به

وحدث مرة ان دخل الماء عرصة سعيد بن العاصي فملأها فخرج الناس اليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج فجلس على قرن البئر . وبيناهم كذلك اذ طلع الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب على بغلة وخلفه غلامان اسودان كانهما من الشياطين فقال لهما امضيا رويدا حتى تقفا باصل القرن الذي عليه ابن عائشة ففعلا ذلك . ثم ناداه الحسن كيف اصبحت يا ابن عائشة . قال بخير فداك ابي وامي فقال الحسن انظر الى جنبك . فنظر فاذا العبدان . فقال الحسن اتعرفهما ؟ قال نعم . قال لئن لم تغنني مائة صوت لآمرنهما بطرحك في البئر وان لم يفعلا لاقطعن ايديهما . فاندفع ابن عائشة فكان اول ما ابتدأ به صوتاً له هو :

الا لله درك من * فتى قوم اذا رهبوا

(تابع الهامش)

وقالوا من فتى لـ * حرب يرقبنا ويرتقب
فكنت فتاهم فيها * اذا تدعى لها تثب

ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت وكان آخر ماغنى :

قل المنازل بالظهران قدحانا ان تنطقي فتبيني القول تبيانا
قالت ومن انت قل لي قلت ذو شغف هاجت له من دواعي الحب احزانا

فيقال ان الناس لم يسمعوا من ابن عائشة اكثر مما سمعوا في ذلك اليوم بل لم ير يوم احسن منه سمع الناس فيه شيئاً لم يسمعوا مثله وما تشاغل احد عن استماع الغناء بشيء ولا انصرف احد لقضاء حاجة حتى فرغ. ولقد تبادر الناس من المدينة وماحولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه فيقال انه ماروي جمع في ذلك الموضع مثل ذلك الجمع ولقد رفع الناس اصواتهم يقولون له احسنت والله احسنت والله ثم انصرفوا حوله يزفونه الى المدينة زفاً

وروى بعضهم ان ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيراً . فمر به بعض صحابه فقال له مايقيمك ههنا فقال . اعرف رجلا لو تكلم لحبس الناس ههنا فلم يذهب احد ولم يجيء . فقال له الرجل : ومن ذاك. قال انا . ثم اندفع يغني فحبس الناس واضطربت المحامل ومدت الابل اعناقها وكادت الفتنة ان تقع . فأتى به هشام بن عبد الملك وقال له : ياعدو الله اردت ان تفتن الناس. فامسك ابن عائشة عن الغناء وكان تياهاً . فقال له هشام . ارفق بتيهك فقال ابن عائشة : حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب ان يكون تياهاً . فضحك هشام منه وخلى سبيله .

وكان ابن عائشة اذا سئل ان يغني ابى ذلك وغضب . فاذا تحدث القوم بحديث اتوا فيه بشعر قد غني فيه ابتدأ هو فغناه فكان من فطن له يفعل ذلك به.

قال يونس الكاتب كنا يوماً متنزهين بالعقيق انا وجماعة من قريش فبينا نحن على حالنا اذ اقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكيء على يده فلما رأى جماعتنا وسمعنا اغنى جاءنا فسلم وجلس الينا وتحدث معنا وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه اذا سئل ان يغني فاقبل بعضهم على بعض يتحدثون باحاديث كثير وجميل وغيرهما من الشعراء يتغنون بذلك ان يطرب فيغني فلم يجدوا عنده ما ارادوا فقلت لهم انا . لقد حدثني اليوم بعض الاعراب حديثاً عجيباً فان شئتم حدثتكم اياه . قالوا هات . قلت حدثني هذا الرجل انه مر بناحية الربذة فاذا صبيان يتغاطسون في غدير واذا شاب جميل منهوك الجسم عليه اثر العلة . والنحول في جسمه بين وهو جالس ينظر اليهم . فسلمت عليه فرد على السلام وقال . من اين وضح الراكب ؟ قلت من الحمى . قال ومتى عهدك به ؟ قلت رائحاً .قال واين كان مبيتك ؟ قلت ببني فلان فقال اوه ؟ والقى بنفسه على ظهره وتنفس الصعداء تنفسا قلت انه قد خرق حجاب قلبه ثم انشأ يقول .

سقى بلداً امست سليمى تحله * من المزن ماروى به ويسيم
وان لم اكن من قاطنية فانه * يحل به شخص علي كريم
الاحبذا من ليس يعدل قربه * لدي وان شط المزار نعيم

مالك بن ابي السمح

هو من المدينة ولد في جبال بني طيء من عائلة كريمة ولكنها فقيرة.

عرف حمزة حاكم المدينة استعداده للموسيقى فعهد الى معبد في تعليمه · وما ابطأ مالك أن ساوى استاذه. وكان يعترف له بالفضل ويجله كل الاجلال.

وكان اذا غنى الحان معبد قلده في الايقاع ففصل دوائر الميزان دائرة دائرة وقلده أيضاً في صيحاته ونبراته وفي وثباته من الحاد الى الغليظ أو من الغليظ الى الحاد فلا يغير موضع شيء منها. على انه لم

ومن لامني فيه حميم وصاحب * فرُدَّ بغيظ صاحب وحميم

ثم سكن كالمغشي عليه فصحت بالصبية فأتوا بماء فصببته على وجهه فافاق وانشأ يقول.

اذا الصب الغريب رأى خشوعي   وانفـاسي تزين بالخشـوع
ولي عين اضر بهـا التفـاتي   الى الاحزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبي   كما انس الغريب الى الجموع

فاندفع ابن عائشة فتغنى في الشعرين جميعاً وطرب وشرب بقية يومه ولم يزل يغنينا الى ان انصرفنا

وتوفي ابن عائشة فيما قيل في أيام هشام بن عبد الملك وقيل في ايام الوليد. وقد قيل في موته انه اقبل من الشام حتى نزل قصر ذي خشب ومعه مال وطيب وكساء فشرب فيه ثم تطرقوا الى ظهر القصر فصعدوا. ثم نظر فاذا بنسوة يتمشين في ناحية الوادي فقال لاصحابه هل لكم فيهن. قالو وكيف لنا بهن؟ فنهض فلبس ملاءة مدلوكة ثم قام على شرفة من شرف القصر فتغنى.

وقد قالت لاتراب   لها زهر تلاقينـا
تعالينا فقد طاب   لنا العيش تعالينـا

فاقبلن اليه فطرب واستدار حتى سقط من السطح فمات.

وقيل أن الغمر بن يزيد خرج الى الشـام فلما نزل قصر ذي خشب شرب على سطحه فغنى ابن عائشة صوتا طرب له الغمر فقال اردده فأبى. وكان لا يردد صوتا لسوء خلقه. فأمر به فطرح من اعلى السطح فمات.

وقيل أيضاً انه اقبل من عند الوليد بن يزيد وقد اجازه واحسن اليه فجاء بما لم يأت به أحد من عنده. فلما قرب من المدينة نزل بذي خشب على أربعة فراسخ من المدينة وكان واليها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ولاه هشام وهو خاله. وكان في قصر هناك. فقيل له اصلح الله الامير هذا ابن عائشة قد اقبل من عند الوليد بن يزيد. فلو سألته أن يقيم عندنا اليوم فيطربنا وينصرف من غد. فدعا به فسـأله المقام عنده فأجابه الى ذلك فلما اخذوا في شربهم اخرج المخزومي جواريه فنظر ابن عائشة وهو يغمز جارية منهن. فقال لخادمه اذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارم به. وكانوا يشربون فوق سطح ليس له افريز ولاشرافات وهو يشرف على بستان فلما قام لحاجته رمى به الخادم من فوق السطح فمات. وقبره معروف هناك ·

(المعرب)

يكن يغني الاالحانا بلا كلام اذ كان ذا ذاكرة ضعيفة لا تعي الاشعار . وقد مات في الثمانين حول سنة ٧٥٤ مسيحية .

وقد اشتهر عنه انه كان من مغني الطبقة الاولى. بدليل ان اسحق بن ابراهيم الموصلي وهو اكبر موسيقي في عصر العباسيين كان دواما يقول : نوابغ الغناء فيما مضى أربعة : مكيان هما ابن محرز وابن سريج . ومدنيان هما : معبد ومالك . (١)

---

(١)

ذكر مالك بن ابي السمح واخباره ونسبه

(مقتطف من كتاب الاغاني)

هو مالك بن ابي السمح . واسم ابي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثعل .

كان مالك من طيء فاصابتهم حطمة في بلادهم بالجبلين فقدمت به امه وباخوة له واخوات ايتام لا شيء لهم الى المدينة فكان مالك يسأل الناس على باب حمزة بن عبدالله بن الزبير حاكم المدينة .

وكان معبد المغني منقطعاً الى حمزة يغنيه في كل يوم فسمع مالك غناءه فاعجبه واشتهاه فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد الى الليل فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من احد شيئاً ولا يريم موضعه فينصرف الى امه ولم يكتسب شيئاً فتضربه . وهو مع ذلك يترنم بالحان معبد ويؤديها دوراً دوراً في مواضع صيحاته واسجاحاته ونبراته نغما مجرداً بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر .

وكان حمزة كلما غدا أو راح رآه ملازماً بابه فقال لغلامه يوماً. أدخل هذا الغلام الاعرابيَ اليّ. فادخله . فقال له : من انت ؟ فقال . انا غلام من طيء قد اصابتنا حطمة في الجبلين فحطتنا اليكم ومعي ام لي واخوة . واني لزمت بابك فسمعت من دارك صوتاً اعجبني فلزمت بابك من اجله . فقال حمزة هل تعرف منه شيئاً . قال اعرف لحنه كله ولا اعرف الشعر فقال حمزة . ان كنت صادقاً انك لفهم . ودعا بمعبد فامره ان يغني صوتاً فغناه . ثم قال لمالك. هل تستطيع ان تقوله ؟ قال نعم . قال هاته .

فاندفع مالك فغناه فادى نغمه بغير شعر . يؤدي مداته ولياته وعطفاته ونبراته وتعليقاته لا يخرم حرفاً .

فقال حمزة لمعبد . خذ هذا الغلام اليك وخرجه فليكونن له شأن .

قال معبد ولم افعل ذلك. قال حمزة. لتكون محاسنه منسوبة اليك. والا عدل الى غيرك فكانت محاسنه منسوبة اليه . فقال معبد . صدق الامير وانا افعل ما امرني به .

ثم قال حمزة لمالك . كيف وجدتَ ملازمتك لبابنا ؟

قال مالك . ارأيتَ لو قلت فيك من الباطل غير الذي انت له مستحق أكنتَ ترضى بذلك؟ قال لا قال كذلك لا يسرك ان تحمد بما لم تفعل . قال حمزة . نعم . فقال مالك : فوالله ماشبعت على بابك شبعة قط ولا انقلبت منه الى اهلي بخير .

فامر حمزة له ولامه ولاخواته بمنزل واجرى لهم رزقاً وكسوة وامر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء واجلس مالكا معه في مجالسه وامر معبدا ان يطارحه . فلم ينشب ان مهر وحذق

(تابع الهامش)

وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم . فخرج مالك يوما فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة أبن خشرم بشعر اخي زيادة .

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذي تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من اصابني * وبقياي اني جاهد غير مؤتل
فلا يدعني قومي لزيد بن مالك * لئن لم اعجل ضربه أو اعجل
والا أنل ثأري من اليوم أوغد * بني عمنا فالدهر ذو متطول
انختم علينا كلكل الحرب مرة * فنحن منيخوها عليكم بكلكل

فغنى مالك في هذا الشعر لحنين . احدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققه واصلحه وزاد فيه . والاخر نحا فيه نحو معبد في غنائه. ثم دخل على حمزة فقال له .

ايها الامير اني قد صنعت غناء في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده وقد اعجبني فان اذن الامير غنيته فيه .

قال الامير هاته . فغناه مالك اللحن الذي نحا فيه نحو معبد فطرب حمزة وقال له احسنت يا غلام . هذا الغناء غناء معبد وطريقته .

فقال لا تعجل ايها الامير . واسمع مني شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقة .

قال هات . فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة . فطرب حمزة حتى القى عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار . ودخل معبد في ذلك الوقت فرأى حلة حمزة عليه فانكرها . وقد علم حمزة بذلك فاخبر معبد بالسبب وامر مالكا فغناه الصوتين . فغضب معبد لما سمع الصوت الاول وقال .

قد كرهت ان اخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدعيه لنفسه .

فقال له حمزة لا تعجل واسمع غناء صنعه ليس من شأنك ولا من غنائك

وامر مالكا ان يغني الصوت الاخر . فغناه . فاطرق معبد فقال له حمزة .

والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الايام وكلما كبر وزاد شخت انت وتنقصت. فلان يكون منسوباً اليك اجمل .

فقال له معبد وهو منكسر . صدق الامير

فامر حمزة لمعبد بخلعه من ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسه . اما مالك فقد قام وقبل رأس استاذه وقال له .

يا ابا عباد . اساءك ما سمعت مني: والله لا اغني لنفسي شيئاً ابداً ما دمت حياً . وان غلبتني نفسي فغنيت في شعر استحسنته لا نسبته الا اليك . فطب نفسا وارض عني

فقال له معبد أو تفعل هذا وتفي به . قال مالك اي والله وأزيد

فكان مالك بعد ذلك اذا غنى صوتا وسئل عنه قال هذا لمعبد ما غنيت لنفسي شيئا قط وانما آخذ غناء معبد فانقله الى الاشعار واحسنه وازيد فيه وانقص منه

وروى الحسين بن يحيى ان الوليد بن يزيد قال مرة لمعبد قد آذتني ولولتك هذه وقال لابن عائشة

سلامة القس

هي امة مولدة من المدينة بذل في تعليمها وتثقيفها مجهوداً كبيراً فارتقت وكانت تنظم شعراً جميلا اخذت الغناء عن جميلة ومعبد وابن عائشة ومالك فبهرت . وكان لها اخت اسمها ريا بلغت ايضاً في الغناء شهرة كبيرة .

ولما تولى عثمان بن حيان (١) المري على المدينة اوعز اليه بعض اهل الصرامة من غلاة المسلمين وطائفة من كبار رؤساء القرشيين والانصار مصادرة الموسيقى واهلها فنادى المنادي بخروج جميع المغنين والمغنيات من المدينة

ومما قاله عبد الملك لعثمان بن حيان ان ليس في الوجود ما هو احط واحقر من الموسيقى ولا شيء مثلها في قوة التأثير على عاطفة الشرف وهدم الفضائل والعبث بكرامة الرجال

بمثل هذا الكلام كان عبدالملك يتحدث عن الموسيقى وتلك كانت قيمتها في عرفه مما دعى عثمان بن حيان الى ان يطهر المدينة المقدسة من الموسيقى (...) والدعارة

قد آذاني استهلاك هذا فانظرا لي رجلا يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبيكما . فقالا له : مالك بن ابي السمح فكتب الوليد في اشخاصه اليه مع سائر مغني الحجاز المشهورين . فلما قدم مالك على الوليد بن يزيد قيمن معه من المغنين . نزل على الغمر بن يزيد فادخله على الوليد فغناه فلم يعجبه فلما انصرفوا قال الغمر لمالك . لم يعجب امير المؤمنين شيء من غنائك . فقال له جعلني الله فداك اطلب لي الاذن عليه مرة واحدة فان اعجبه شيء مما اغنيه اقمت والا انصرفت الى بلادي . فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر وطلب له الاذن وقال للامير انه هابك فحصر . فاذن له الامير فبعث اليه فامر مالك الغلام فسقاه ثلاث صراحيات صرفاً ثم دخل على الوليد يخطر في مشيته فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يسلم واخذ بحلقة الباب فقعقعها ثم رفع صوته وغنى شعراً قاله فيه الحسين بن عبيدالله بن العباس وهو

لاعيش الا بمالك بن ابي الـ * سمح فلا تلحني ولا تلم
ابيض كالبدر او كما يلمع الـ * بارق في حالك من الظلم
من ليس يعصيك ان رشدت ولا * يهتك حق الاسلام والحرم
يصيب من لذة الكريم ولا * يجهل آي الترخيص في اللمم
يارب ليل لنا كحاشية الـ * برد ويوم كذاك لم يدم
نعمت فيه ومالك بن ابي الـ * سمح الكريم الاخلاق والشيم

فطرب الوليد ورفع يديه حتى بدا ابطاه وقام فاعتنقه قائماً واجزل صلته حين اراد مالك الانصراف وقال قوم ان مالكا لم يصنع لحنا قط غير هذا . وانه كان يأخذ غناء الناس فيزيد فيه وينقص منه وينسبه الناس اليه . وكان اسحق ينكر ذلك غاية الانكار ويقول غناء مالك كله مذهب واحد لا تباين فيه ولو كان كما يقول الناس لاختلف غناؤه . وانما كان اذا غنى الحان معبد الطوال خففها وحذف بعض نغمها قائلا . اطاله معبد ومططه وحذفته انا وحسنته (المغرب)

(١) كتب بالفرنسيه Haïïam وصحته Hayâne

ولكن بالرغم من ذلك فقد سار ابن ابي عتيق (١) الشاعر بالاختين سلامة وريا الى الامير فابدعت سلامة ابداعاً كبيراً وبرهنت على مواهب وعلم ورقي وسجايا نادرة ففتنت الامير واثارت اعجابه الى اقصى الحدود فما ابطأ ان ابطل امره

وقد بيعت سلامه بعد موت مولاها الى الامير يزيد الذي اعتلى العرش سنة ٧٢٠ مسيحية فتقاسمت حظوة الخليفة مع قينة اخرى اسمها حبابة اشتهرت بالغناء ومهرت بالعزف على العود وفاقتها جمالا غير ان سلامة كانت تفوقها في مواهبها الموسيقيه . وقد ماتت حبابة سنة ٧٢٣ مسيحيه على اثر اختناقها بحبة رمان فبكاها يزيد ثلاث ليال وثلاثة ايام ومات من حزنه عليها بعدها بخمسة عشر يوماً

اما سلامة القس فعاشت طويلا بعد ذلك في قصر من اخلف يزيد (٢)

---

(١) كتب بالفرنسيه (Ibn Ali Atik) وصحته (Ibn Abi Atik)

(٢) سلامة القس

(مقتطف من كتاب الاغاني)

كانت سلامة مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت واخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن ابي السمح وزويهم فمهرت . وانما سميت سلامة القس لان رجلا يعرف بعبد الرحمن بن ابي عمار الجشمي من قراء اهل مكة وكان يلقب بالقس لعبادته شغف بها واشتهر عنه ذلك فغلب عليها لقبه.

وكانت سلامة لسهيل بن عبد الرحمن فاشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان وعاشت بعده . وكانت احدى من اتهم به الوليد من جواري ابيه وقد قال له قتلته عند قتله : اننا ننقم عليك انك تطأ جواري ابيك

قال الحسين بن يحيى كانت حبابة وسلامة القس من قيان أهل المدينة وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين وكانت سلامة تفوق حبابة غناء • وحبابة تفوق سلامة وجها • وكانت الاولى تقول الشعر والاخرى لا تحسنه •

وقد قال ابن قيس الرقيات في سلامة واختها ريا :

لقد فتنت ريا وسلامة القسا   فلم تتركا للقس عقلا ولا نفسا
فتاتان أما منهما فشبيهة الـ   ـهلال واخرى منهما تشبه الشمسا

وكان القس من اعبد أهل مكة فسمع غناء سلامة القس على غير تعمد منه فبلغ غناؤها منه كل مبلغ . فرآه مولاها فقال له هل لك ان اخرجها اليك أو تدخل فتسمع فأبى القس . فقال مولاها : أنا اقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها . فأبى أيضاً . فلم يزل به حتى أدخله الدار فأسمعه غناءها من وراء ستار فأعجبه فقال له هل لك في ان اخرجها اليك فأبى فلم يزل حتى أخرجها فاقعدها بين يديه. فتغنت فشغف بها وشغفت به وعرف ذلك أهل مكة . وقالت له يوماً أنا والله أحبك قال : وأنا والله احبك . قالت وأحب ان أضع فمي على فمك. قال وانا والله أحب ذلك . قالت فما يمنعك والموضع

(تابع الهامش)

خال ولا رقيب . قال اني سمعت الله عز وجل يقول : الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين . وأنا أكره ان تكون خلة ما بيني وبينك تؤول الى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد الى ما كان عليه من النسك وقال من فوره فيها :

ان التي طرقتك بين ركائب * تمشي بمزهرها وانت حرام
لتصيد قلبك أوجزاء مودّة * ان الرفيق له عليك زمام
باتت تعللنا وتحسب أننا * في ذاك ايقاظ ونحن نيام
حتى اذا سطع الضياء لناظر * فاذا وذلك بيننا أحلام
قد كنت اعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تؤتي به الايام
فاليوم اعذرهم واعلم أنما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وفيها يقول أيضاً :

سلامُ هل لي منكم ناصر * أم هل لقلبي عنكم زاجر
قد سمع الناس بوجدي بكم * فمنهم اللائم والعاذر

وله فيها أشعار كثيرة يطول ذكرها .

ويقول المدائني : لما قدم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه . أمرها ان تغنيه فكان أول صوت غنته :

ان التي طرقتك بين ركائب * الخ ....

فاستحسنه يزيد واشتراها ، وكان أول صوت غنته لما اشتراها هذا الشعر مما قاله القس فيها :

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر * وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر
الا ليت اني حيث صار بها النوى * جليس لسلمى حيث ماعج مزهر
واني اذا ما الموت زال بنفسها * يزال بنفسي قبلها حين تقبر
اذا أخذت في الصوت كاد جليسها * يطير اليها قلبه حين ينظر
كأن حماماً راعبياً مؤدياً * اذا نطقت من صدرها يتغشمر

فقال لها يزيد : ياحبيبتي من قائل هذا الشعر؟ فقصت عليه قصة القس فرق له وقال أحسن وأحسنت

وقال الحرمي بن ابي العلاء : لما قدم عثمان بن حيان المري المدينة واليا عليها قال له قوم من وجوه الناس : انك قد وليت على كثرة من الفساد فان كنت تريد ان تصلح فطهرها من الغناء والزناء . فصاح في ذلك واجل اهلها ثلاثة أيام يخرجون فيها من المدينة وكان ابن ابي عتيق غائباً وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح . فلما كان آخر ليلة من الاجل قدم المدينة وقال لا ادخل منزلي حتى ادخل على سلامة فدخل عليها يقول جئت اسلم عليك قبل ان ادخل منزلي . فقالت : ما اغفلك عن امرنا ، واخبرته الخبر فقال اصبروا الى الليلة فقالت نخاف ان لا يمكنك شيء . قال ان خفتم شيئا فاخرجوا في السحر . ثم بارح وتوجه الى عثمان بن حيان فاستأذن عليه فاذن له فسلم وذكر له غيبته وانه جاءه ليقضي حقه ثم جزاه خيراً على مافعل من اخراج اهل الغناء والزناء وقال ولكن ماتقول في امرأة كانت هذه صناعتها

يونس الكاتب

هو معتوق فارسي كان في المدينة من كتاب الديوان لذلك لقب بالكاتب

وكان يونس شاعراً مجيداً ومغنياً محسنا من الطبقة الثانية وكان حاذقا في صناعة الموسيقى . وقد اخذ الغناء عن ابن محرز وابن مريج والغريض وبالا كثر عن معبد الذي كان يغنى الحانه بمهارة كبيرة

وكان مشهوراً بتلحينة للاشعار التي كان ينظمها ابن رهيمة تشببا بصبية من صبايا المدينة اسمها زينب بنت عكرمة . وقد اشتهرت هذه الالحان شهرة كبيرة واصبحت تعرف بالزينبيات .

وكانت تكره على ذلك ثم تركته واقبلت على الصلاة والصيام والخير فقال عثمان اني ادعهالك ولكلامك فقال بن ابي عتيق . ولكن تاتيك وتسمع من كلامها وتنظر اليها فان رأيت ان مثلها ينبغي ان يترك تركتها . فقال نعم . فجاءه بها وقال لها اجعلي معك سبحة وتخشعي ففعلت فلما دخلت على عثمان حدثته واذا هي من اعلم الناس بالناس فأعجب بها . وحدثته عن ابائه وامورهم ففكه لذلك فقال لها ابن ابي عتيق اقرأي للامير . فقرأت له . فقال لها . احدي له . فحدت فكثر تعجبه . فقال ابن ابي عتيق للامير . كيف لو سمعتها في صناعتها فلم يزل ينزله شيئا فشيئا حتى امرها بالغناء فغنت فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال . لاوالله مامثل هذه يخرج . قال ابن ابي عتيق لايدعك الناس ويقولون انك اقررت سلامة واخرجت غيرها فقال الامير . دعوهم جميعاً فتركوهم .

وقال الحرمي قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشتروا سلامه القس المغنية من آل رمانة بعشرين الف دينار . فلما خرجت من ملك اهلها طلبوا من الرسل ان يتركوها عندهم اياماً ليجهزوها بما يشبهها من حلى وثياب وطيب وصبغ فقالت الرسل هذا كله معنا لاحاجة بنا الى شيء منه وامروها بالرحيل فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك وشيعها الخلق من اهل المدينة . فلما بلغوا السقاية قالت للرسل. قوم كانوا يغشونني لابد لي من وداعهم والسلام عليهم فاذن للناس عليها فانقضوا حتى ملاوا رحبة القصر وما وراء ذلك فوقفت بينهم ومعها العود فغنتهم .

فارقوني وقد علمت يقيناً * مالمن ذاق ميتة من اياب
ان أهل الخضاب قد تركوني * مولعاً موزعاً باهل الخضاب

فلم تزل تردد هذا الصوت حتى واحت وانتحب الناس بالبكاء عند ركوبها فلم يكن غير بالك

وقال من رأى سلامة تندب يزيد بن عبد الملك بمرثية رثته بها فما سمع السامعون بشيء احسن من ذلك ولا اعجب ولقد ابكت العيون واحرقت القلوب وفتنت الاسماع وهي

ياصاحب القبر الغريب * بالشام من طرف الكثيب
بالشام بين صفائح * صم ترصف بالجنوب
لما سمعت انينه * وبكاءه عند المغيب
اقبلت اطلب طبه * والداء يعضل بالطبيب

(المعرب)

وقد اساء ذلك اهل تلك الصبية فرفعوا الامر الى الحاكم واستصدروه امراً بضرب الشاعر والمغني خمسماية سوط ولكن الخبر نمى الى الشاعر والمغني فهربا من المدينة ولم يعودا اليها الا عند ماتولى الوليد ابن يزيد

والتاريخ ينسب ليونس الكاتب فضل الاسبقية في عمل كتاب للاغاني العربية حوى بعض البيانات عن ملحني تلك الاغاني · ويقول ابو الفرج الاصفهاني ان هذا الكتاب كان ذاشأن كبير ومما يعول عليه في مثل ذلك.

ويظن ان كتاب يونس كان كنموذج لكتاب الاغاني (١)

---

(١) يونس الكاتب

(مقتطف من كتاب الاغاني)

هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار من ولد هرمز وقيل انه مولى لعمر بن الزبير ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان ابوه فقيهاً فاسلمه في الديوان فكان من كتابه

واخذ يونس الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض وكان اكثر روايته عن معبد . ولم يكن في اصحاب معبد احذق ولا اقوم منه بما اخذ عنه . وله غناء حسن وصنعة كثيرة وشعر جيد . وله كتاب في الاغاني وملحنيها كان المرجع الوحيد لاهل العصر لم يسبقه الى مثله احد

اجتمع مرة فتيان من المدينة فيهم يونس الكاتب في واد يقال له دومة من بطن العقيق واخذوا في الغناء فاجتمع اليهم نساء اهل الوادي . واذا بابن عائشة اقبل ومعه صاحب له فلما رأى جماعة النساء حول الفتيان اخذه الحسد والتفت الى صاحبه وقال : اما والله لافرقن هذه الجماعة . فاتى قصراً من قصور العقيق فعلا سطحه وتغنى فما قضى صوته حتى مابقيت امرأة من النساء الاجلست تحت ذلك القصر فقال يونس واصحابه : هذا عمل ابن عائشة وحسده

وقد اشتهر يونس بالحانه المعروفة بالزينبيات والاصل في ذلك ان ابن رهيمة الشاعر كان يشبب بزينب بنت عكرمه بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وكان يونس يلحن شعره في ذلك فافتضحت زينب ورفع اخوها الامر الى هشام بن عبد الملك فامر بضرب ابن رهيمة خمسماية صوط واباح دمه ان هو عاد لذكرها وان يفعل مثل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره هذا . فانمى الخبر الى ابن رهيمة ويونس حتى لاذا بالفرار فلم يعودا الا في ولاية الوليد بن يزيد وهاهي الزينبيات

أقصدت زينب قلبي بعدما * ذهب الباطل عني والغزل
وعلا المفرق شيب شامل * واضح في الرأس مني واشتعل

أقصدت زينب قلبي * وسبت عقلي ولبي
تركتني مستهاماً * استغيث الله ربي
ليس لي ذنب اليها * فتجازيني بذنبي
ولها عندي ذنوب * في تنائيها وقربي

ابو يحيى حكم الوادي

كان ابوه حلاقاً من وادي القرى ورث عن ابيه مالا تاجر به في نقل الزيت . وقد أخذ الغناء عن عمر الوادي ولم يبطء ان مهر في الغناء والتلحين على انه لم يكن يضرب عوداً بل كان اذا غنى استصحب الدف .

وكان الوليد الثاني يكرمه اكراما واسعاً ويغمره بالعطايا والذهب . ولكن ذلك لم يدم اذ تبع خلافة الوليد خلافات اما مزعزعة واما قصيرة الاجل كان الموسيقيون لايجدون فيها سبيلا الى الدخول الى البلاط والى قصور العظماء فخمد ذكر حكم الوادي وخفت صوته وطرح في زوايا النسيان ولكن عاد نجمه الى ازدهاره وتألقه في حكم المنصور فجمع مالا وفيراً وفاز على جميع الموسيقيين .

وقد برع حكم الوادي خاصة في الهزج وهو نوع من الالحان في كلامه خفة وتهتك كانت عامة الناس تفضله على الاغاني الثقيلة المتقنه .

وقد لامه ابنه مرة لانه يستنفد قوى مواهبه في مثل هذا النوع المنحط فقال له : لقد غنيت الغناء الثقيل ثلاثين سنة فكنت لا اجني من عملي الا ما لا يكاد يكفي للقوت الضروري . ولما

وجد الفؤاد بزينبا * وجداً شديداً متعبا
اصبحت من وجدي بها * ادعى سقيماً مسهبا
وجعلت زينب سترة * واتيت امراً معجبا

انما زينب المنى * وهي الهم الهوى
ذات دلٍّ تضنى الصحيـ....ـح وتبري من الجوى
لا يغرنكِ ان دعو....ت فوادي الى النوى
واحذري هجرة الحبيـ....ـب اذا ملّ وازوى

انما زينب همي * بابي تلك وامي
بابي زينب لا اكـ....ـني ولكني اسمي
بابي زينب من قا....ض قضى عمداً بظلمي
بابي من ليس لي في * قلبها قيراط رحم

يازينب الحسناء يازينب * يا اكرم الناس اذا تنسب
تقيك نفسي حادثات الردى * والام تفديك معا والاب
هل لك في ود امرىء صادق * لايمذق الود ولايكذب
لا يبتغي في وده محرماً * هيهات منك العمل الاريب

فليت الذي يلحى على زينب المنا * تعلقه مما لقيت عشير
فحسبي له بالعشر مما لقيته * وذلك فيما قد تراه يسير

المعرب

غنيت الهزج جمعت في اقل من ثلاث سنين مالا لم تره في حياتك كلها .

وقد كان الوزير يحي البرمكي يقول: اجد في حكم صنعة خاصة. فالمغنون جميعهم اذا غنوا لحنا وكرروه حزفوا منه أو اضافوا اليه الا حكما فهو من دونهم يؤدي اللحن على اصله كما سمعه .

وقد بلغ اليه هذا القول فقال . هذا يرجع الى ان سواي من المغنين يشرب اما انا فلا اشرب .

وكان هارون الرشيد شديد الاعجاب به . فلما اراد حكم مبارحة بلاط بغداد سلمه الخليفة كتاباً الى اخيه ابراهيم حاكم دمشق بثلاثمائة الف درهم . دفعت اليه عند وصوله . وقد بلغ مرور ابراهيم بمقدم هذا الفنان الكبير مبلغاً كبيراً فمحه من عنده مايتين وتسعة وتسعين الف درهم مايقل الف درهم عن منحة هارون الرشيد معتذراً عن ذلك الفرق بأنه ليس من اللياقة ان يمنحه مثل منحة الخليفه

وقد مات حكم في الثمانين وكان ذلك سنة ٧٩٨ مسيحيه وكان آخر لحن صنعه في شعر ارسله اليه احد شعراء مكة يقول له به كم يشتهي جميع اصحابه ان يروه ناعماً في صحة وعافية هو الذي كان نديم المجالس وكانت مواهبة موضوع الاعجاب .(١)

---

(١) **حكم الوادي**

(مقتطف من كتاب الاغاني)

هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك وكان ابوه حلاقاً يحلق رأس الوليد فاشتراه فاعتقه. وكان حكم طويلا احول يكري الجمال ينقل عليها الزيت من الشام الى المدينة ويكنى ابا يحي . وكان حاذقاً ينقر بالدف ويغني مرتجلا وعمر طويلا وغنى الوليد بن عبد الملك والرشيد . وذكر انه اخذ الغناء عن عمر الوادي . وحكى حكم الوادي عن نفسه قال : ادخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد وهو على حمار وعليه جبة وشي ورداء وشي وخف وشي وفي يده عقد جوهر وفي كمه شيء لا ادري ما هو فقال : من غناني ما اشتهي فله ما في كمي وما عليَّ وما تحتي . فغنوه كلهم فلم يطرب فقال لي : غن ياغلام فغنيت :

اكليلها الوان * ووجهها فتان
وخالها فريد * ليس له جيران
اذا مشت تثنت * كانها ثعبان

فطرب الوليد واخرج ما كان في كمه واذا كيس فيه الف دينار فرمى به اليَّ مع عقد الجوهر ولما دخل بعث اليَّ بالحمار وجميع ما كان عليه .

ويروى ان اسحق الموصلي كان يقول : اربعة بلغوا في اربعة اجناس من الغناء مبلغاً قصر عنه غيرهم : معبد في الثقيل وابن مريج في الرمل وحكم في الهزج وابراهيم الموصلي في الماخوري

زار حكم الوادي مرة الرشيد فبره ووصله بثلثماية الف درهم وسأله عمن يختار ان يكتب له بها اليه فقال اكتب لي بها الى ابراهيم بن المهدي وكان عاملا له بالشام فكتب له بذلك ولما قدم حكم الوادي على ابراهيم بكتاب الرشيد دفع اليه ما كتب به ووصله بمثل ما وصله به الرشيد الا انه انقصه الفا من الثلثماية وقال له لا اصلك بمثل صلة امير المومنين .

سياط

هو مكي مولى خزاعه وقد امتاز بغنائه وتلحينه وعزفه وكان يعلم العود والغناء وقد نقل ابن جامع وابراهيم الموصلي عنه الغناء القديم لاساتذة عصر الامويين

ويقول كتاب الاغاني ان متولا اسمه ابو ريحانه رأى مرة سياطاً فتوسل اليه ان يغنيه لحناً من الحانه فاجابه سياطاً الى طلبه فما كان من ابي ريحانه الا ان شق قميصه وخرج منه عارياً من شدة الطرب. ثم غنى سياطاً لحناً آخر فبلغ الطرب بابن ريحانه الى ان لطم وجهه لطماً عيفاً وسقط مغشياً عليه. ولما افاق قال له بعضهم ويلك لقد ضيعت قميصك وليس لك غيره. فقال: دعوني فان الغناء الحسن من الصوت الرخيم ادفأ الي من حمام الخليفة

وذهب سياطاً الى بغداد فاقام فيها ونال عند الخليفة المهدي حظوة كبرى

وكان اذا غني استصحب من يعزف له ناياً فيتبعه او من يعزف له عوداً

ولما شعر بدنو الاجل اوصى تلامذته بستين لحناً من اجمل الحانه وطلب ان لا يغيروا فيهما شيئاً وان لا ينسبوها الى انفسهم ومات في سنة ٧٨٥ مسيحية (١)

ويقال ان حكماً لم يشتهر بالغناء ويذهب له فيه صيت الا عندما صار الامر الى بن العباس فانقطع الى محمد بن ابي العباس امير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور فاعجب به واختاره على المغنين واعجبته اهزاجه وكان يقال انه من اهزج الناس. ويقال ايضاً انه غنى الاهزاج في آخر عمره وان ابنه لامه على ذلك وقال له: أبعد الكبر تغني غناء المخنثين. فقال له اسكت فانك جاهل. غنيت الثقيل ستين سنة فلم انل الا القوت وغنيت الاهزاج منذ سنيات فاكسبتك مالم ترمثله قط.

وقال يحيى بن خالد مارأينا فيمن يأتينا من المغنين احداً اجود اداء من حكم فكلهم اذا غنى يغير ويزيد وينقص الا حكماً فهو يؤدي كل غناء كاصله وقد قيل لحكم ذلك فقال اني لست اشرب وغيري يشرب فاذا شرب تغير غناؤه.

ومات حكم الوادي من قرحة اصابته في صدره فقال الدارمي فيه قبل وفاته

ان ابا يحيى اشتكى علة * اصبح منها بين عواد
فقلت والقلب به موجع * يارب عافي الحكم الوادي
فرب بيض قادة سادة * كانصل سلت من اغماد
نادمهم في مجلس لاهيا * فاصمت المنشد والشادي

(المعرب)

(١) سياط

(مقتطف من كتاب الاغاني)

سياط لقب غلب عليه واسمه عبدالله بن وهب ويكنى ابا وهب. وهو مكيٌّ ومولى خزاعة وكان مقدماً في الغناء روايةً وصنعةً ومقدماً في الضرب معدوداً في الضراب. وهو استاذ ابن جامع وابراهيم

(تابع الهامش)

الموصلي وعنه اخذا ونقلا ونقل نظراؤهما الغناء القديم واخذه هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوج ام ابن جامع .

وفيه يقول بعض الشعراء :

ما سمعت الغناء الاشجاني * من سياط وزاد في وسوامي
غني يا سياط قد ذهب الليـ . . . ل غناء يطير منه نوامي
ما ابالي اذا سمعت غناء * لسياط ما فاتني الروامي (١)

ويقول حماد بن اسحق لقب سياط هذا اللقب لانه كان كثيراً ما يتغنى :

كأن مزاحف الحيات فيه * قبيل الصبح آثار السياط

حكى ان ابراهيم الموصلي غنى يوماً صوتاً لسياط فقال له ابنه اسحق : لمن هذا الغناء يا ابتي ؟ قال لمن لو عاش ما وجد ابوك شيئاً يأكله

قال اسحق الموصلي بلغني ان ابا ريحانة المدني (من المتسولين) كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميص خلق رقيق فمر به سياط المغنى فوثب اليه واخذ بلجامه وقال له ياسيدي بحق القبر ومن فيه غني صوت بن جندب فغناه :

فوادي رهين في هواك ومهجتي * تذوب واجفاني عليك همول

فشق ابوريحانه قميصه حتى خرج منه عارياً وغشي عليه واجتمع الناس حوله وسياط واقف يتعجب من امره ثم افاق وقام اليه ثانية فرحمه سياط وقال له : مالك يامشؤم وأي شيء تريد فقال غني بالله عليك:

ودع امامة حان منك رحيل * ان الوداع لمن تحب قليل
مثل القضيب تمايلت اعطافه * فالريح تجذب متنه فيميل
ان كان شأنكم الدلال فانه * حسن دلالك يا أميم جميل

فغناه اياه فلطم وجهه ثم خرج الدم من انفه ووقع صريعاً ومضى سياط وحمل الناس ابا ريحانة الى الشمس فلما افاق قال له بعضهم : ويحك خرقت قميصك وليس لك غيره . فقال دعوني فان الغناء الحسن من المغنى المطرب أدفأ للمقرور من حمام المهدي اذا اوقدت سبعة ايام

وقد وجه سياط الى ابي ريحانة بقميص وجبة وسراويل وعمامة ...

اعتل سياط علة فجاءه ابراهيم الوصلي وابن جامع يعودانه وكان استاذهما كما سبق القول . فقال له الموصلي اعزز علي بعلتك ياأبا وهب ولو كانت مما يفتدى لفديتك منها . فقال سياط : وكيف كنتُ لكم ؟ قال الموصلي وابن جامع : نعم الاستاذ والسيد . فقال : قد غنيت لنفسي ستين صوتا فاحب ان لاتغيروها ولا تنتحلوها فقالا له : نفعل ذلك ياابا وهب

وحكى في موته ان اخوانا له دعوه فنام عندهم ولما اصبحوا وجدوه ميتاً في منزلهم فجاؤا الى امه وقالوا يا هذه . انا دعونا ابنك لنكرمه ونسر به ونأنس بقربه فمات فجأة وها نحن بين يديك فاحتكمي ماشئت ونشدناك الله ان لاتعرضينا للسلطان اوتدعي فيه علينا مالم نفعله . فقالت ما كنت

(١) والرواسي الذي عناه هو عباس بن منقار وهو من بني رواس .

اسماعيل ابن جامع

هو من مكة وكان مغنياً وملحنا مشهوراً . وقد تسلسل من بيت شريف من قريش . وكان شديد التقوى ويروى ان اثراً كان ظاهراً في جبينه من كثرة السجود على انه كان ايضاً يحب النبيذ والملاهي

وقد تبع استاذه سياط الى بغداد حيث كان بينه وبين ابراهيم الموصلي منافسات . وكان الخليفة المهدي حرم على المغنين والموسيقيين ان يجلسوا الى الامير موسى والامير هارون ولديه مجلس شرب وغناء . فخالف بن جامع ذلك الامر فامر المهدي ان يجلد خمسماية جلده ثم عفى عنه واكتفى بطرده قائلا له . الا تخجل من احتراف الغناء وانت رجل من قريش

عاد بعد ذلك ابن جامع الى بغداد عند تولية موسى القاضي . فاجزل اليه العطاء وقد غناه مرة في مجلس له الحانا من النوع الخفيف السريع فاعطاه ثلاثين الفاً من الذهب . على انه بالرغم من تلك العطايا الوافرة فكثيراً ما كان ابن جامع يذوق الفاقة لانه كان مولعاً بالقمار واقتناء الكلاب على اختلاف اجناسها . ولما اخلف هارون اباه رحل الى المدينة وهو لا يملك الا اربعة دراهم . على انه تمكن هنالك من ان يجدد ثروته بسرعة . ويحكى انه غنى مرة في حضرة الاميرة زبيدة ام جعفر زوجة هارون الرشيد قصيدة يصف بها هناء المحبين فامرت له بمئة الف درهم لكل بيت من الشعر في تلك القصيدة .

وكان لابن جامع صوت جميل يزداد جمالا اذا كان حزيناً فطلب الخليفة مرة في مجلس له ان يلفق له خبراً في موت امه وكان باراً بها . فتملكه الحزن وانطلق يرثيها بصوت يتهدج اسى فما تمالك الخليفة وجلساؤه انفسهم من شدة التأثير اما الغلمان فكانوا يضربون برؤسهم الحيطان . وقد نال ابن جامع على ذلك عشرة آلاف من الذهب .

استيقظ ابن جامع يوماً واثباً وصاح بابنه قائلا : خذ عودك واتبع صوتي فقد اسمعني رجل من الجن في نومي لحناً اخاف ان انساه . واخذ يغني اللحن مراراً ليثبت له وكان رمل جميل فاق على جميع ماسبق له صنعه واصبح يعرف بلحن الجن (١)

قال بعضهم لابراهيم الموصلي ان ابن جامع يخرج من الايقاع وبالرغم مما كان بينهما من المنافسة قال ابراهيم . ان هذا محال فابن جامع لا يسير ولا يتكلم ولا يسعل الا على الايقاع فكيف يخرج من الايقاع اذا غنى

لافعل وقد صدقتكم. وهكذا مات ابوه فجأة. ثم حملته الى منزلها فاصلحت امره ودفنته .

(المعرب)

(١) قد نسبت لابراهيم الموصلي قصة شبيهة بهذه القصة وهي ان اخته اسما سألته يوماً ان يسمعها لحنا من صنعته كان قد ابا ان يسمعه لمخارق وهو احد منافسيه فقال . يااختاه لا ارد لك طلباً ولكن علمي ان ابليس هو الذي علمني هذا اللحن ولما اعدته على مسمعه ضمني الى صدره قائلا : سر منذ الان الى جانبي وانا معك

ومات ابن جامع حول سنة ٨٠٣ مسيحية (١)

---

(١) ## ابن جامع

(مقتطف من كتاب الاغاني)

هو اسماعيل بن جامع بن اسماعيل بن عبد المطلب الخ . ويكنى ابا القاسم وامه امرأة من بني سهم . وكان كثير الصلاة وقد اخذ السجود جبهته وكان يعمم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء . وبالرغم من ذلك فقد كان مولعاً بالقمار وحب الكلاب

روت حولاء مولاة ابن جامع قالت: انتبه مولاي يوماً من نومه فقال علي بهشام. ادعوه لي عجلوه وهشام ابنه . فجاء مسرعا فقال اي بني خذ العود فان رجلا من الجن القى علي في نومي صوتاً فاخاف ان انساه فاخذ هشام العود وتغنى ابن جامع رملا لم اسمع احسن منه وهو

امست رسوم الديار غيرها * هوج الرياح الزعازع العصف

وكل حنانة لها زجل * مثل حنين الروائم الشغف

فاخذه عنه ابنه هشام فكان بعد ذلك يتغناه وينسبه الى الجن ولابن جامع هزج في عشيقة له سوداء من احسن ماصنع هو .

اشبهك المسك واشبهته * قائمة في لونه قاعدة

لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحدة

وقد روى هذا الشعر لابي حفص الشطرنجي يقوله في دنانير مولاة البرامكة ونسب هذا الهزج الى ابراهيم الموصلي وسواه

وذكر برصوما الزامر ابراهيم الموصلي وابن جامع فقال : الموصلي بستان تجد فيه الحلو والحامض وطريا لم ينضج فتأ كل منه من هذا وذاك . وابن جامع زق عسل ان فتحت فمه خرج عسل حلو وان خرقت جنبه خرج عسل حلو وان فتحت يده خرج عسل حلو كله جيد .

بلغ المهدي ان ابن جامع والموصلي يجلسان الى مومس في شراب وغناء وكان قد حرم ذلك فبعث اليهما فجيء بهما فضرب الموصلي ضرباً مبرحاً اما ابن جامع فاسترحمه قائلا : ارحم امي . فرق وقال له قبحك الله رجل من قريش يغني . وطرده

غنى ابن جامع الرشيد يوماً فلما كان الغد انصرف الرشيد واقام جعفر فدخل ابراهيم الموصلي فسأل جعفراً عن امسهم فاخبره وقال لم يزل ابن جامع يغنينا الا انه كان يخرج عن الايقاع . قال ذلك بغية ان يطيب نفس ابراهيم الموصلي لما كان يعرفه من المنافسة بين الاثنين فقال ابراهيم: أتريد ان تطيب نفسي بما لا تطيب به . لا والله . ماعطس او سعل ابن جامع منذ ثلاثين سنة الا بايقاع فكيف يخرج اليوم منه.

وكان ابن جامع احسن ما يكون غناء وصوتاً اذا حزن . فاحب الرشيد ان يسمع ذلك على تلك الحال فقال للفضل ابن الربيع ابعث خريطة فيها نعي ام ابن جامع . وكان ابن جامع باراً بامه. فوردت الخريطة على امير المؤمنين وهو في مجلس لهوه فقال : ياابن جامع جاء في هذه الخريطة نعيُ امك

(تابع الهامش)

فاندفع ابن جامع يغني مرثية بحزن شديد . فما ملك جميع من كان في المجلس انفسهم وكان الغلمان يضربون برؤسهم الحيطان والاساطين . وامر له الرشيد بعشرة آلاف دينار

ارسلت ام جعفر مرة الى الرشيد تقول له يا امير المؤمنين اني لم ارك منذ ثلاثة ايام وهذا اليوم الرابع . فارسل اليها يقول : عندي ابن جامع . فارسلت تقول : انت تعلم اني لا اهنأ بشراب ولا سماع الا ان تشركني فيه فما عليك ان اشركك في الذي انت فيه . فارسل اليها : اني سائر اليك الساعة وسار اليها ومعه ابن جامع جعله في موضع يُسمع منه ولا يكون حاضراً معهما . ثم امر ابن جامع ان يغني فغنى من الثقيل الثاني ابياتاً في لحن نادر المثال فطربت ام جعفر طرباً بالغاً وقالت لمسلم خادمها ادفع الى ابن جامع لكل بيت مائة الف درهم . فقال الرشيد : غلبتنا يا بنت ابي الفضل وسبقتنا الى بر ضيفنا. فلما خرج حمل اليها مكان كل درهم ديناراً .

كان لابن جامع غرفة باليمن مشرفة على مشرعة فبينا هو مشرف ذات يوم منها رأى امة سوداء على ظهرها قربة ملأتها ووضعتها على المشرعة لتستريح وجلست فغنت

فردي مصاب القلب انت قتلته * ولا تبعدي فيما تجشمت كلثما
الى الله اشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما
ابى الله ان امسي ولا تذكريني * وعيناي من ذكراك قد ذرفت دما
ابيت فما تنفك لي منك حاجة * رمى الله بالحب الذي كان اظلما

وفي رواية اخرى انها غنت ما يأتي :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سراعاً وما يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر لذي الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

ثم اخذت قربتها لتمضي فاستفز ابن جامع من شهوة الصوت ما لا قوام له به . فنزل الى الامة وقال لها اعيديه . فقالت انا عنك في شغل بخراجي . قال وكم هو . قالت درهمان في كل يوم . قال فهذان درهمان ورديه علي حتى اخذه . فقالت اما الان فنعم وجلست فلم تبرح حتى اخذه منها وانصرفت . ولكن اصبح ابن جامع من غد وهو لا يذكر منه حرفاً واذا هو بالسوداء قد طلعت ففعلت كفعلها بالامس . فلما وضعت القربة تغنت غير الصوت الذي يريد ابن جامع فعدا في اثرها وقال. ياجارية بحقي عليك ردي علي الصوت فقد ذهبت عني منه نغمة فقالت لست افعل الا بدرهمين اخرين . فدفعهما اليها واعادته عليه حتى اخذه ثانية ثم قالت له . انك تستكثر فيه اربعة دراهم وكاني بك قد اصبت به اربعة آلاف دينار .

وكان ابن جامع عند الرشيد يوماً وهو على سريره فقال : من غناني فاطربني فله الف دينار وكان امامه اكياس في كل كيس الف دينار فغنى القوم وغنى ابن جامع فلم يطرب الرشيد حتى دار الغناء الى

ابراهيم الموصلي

هو من بيت شريف في العجم . وُلد في الكوفة سنة ٧٤٣ مسيحية .

شغف بالغناء فاشتد عليه غضب أهله فهرب الى الموصل حيث تعلم الغناء ثم ذهب الى الري حيث دأب على اتقان الموسيقى العربية والموسيقى الفارسية . ثم استوطن بغداد حيث أخذ عن سياط علم الغناء والعزف على العود وما ابطأ ان أصبح في الصف الاول بين رجال الموسيقى .

وقد اجزل الخليفة موسى الهادي له العطايا ومنحه مرة مائة وخمسين الف دينار دفعة واحدة . ولما اخلف هارون أخاه موسى سار على منواله في البذخ وقرب الموصلي واختصه بنفسه فأصبح يلقب بالنديم .

وغنى ابراهيم يوماً مستصحباً زلزل بالزمر وبرصوما بالعود فطرب الرشيد حتى وثب وصاح قائلا : يا آدم لو أمكنك ان تسمع من يحضر في الآن من أولادك لسررت مثلي . ثم تمالك من نفسه اندفاعها وقال : أستغفر الله !

ومنصور زلزل الذي ذكرنا اسمه هنا هو صهر ابراهيم وهو الذي استنبط العيدان المسماة شبابيط لمشابهة شكلها بشكل السمك المسمى بشبوط . وكان العرب قبل ذلك يستعملون العيدان الشبيهة بعيدان العجم .

وقد جمع ابراهيم ثروة طائلة . ويقول ابنه اسحق ان أباه جمع ٢٤ مليون درهم سواء أمن هبات سامعيه أو من ثمن القيان التي علمها الغناء . اذ كان يأوي في بعض الاحيان في داره ثمانين صبية اودعها اصدقاؤه تحت يده ليعلمهن بعض الحانه .

وكانت الناس قبل ابراهيم يعلمون الجواري السود والصفر الغناء . فكان ابراهيم أول من علم القيان البيض الغناء فما ابطأن ان بلغت اثمانهن مقادير كبيرة .

وقد كان ابراهيم نابغة عصره فلم يتفوق عليه الا ابنه اسحق . وكان معبد مبدعاً في الثقيل وكان ابن سريج مبدعاً في الرمل وكان حكم الوادي مبدعاً في الهزج أما ابراهيم فقد انفرد وتفوق في الماخوري الذي يشبه خفيف الثقيل الثاني .

ابن جامع ثانية فغنى صوت السوداء فرمى الرشيد اليه بكيس فيه الف دينار . ثم قال له اعده فاعاده فرمى اليه بثان ثم قال اعده فاعاده فرمى اليه بثالث وامسك. فضحك ابن جامع فقال الرشيد ما يضحكك فقال لهذا الصوت حديث عجيب يا امير المؤمنين . فقال وما هو ؟ فحدثه به وقص عليه القصة فرمى اليه بكيس رابع وقال : لا نكذبها قولها .

ومن الحان ابن جامع :

فلو كان لي قلبان عشت بواحد * وخلفت قلباً في هواك يعذب
ولكنما احيا بقلب مروع * فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب
تعلمت اسباب الرضا خوف سخطها * وعلمها حبي لها كيف تغضب

(المعرب)

وقد اشتهر ابراهيم برقة حاسته السمعية ودقة شعورها الى حد يدعو الى الدهشة فقد سمع مرة ثلاثين جارية يضربن جميعاً بالعيدان طريقة واحدة فاستطاع ان يرشد الى الصبية التي كان في عودها وتر ناقص غير مستو .

وقد كان ابراهيم وابنه اسحق من أنصار القديم ومن المتعصبين لطرائق معبد ولقواعد المدرسة القديمة في فن الغناء . لذلك كانوا في حاجة الى بذل الجهود في بلاط الرشيد لمقاومة المدرسة الجديدة التي كان ينشر تعاليمها ابن جامع وهو احد اخصامه ومنافسيه . والتي كان ينشطها ابراهيم بن المهدي أخو الخليفة بنفوذه .

وقد مات ابراهيم سنة ٨٠٦ مسيحية تاركا ٩٠٠ لحن كان ابنه اسحق يضع ثلاثمائة منها في مصاف النفائس التي لا يباريه فيها انسان . وثلاثمائة يعتبرها من الصنف الحسن وثلاثمائة لا شأن لها يذكر . وقد شطب الثلاثمائة الاخيرة من مجموعة أبيه . (١)

---

(١) **ابراهيم الموصلي**

هو ابراهيم بن ميمون أصله من فارس ومن بيت شريف في العجم . مات أبوه في الطاعون الجارف وخلفه طفلا . وكان مولده سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفه وتوفى ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة .

وكفله بعد موت أبيه آل خزيمة بن خازم وكان عمره سنتان أو ثلاث وكان معه اخوان اكبر منه من غير أمه فأقام مع أمه واخواله حتى ترعرع فكان مع ولد خزيمة بن خازم في الكتّاب .

وكان سبب قولهم ابراهيم الموصلي انه لما نشأ واشتد وادرك صحب الفتيان واشتهى الغناء فطلبه واشتد اخواله عليه في ذلك وبلغوا منه فهرب منهم الى الموصل فاقام بها نحواً من سنة فلما رجع الى الكوفه قال له اخوانه من الفتيان مرحباً بالفتى الموصلي فلقب به . وقد صحب في الموصل جماعة من الصعاليك كانوا يصيبون الطريق فيجمعون ما يقصفون ويشربون به ويغنون فتعلم منهم شيئاً من الغناء وشدا فكان أطيبهم واحذقهم فلما أحس بذلك من نفسه سافر الى المواضع البعيدة في طلب الغناء ومنها الري حيث تعلم ومهر وتزوج امرأته دوشار وقد أطال مقامه هناك وأخذ الغناء الفارسي والعربي وتزوج أيضاً شاهك أم اسحق ابنه وسائر ولده . ولابراهيم في دوشار هذه غناء من الهزج هو

دوشار ياسيدتي • ياغايتي ومنيتي * ويامروري من جميـ...ـع الناس ردي سنتي

وبلغ الامير محمد بن سليمان خبره فوجه اليه من أحضره له وأمره بملازمته ثم بلغ المهدي خبره فأمر باشخاصه اليه . وكان المهدي لا يشرب فاراده على ملازمته وترك الشرب فأبى عليه وكان يغيب عنه الايام فاذا جاءه جاء منتشياً فغاظه ذلك منه فأمر بضربه وحبسه فحذق الكتابة والقراءة في الحبس ثم دعاه المهدي يوماً وعاتبه على شربه في منازل الناس والتبذل معهم فلم ينفع فيه عتاب فغضب المهدي غضباً شديداً وأمره ان لا يدخل على ولديه موسى وهارون البتة . ثم بلغه انه دخل عليهما وشرب معهما فأمر بضربه ثلثمائة سوط وقيده وحبسه فقال في حبسه :

(تابع الهامش)

الا طال ليلي اراعي النجوم * اعالج في الساق كبلا ثقيلا
بدار الهوان وشر الديار * اسام بها الخسف صبراً جميلا
كثير الاخلاء عند الرخاء * فلما حبست أراهم قليلا
لطول بلائي مل الصديق * فلا يأمنن خليل خليلا

ثم أخرجه المهدي من الحبس واحلفه بالطلاق والعتاق وكل يمين ان لا يدخل على ابنيه موسى وهارون ابداً وخلى سبيله .

ولما ولي موسى الهادي الخلافة استتر ابراهيم الموصلي ولم يظهر له بسبب اليمين فكانت منازله تكبس في كل وقت واهله يروعون حتى اصابه رجال الخليفة فمضوا به اليه فغناه لحنه في شعره :

يا ابن خير الملوك لا تتركنّي * غرضاً للعدو يرمى حبالي
فلقد في هواك فارقت اهلي * ثم عرضت مهجتي للزوال
ولقد عفت في هواك حياتي * وتغربت بين اهلي ومالي

فوهبه الهادي في يوم واحد مائة وخمسين الف دينار

ولم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء وانما كانوا يعلمونه الجواري السود والصفر فكان اول من علم الجواري البيض الغناء ابراهيم الموصلي فبلغ بالقيان كل مبلغ ورفع من اقدارهن. وفيه يقول ابو عيينة وقد كان هوى جارية يقال لها امان فاغلى بها مولاها السوم

قلت لما رايت مولى امان * قد طغى سومه بها طغيانا
لاجزى الله الموصلي ابا اسـحق عنا خيراً ولا احسانا
جاء نامر سلا بوحي من الشيـ..... طان اغلى به علينا القيانا
من غناء كانه سكرات الحـب يصبي القلوب والاذانا

امر الرشيد مرة جلساءه اجمعين بالانصراف الى منازلهم مدة ثلاثة ايام واعلمهم انه مشتغل فيهامع الحرم فانصرفوا جميعهم وفي غد قال مخارق وهو تلميذ ابراهيم الموصلي : والله لاذهبن الى استاذي فاعرف خبره ثم اعود . وذهب فدخل عليه يترنم ببعض الاصوات فقال له ابراهيم : اقعد ويحك لقد اتاني خبر ضيعة تجاورني قد والله طلبتها زمانا وتمنيتها فلم املكها وقد اعطي بها مائة الف درهم . فقال مخارق وما يمنعك منها فوالله لقد اعطاك الله اضعاف هذا المال واكثر . فقال ابراهيم : صدقت ولكن لست اطيب نفساً ان اخرج بهذا المال. فقال مخارق : ومن يعطيك الساعة مائة الف درهم والله ما اطمع في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه فقال ابراهيم : اجلس خذ هذا الصوت . ونقر بقضيب معه على دواة والقى عليه :

نام الخليون من هم ومن سقم * وبت من كثرة الاحزان لم انم
يا طالب الجود والمعروف مجتهداً * اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

ولما احكمه قال له امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد فاستأذن عليه قبل ان يصل اليه احد وحدثه بما القيت اليك من خبر الضيعة واعلمه اني صنعت هذا الصوت واعجبني ولم ار احداً يستحقه

(تابع الهامش)

الاجاريته واني القيته عليك حتى احكمته لتطرحه عليها فسيدعو بها ويأمر بالستارة ان تنصب ويقول لك اطرحه عليها بحضرتي فافعل وأتني بالخبر بعد ذلك ، ففعل مخارق ما امره به استاذه وتم له كل شيء كما قاله ابراهيم حتى اذا القى اللحن على الجارية فاحكمته قال ياغلام احمل مع مخارق عشرة الاف درهم واحمل الى ابراهيم الموصلي مائة الف درهم ثمن الضيعة فكان ما امر .

ولما اصبح مخارق قال : والله لآتين استاذي ولاعرفن خبره . واتاه ودخل كما دخل بالامس فلم يتلقاه ابراهيم بما يجب من البشر . فقال مخارق : ما الخبر الم يأتك المال ؟ قال ابراهيم : ارفع السجف فرفعه مخارق واذا عشر بدر . فقال : وأي شيء بقي عليك في أمر الضيعة. قال : ويحك ماهو والله الا ان دخلت منزلي حتى شححت عليها فصارت مثل ماحويت قديماً . والان قم حتى القي عليك صوتاً صنعته يفوق صوت الامس والقى عليه .

ويفرح بالمولود من آل برمك * بغاة الندى والسيف والرمح والنصل

وتنبسط الامال فيه لفضله * ولاسيما ان كان من ولد الفضل

فلما القى عليه الصوت سمع مالم يسمع مثله قط وصغر عنده الاول ولما احكمه قال له الموصلي انهض الساعة الى الفضل بن يحيي وحدثه بحديث امس وما كان من ابيه الينا واليك واعلمه اني قد صنعت هذا الصوت وكان عندي ارفع منزلة من الصوت الذي صنعته بالامس واني وجهت بك اليه قاصداً لتلقيه على احدى جواريه فصار مخارق الى الفضل واستأذن وقص عليه الخبر جميعه فقال الفضل اخزى الله ابراهيم ما ابخله على نفسه ثم امر بالستاره واخذت الصوت احدى جواريه واحكمته فسر بذلك سروراً شديداً وقال احسن والله استاذك واحسنت انت يامخارق ثم قال ياغلام احمل مع ابي المهنا (مخارق) عشرين الف درهم واحمل الى ابراهيم مائتي الف درهم . فانصرف مخارق الى منزله بالمال ولما اصبح بكر الى ابراهيم يتعرف خبره ويعرفه خبره فوجده على الحال التي كان عليها بأمسه فدخل يترنم ويصفق فقال له ادن وارفع سجف هذا الباب ففعل واذا عشرون بدره مع تلك العشرة . فقال مخارق وماتنتظر الان فقال ابراهيم ويحك ما هو والله الا ان حصلت عليها حتى جرت مجرى ماتقدمها . فقال مخارق : والله ما اظن احداً نال في هذه الدولة ما نلته فالى متى تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهراً وقد ملكك الله اضعافه . فقال ابراهيم : اجلس وخذ هذا الصوت . والقى عليه صوتا انساه الصوتين الاولين .

افي كل يوم انت صب وليلة الى ام بكر لا تفيق فتقصر

احب على الهجران اكناف بيتها فيالك من بيت يحب ويهجر

الى جعفر سارت بنا كل حرة طواها سراها نحوه والتهجر

الى واسع للمجتدين فناؤه تروح عطاياه عليهم وتبكر

هذا الشعر لمروان بن ابي حفصه يمدح به جعفر بن يحيى . قال ابراهيم لمخارق هل سمعت مثل هذا فقال ماسمعت قط مثله . ومازال يردده عليه حتى اخذه ثم قال له :

امض الى جعفر فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه . فمضى مخارق اليه وخبره ما كلف وعرض عليه الصوت فسر به وأمر بضرب الستارة وأحضر جارية وقال هلت يامخارق . فاندفع مخارق والقى

(تابع الهامش)

الصوت على الجارية حتى أخذته فقال جعفر أحسنت والله يامخارق واحسن أستاذك ثم أمر له بثلاثين الف درهم والى الموصلي بثلثمائة الف درهم فصار مخارق مسروراً بالمال الى منزله وقضى بقية يومه وليلته وبكر الى ابراهيم فتلقاه قائماً وقال له أحسنت يامخارق فقال مخارق ما الخبر. فأمر الموصلي برفع السجف فاذا المال جميعه. فقال مخارق : ما خبر الضيعة ؟ فادخل ابراهيم يده تحت مسورة هو متكيءٌ عليها وقال: هذا صك الضيعة سئل عن صاحبها فوجد ببغداد فاشتراها منه يحيى بن خالد وكتب الي : قد علمت أنك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مال يحصل لك ولوحزت الدنيا كلها فابتعتها لك من مالي ووجهت لك بصكها . ووجه اليّ بصكها وهذا المال كما ترى ثم بكى وقال: يامخارق اذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء هذه ستمائة الف وضيعة بمائة الف وستون الف درهم لك حصلنا عليها وأنا جالس في مجلسي لم ابرح فمتى يدرك مثل هؤلاء ؟

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي لابنه حماد صنع جدك تسعمائة صوت منها دينارية ومنها درهمية ومنها فلسية وما رأيت اكثر من صنعته . فاما ثلثمائة منها فانه تقدم فيها الناس جميعاً واما ثلثمائة فشاركوه وشاركهم فيها واما الثلثمائة الباقية فلعب وطرب .

وقد اسقط اسحق الثلثمائة الاخيرة فكان اذا سئل عن صنعة أبيه قال هي ستمائة صوت .

كان بعض أهل نهيك قد تعاطى الغناء فلما ظن انه قد احكمه شاور اسحق وأبوه ابراهيم حاضر فقال اسحق : ان قبلت مني فلا تغن فلست في الغناء كما ارضى . فصاح ابراهيم على اسحق صيحة شديدة وقال : ما يدريك أنت ؟ ثم اقبل على الرجل فقال : أنت ياحبيبي بضد ما قال اسحق . وان لزمت الصناعة برعت فيها . ولما خلا باسحق قال له : يا احمق ما عليك ان يخزي الله مائة الف من أمثاله. هؤلاء أغنياء وملوك يعيروننا بالغناء فدعهم يسمعوا مثل هذا الرجل ليظهر فضلنا .

وقد لزم الرجل الموصلي يأخذ عنه ويبره فيجزل . فكان اذا غنى فاحسن قال له ابراهيم بارك الله فيك واذا ما اساء قال له بارك الله عليك وكثر هذا منه حتى ادرك الرجل معناه فيه فغنى يوماً وابراهيم ساه عنه ولم يقل له شيئا فقال له جعلت فداك يا استاذي أهذا الصوت من اصوات فيك أم عليك . فضحك ابراهيم لقوله وقال : والله لاقبلن عليك حتى تصير كما تشتهي فانك ظريف اديب وغني به حتى حسن غناؤه وتقدم فيه

غنى مخارق يوماً بين يدي الرشيد صوتاً فاخطأ في قسمته وكان ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد واسحق بن ابراهيم الموصلي حاضرين فقال اسحق اعد فاعاده وكان الخطأ خفياً فقال اسحق للرشيد ياسيدي قد اخطأ فيه . فقال الرشيد لابراهيم بن المهدي اخيه : ماتقول فيما ذكره اسحق ؟ قال : ليس الامر كما قال ولاههنا خطأ . فقال اسحق للرشيد : أترضى بابي حكما ؟ قال اي والله . وكان الموصلي في بقايا علة فامر الرشيد باحضاره ولو محمولا فجيء به في محفة فقال لمخارق اعد الصوت فاعاده. فقال الرشيد ماعندك يابراهيم في هذا الصوت. فقال ابراهيم. قد اخطأ فيه. فقال الرشيد هكذا قال ابنك اسحق ولكن اخي قال انه صحيح. فالقى ابراهيم الى ابنه نظرة وقال هاتوا دواة فأتي له بها فكتب شيئاً لم يقف عليه احد ووضعه بين يدي الرشيد ثم قال لاسحق اكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصوت. فكتب اسحق والقى به الى ابيه فقرأه وسر وقام فالقاه بين يدي الرشيد فقرأ الرشيد

(تابع الهامش)

الرقعتين فاذا ماجاء فيهما عن موضع الخطأ واحد فضحك وعجب ولم يبق احد في المجلس الا قرظ واما الذين خالفوا فخجلوا وذلوا واذعنوا . وقال ابراهيم الموصلي في ذلك :

ليت من لايحسن العلـ...ـم كفانا شرَّ علمه
فاخبر الحق ابتداء وقس العلم بفهمه
طيب الريحان لا تعـ...ـرفه الا بشمه

حكى اسحق بن ابراهيم الموصلي عن ابيه قال :
لما صنع ابي لحنه في شعر عمر بن ابي ربيعة :

ليت هنداً انجزتنا ماتعد * وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لايستبد
زعموها سألت جارتها * ذات يوم وتعرت تبترد
اكما ينعتني تبصرنني * عمركن الله ام لايقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسداً حملنه من اجلها * وقديماً كان في الناس الحسد

خاصمته وعبته في صنعته . وكنت لاازال افاخره بصنعتي واعيب مايعاب من صنعته فغضب وقال يعلم الله اني لا ادعك أو تفاخرني بخير صوت صنعته . فلما رايت الجد منه اخترت صنعتي في لحني :

قل لمن صد عاتباً ونأى عنك جانبا
قد بلغتَ الذي اردت وان كنت لاعبا

وكنا خارجين الى الصحراء فقال من تحب ان يحكم بيني وبينك فقلت من ترى ان يحكم ههنا. قال: اول من يطلع اغنيه لحني وتغنيه لحنك . واقبل شيخ نبطيٌ يحمل شوكا على حمار له . فاقبل عليه ابي وقال له: اني وصاحبي هذا قد تراضينا بك في شيء قال وأي شيء هو. قال زعم كل واحد منا انه احسن غناء من صاحبه فاسمع مني ومنه واحكم فقال النبطي: على اسم الله . فبدأ ابي فغنى لحنه وتبعته فغنيت لحني فلما فرغت اقبل النبطي عليّ وقال لي قد حكمت عليك عافاك الله . قال ذلك ومضى فلطمني ابي لطمة ما مر بي مثلها منه قط فسكت وما اعدت عليه حرفاً ولا راجعته بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا

ولما ولي الرشيد الخلافة وجلس للشرب بعد فراغه من احكام الامور دخل عليه المغنون وكان اول من غناه ابراهيم الموصلي بشعره فيه وهو :

اذا ظُلَمُ البلاد تجللتنا * فهارون الامام لها ضياء
لهارون استقام العدل فينا * وغاض الجور وانفسح الرجاء
رأيت الناس قد سكنوا اليه * كما سكنت الى الحرم الظباء
تبعتَ من الرسول سبيل حق * فشأنك في الامور به اقتداء

فامر له بعشرين الف درهم

تقاسم الرشيد وجعفر بن يحيى المغنين فكان ابن جامع في حيز الرشيد وابراهيم في حيز جعفر .

(تابع الهامش)

ثم حضر الندماء لامتحان المغنين فامر الرشيد بن جامع فغنى صوتاً احسن فيه كل الاحسان فقال الرشيد لابراهيم هات هذا الصوت فقال ابراهيم لا والله يا امير المؤمنين ما اعرفه فقال الرشيد لجعفر هذا واحد. ثم قال لابن جامع ان يغني فغنى صوتاً ثانياً احسن من الاول فقال الرشيد لابراهيم هاته يا ابراهيم قال ولا اعرف هذا . فغنى ابن جامع ثالثاً يفوق الصوتين الاولين فقال الرشيد ايضاً لابراهيم هاته قال ولا اعرف هذا ايضاً فقال له جعفر : اخزيتنا اخزاك الله! واتم ابن جامع يومه والرشيد مسرور به واجازه بجوائز كثيرة ولم يزل ابراهيم منخذلا منكسراً حتى انصرف الى بيته فلم يستقر حتى بعث الى محمد المعروف بالزف وهو من المغنين المحسنين اشتهر بقوة الحافظة وكان الرشيد واجداً عليه وقد تناساه . : فقال ابراهيم هذا وقتك وقد اخترتك لامر لا يصلح له غيرك . وأدى اليه الخبر وقال اريد ان تمضي الساعة الى ابن جامع فتعلمه انك صرت اليه مهنئاً بما تهيأ له عليّ وتنقصني وتثلبني وتشتمني وتحتال في ان تسمع منه الاصوات وتأخذها منه ولك ما تحبه من جهتي مع رضا الخليفة ان شاء الله فمضى الزف الى ابن جامع ودخل وسلم وقال جئتك مهنئاً والحمد لله الذي اجزى ابن الجرمقانية على يدك. فقال ابن جامع هل بلغك الخبر قال الزف هو اشهر من ان يخفى على مثلي ولكن ايها الاستاذ سرني اذ اسمعه من فيك. فحدثه ابن جامع بالخبر حتى انتهى الى خبر الصوت الاول فقال الزف وما هو ايها الاستاذ فغناه ابن جامع اياه فجعل الزف يصفق وينعر ويشرب وابن جامع مجتهد في شأنه حتى اخذه عنه ثم سأله عن الصوت الثاني فغناه اياه وفعل مثل فعله في الصوت الاول ثم كذلك في الصوت الثالث فلما اخذ الاصوات الثلاثة كلها واحكمها استأذن وانصرف الى ابراهيم فطلب عوداً فضرب وغنى الاصوات فقال ابراهيم :وابيك هي بصورتها.ولم يزل يرددها حتى صحت له وانصرف الزف الى منزله وفي الغد توجه ابراهيم الى الرشيد ودخل مع المغنين فلما بصر به الخليفة قال له:أو قد حضرت اما كان ينبغي لك ان تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لقيت من ابن جامع . فقال الموصلي : ولما ذلك يا امير المؤمنين جعلني الله فداءك والله لئن اذنت لي ان اقول لاقولن . فقال الرشيد وما عساك ان تقول.فقال ابراهيم :لا ينبغي لي ولا لغيري ان يراك نشيطاً لشيء فيعارضك فيه ولا ان تكون متعصباً لحيز أو لجنبة فيغالبك ولا في الارض صوت لا اعرفه فقال الرشيد : دع ذا عنك فقد اقررت امس بالجهالة بما سمعت من صاحبنا وان كنت امسكت عنه بالامس على معرفة كما تقول فهاته اليوم فليس ههنا عصبية ولا تمييز. فاندفع ابراهيم وغنى الاصوات كلها وابن جامع مصغ يسمع منه حتى اتى على اخرها . فاندفع ابن جامع يحلف بالايمان المحرجة انه ما عرفها قط ولا سمعها لانها من صنعته ولانه لم يخرجها الى احد فقال الرشيد : يا ابراهيم بحياتي اصدقني . فقال وحياتك لاصدقنك . رميته بحجره. بعثت اليه بمحمد الزف وضمنت له ضمانات اولها رضاك عنه فمضى واحتال لي عليه واخذ الاصوات ونقلتها انا حتى سقط الان اللوم عني باقراره انها من صنعته وانها ليست من الاغاني القديمة كما اظهر بالامس . على انه ليس عليّ ان اعرف ما صنعه هو ولم يخرجه الى الناس اذ هذا باب من الغيب وانما الامر اذا عرف هو شيئاً من غناء الاوائل وجهلته اما والا فلو لزم ان اروى صنعته لزمه ان يروي صنعتي . فقال الرشيد صدقت يا ابراهيم وقت بحجتك ثم قال لابن جامع : اتيت أتيت دهيت دهيت . لقد ابطل عليك الموصلي ما فعلته به امس وانتصف اليوم منك . ثم دعى بالزف فرضي عنه .

(تابع الهامش)

حكى ابراهيم الموصلي قال · قال لي الرشيد يوما يا ابراهيم بكر علي غداً حتى نصطبح فكنت انا والصبح كفرسي رهان فبكرت فاذا انا به خال وبين يديه جارية كانها خوط بان اوجدل عنان حلوة المنظر دمثة الشمائل وفي يدها عود فقال لها الرشيد ان تغني فغنت في شعر ابي نواس :

توهمه قلبي فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري خاطراً فجرحته * ولم ار جسما قط يجرحة الفكر
وصافحه قلبي فآلم كفه * فمن غمز قلبي في اناملهُ عفر

قال ابراهيم فذهبت والله بعقلي حتى كدت ان افتضح وقلت من هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه التي يقول فيها الشاعر

لها قلبي الغداة وقلبها لي * فنحن كذاك في جسدين روح

ثم قال لها ان تغني فغنت :

تقول غداة البين احدى نسائهم * لي الكبد الحري فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعها * على خدها بيض وفي نحرها صفر

فشرب الخليفة وسقاني ثم سقاها ثم قال غنّ يا ابراهيم فغنيت حسبما في قلبي غير متحفظ من شيء

تشرّب قلبي حبها ومشى به * تمشي حميا الكأس في جسم شارب
ودب هواها في عظامي فشفها * كما دب في الملسوع سم العقارب

ففطن الرشيد لتعريضي وكانت جهالة مني فامرني بالانصراف ولم يدعني شهراً الى مجلسه ولما مضى الشهر دس اليّ خادما معه رقعة فيها مكتوب

قد تخوفتُ ان اموت من الوجـ ... ـد ولم يدر من هويتُ عما بي
ياكتابي فاقر السلام على من لا اسمي وقل له يا كتابي
ان كفا اليك قد بعثتني في شقاء مواصل وعذاب

اتاني خادم بالرقعة فقلت له ماهذا قال رقعة الجارية التي غنتك بين يدي امير المؤمنين فادركت ما انطوى في ذلك وشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضربا شفيت به نفسي وغيظي وركبت الى الرشيد من فوري فاخبرته بالامر واعطيته الرقعة فضحك حتى كاد يستلقي وقال : على عمد فعلتُ ذلك بك لامتحن مذهبك وطريقتك .

ويعلم الله ماذملت الذي فعلت عفافا ولكن خوفا

سأل الرشيد مرة ابراهيم الموصلي كيف يصنع اذا اراد ان يصوغ الالحان فقال ياامير المؤمنين أخرج الهم من فكري وامثل الطرب بين عيني فتنفتح لي مسالك الالحان فاسلكها بدليل الايقاع فارجع مصيبا ظافراً بما اريد

ادرك الموصلي يونس الكاتب وهو شيخ كبير فعرض عليه غناءه فقال له ان عشتَ كنت مغني دهرك. وكان محمد بن الحسن يقول : كان لكل واحد من المغنين مذهب في الخفيف والثقيل. فكان

(تابع الهامش)

معبد ينفرد بالثقيل وابن سريج بالرمل وحكم الوادي بالهزج ولم يكن في المغنين احد يتصرف في كل مذهب من الاغاني الا ابن سريج وابراهيم الموصلي

حكى ابراهيم قال كنت في مجلسي وقد حف بي حرمي وترددت جواريّ بين يدي في يوم أمرت بوابي ان يغلق بابي وألا يأذن عليّ لاحد واذا بشيخ دخل عليّ بلا استئذان وروائح المسك تفوح منه حتى ملأت الدار فداخلني بدخوله غيظ وهممت بطرد بوابي فسلم عليّ الشيخ أحسن سلام وجلس ثم اخذ باحاديث الناس وايام العرب واشعارها حتى سلى مابي من الغضب وظننت ان غلماني تحروا مسرتي بادخاله عليّ فقلت هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي فيه فقلت هل لك في الشراب فقال ذلك اليك. فشربت رطلا وسقيته مثله فقال يا ابا اسحق هل لك ان تغني لنا شيئاً من صنعتك وماقد نفقت به عند الخاص والعام . فغاظني قوله ولكني سهلت على نفسي امره فاخذت العود وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فازداد غيظي لانه سماني ولم يكنني ولم يجمل مخاطبتي ثم قال هل لك ان تزيدنا حتى نكافئك ونغنيك فزاد غيظي ولكني صبرت واخذت العود وغنيته احسن غنائي فطرب وقال احسنت ياسيدي او تأذن لعبدك بالغناء فقلت شأنك . واستضعفت عقله في ان يغني في حضرتي بعد ما سمعه مني فأخذ العود وجسه فوالله لخلته ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعته من صوته ثم تغنى :

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبداً ليست بذات قروح
اباها عليّ الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذي في جوانحي * انين غصيص بالشراب جريح

فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه من حسن غنائه وبقيت مبهوتاً لا استطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة ثم غنى :

الا يا حمامات اللوى عدن عودة * فاني الى اصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدن يمتنني * وكدت باسراري لهن ابين
دعون بترداد الهدير كأنما * سقين حميا أو بهن جنون
فلم ترَ عيني مثلهن حمائماً * بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد والله عقلي ان يذهب طرباً لما سمعت ثم غنى :

الا ياصبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني مسراك وجداً على وجدي
بكيت كما يبكي الحزين صبابة * وذبت من الحزن المبرح والجهد
وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

غنى الشيخ ذلك وقال يا ابراهيم هذا هو الغناء الماخوري فخذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك ثم غاب من بين يدي فقمت الى السيف فجردته وعدوت نحو ابواب الحرم فوجدتها مغلقة فخرجت متحيراً الى باب الدار فوجدته مغلقاً فسألت البواب عن الشيخ فقال لي اي شيخ هو ! والله ما دخل اليك اليوم احد فرجعت لاتأمل أمري فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت يقول لا بأس

ابو محمد اسحق بن ابراهيم الموصلي

بلغ عند العرب شهرة عجيبة شاهدنا آثارها عند الموسيقيين القدماء في مصر والجزائر وتونس.

كان لاسحق مكانة عظمى في سائر العلوم والمعارف فكان شاعراً ومغنياً وعازفاً وملحناً وقد كان صاحب الفضل في توضيح القواعد الموسيقية وتمهيد العقبات لدرس الموسيقى . وقد اجمع معاصروه من موسيقيين ومؤرخين على انه كان امام اهل الفن جميعاً ومعلمهم .

(تابع الهامش)

عليك يا ابا اسحق انا ابليس وكنت جليسك ونديمك اليوم فلا ترع فركبت الى الرشيد ودخلت اليه وحدثته بالحديث فقال ليته امتعنا بنفسه يوماً واحداً كما امتعك

ويقول الاصفهاني لعل ابراهيم صنع هذه الحكاية ليتنفق بها

اجتمع ابراهيم الموصلي وزلزل وبرصوما بين يدي الرشيد فضرب زلزل وزمر برصوما وغنى ابراهيم

صحا قلبي وراغ الي عقلي * واقصر باطلي ونسيت جهلي
رأيت الغانيات وكن خزراً * الي صرمنني وقطعن حبلي

فطرب هرون حتى وثب على رجليه وصاح يا آدم لو رايت من يحضرني من ولدك اليوم لسرك. ثم جلس وقال استغفر الله.

زار ابن جامع يوما ابراهيم فأخرج اليه ثلاثين جارية فضربن جميعاً طريقة واحدة وغنين فقال ابن جامع: في الاوتار وتر غير مستو فاشار ابراهيم لجارية من بين الجواري وقال لها: شدي مثناك فشدته الجارية فاستوى فعجب من حضر اولا لفطنة ابن جامع لوتر غير مستو في مائة وعشرين وتراً ثم ازداد عجبهم من فطنة ابراهيم للوتر بعينه

وكان ابراهيم يهوى جارية اسمها خنث لرجل نخاس اسمه قرين يكنى باني الخطاب وهو مولى العباسة بنت المهدي . وكانت خنث من اجمل النساء واكملهن وكان لها خال فوق شفتها العليا وكانت تعرف بذات الخال ولابراهيم فيها اشعار كثيرة يغني فيها فشهرها بشعره وغنائه وبلغ الرشيد خبرها فاشتراها بسبعين الف درهم .

ولما دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة مرض ابراهيم واشتد امر القولنج عليه ولزمه وكان يعتاده احياناً فقعد في الابزن عن خدمة الخليفة وعن نوبته في دارة وهو يقول في ذلك :

مل والله طبيبي * عن مقاساة الذي بي
سوف انعى عن قريب * لعدو وحبيب

غنى فيه لحناً من الرمل فكان آخر شعر قاله وآخر لحن صنعه .

وركب الرشيد ودخل الى ابراهيم يعوده وهو في الابزن وقال له : كيف انت يا ابراهيم فقال انا والله ياسيدي كما قال الشاعر

سقيم مل منه اقربوه * واسلمه المداوي والحميم

فقال الرشيد انا لله! وخرج فلم يبعد حتى سمع الناعية عليه . ومات ابراهيم الموصلي سنة ثمان وثمانين ومائة .

ولد في سنة ٧٦٧ مسيحية ودرس على ابيه ومنصور زلزل والمغنية عاتكة بنت شهده .

وقد تمتع مثل ابيه بما لايحصى من الهبات والعطايا الكبرى ولكنه كان احسن منه تدبيراً لامواله

وقد انشأ في بغداد مكتبة عظمى

وكان كثير الضن بمصنوعاته الموسيقية يبخل بها حتى على جواريه واشد تلاميذته اخلاصاً له. وكان لاسحق جارية جميلة اسمها دمن(١) حكت مرة لمحمد بن موسى اليزيدي(٢) وقد سألها لحنا مما اخذته بنفسها عن مولاها . فقالت ما اخذت واحدة من جواريه عنه صوتاً قط

وقد احتالت دمن مرة فسمعت اسحق وهو يصنع صوته «الليل لاينتهي . . . .» ثم ترآى لها في غد ان تقدم له دليلا على قوة ذاكرتها فما كاد اسحق يسمع لحنه حتى تملكه الغضب وقاطعها مدة من الزمن .

وقد دعاه امير المؤمنين المعتصم (٣) مرة ليلقي لحناً على طائفة من المغنين فلم يستطع احد منهم اخذ اللحن لكثرة ما أدخل عليه من الزوائد .

وكان الواثق خليفة المعتصم يقول عن اسحق : عند ما اسمع اسحق يخيل اليّ ان ملكي يزداد عظمة وابهة

وقد اباح المعتصم لاسحق ان يتزيا بزيّ رجال القضاء (الفقهاء) وان يجلس في حضرته مع جلساء الخلفاء

وهذه قصة نفيسة يجب معرفتها :

وجه الامير محمد بن الحسن بن مصعب يوماً الى اسحق السؤال الآتي :

اذا ما أضيف الى العود وتر خامس للحصول على الصوت الحادّ الذي تسميه العاشر والاخير في السلم الموسيقي فاين يكون موضع هذا الوتر الخامس الذي يؤدى هذا الصوت .

فلم يحر اسحق جواباً وقال بعد ذلك لاحد اصدقائه :

لقد وجه هذا الرجل اليّ السؤال الذي سمعت مع انه لا يبلغ في العلم مقداراً ليستطيع عنده ان يستنبط مثله ببديهته وانما وقف على ذلك في كتاب من كتب الاوائل . وقد علمت ان لديه من يترجم له الكتب اليونانية في الموسيقى فاذا وصلت يدك الى شيء من ذلك رجوتك ان تعطنيه

ولكن مات اسحق قبل ان يبلغ ما يريد .

وكتاب الاغاني كثير الاعجاب باسحق اذ يقول انه لمن المدهش حقاً ان يستخرج اسحق بطبعه علم الموسيقى وقواعدها المفصلة في كتب اقليدس ومن سبق أو لحق هذا الرياضي الكبير من العلماء ذلك العلم وتلك القواعد التي كانت ثمرة التفكير خلال اجيال طويلة . ويقول كتاب الاغاني أيضاً ان نسبة اسحق الى الموسيقيين الاخرين هي نسبة البحر الى الجدول ونسبة السماء الى الارض .

---

(١) جاء بالفرنسية (Dimm) و تلفظ دم وصحتها دمن (Dimn)

(٢) جاء بالفرنسية (Mohammed Ben Aamma'd) وصحته محمد بن موسى اليزيدي كما جاء في كتاب الاغاني : (Mohammed - Ibn - Moussa - l - Yazidi)

(٣) جاء بالفرنسية «El Motaça» وصحته «Al-Mo'tassim»

ويقول الكتاب المذكور عن اسحق في مكان آخر :

وهو الذي وضع قواعد النغمات (صحح اجناس الغناء) والاوزان في الموسيقى العربيه . وقد رتب النغمات في كتابه بما يوافقها من الاوزان ...... وقد بدأ بميزان الثقيل الاول (البطيء) وجعله نوعين الثقيل الاول (بذاته) والثقيل الاول الاوسط وفي كل من النوعين أوضح النغمات التي اذا وقعت على العود وجب فيها استعمال البنصر وهي ثلاث نغمات الاولى التي تخرج باطلاق الوتر في مجرى البنصر والثانيـة التي تخرج بالبنصر في مجراها والثالثة التي تخرج بالسبابة في مجرى البنصر

ثم رتب بعد ذلك النغمات التي يستعمل فيها الوسطى وهي ثلاث : الاولى التي تخرج باطلاق الوتر في مجرى الوسطى والثانية التي تخرج بالوسطى في مجراها والثالثة التي تخرج بالسبابه في مجرى الوسطى واتبع هذا الترتيب في جميع الاوزان الاخرى .

وهذا الكتاب نموذج في الترتيب والوضوح

اما الكتب الاخرى التي من هذا النوع لبعض موسيقيي ذلك العصر فينقصها شيء كثير من الدقة والوضوح التي امتاز بها كتاب اسحق. ومن اولئك المؤلفين يحيى المكي وكان شيخ الموسيقيين في عصره وله صنعة كثيرة والحان وافرة. وكان ذا مكانة عالية واستاذا راسخاً في العلم اخذ عنه ابن جامع وابراهيم الموصلي واسحق غناء الحجاز. فقد الف يحيى المكي هذا كتاباً جمع فيـه ثلاثة الاف لحن قديمة ثم جاء ابنه احمد والحق فيه تسعة الاف لحن حديثة . فهذا الكتاب الضخم بالرغم من شهرته وانتشاره قد حـوى مالا يحصى من الخلط والاغلاط في النغمات (الاجناس) والتعليمات الخاصـة بالاصابع اللازم استعمالها في كل منها . ومما يدعو الى العجب ان عمرو بن بانة وهو من تلامذة اسحق يستعمل في كتاب له اسماء للاوزان غير مستعملة ولا يذكر من النغمات سوى القليل مع نقص كبير في الشرح والوضوح .

ويقول بعض المؤرخين عن محمد بن الحسن من معاصري اسحق ان اسحق كان يبدأ في اكثر الحانه من الطبقات الحادة فيتهادي بالنغم برهة ثم يهبط رويداً رويداً الى القرار ثم يصعد ثم يهبط ثم يصعد ايضاً خارجاً من شدة الى لين (اي من قوة الى ضعف) ومن لين الى شدة ثم يختم. وكان ذلك الاسلوب هو تمام الاتقان في الصناعة بل الكمال بعينه في الفن. (انتهى كلام صاحب الاغاني)

ولم يكن صوت اسحق على درجة كبيرة من الجمال لذلك كان هو اول من استعمل التخنيث في الغناء. على انه كان عند الدرجة العليا من المقدرة الفنية والذوق السليم فكان اجمل المغنين صوتاً ينهزم امامه

وقد كان ذا علم في مقادير الابعاد الصوتية وقواعد تقسيم الاوتار الى حد كان عنده يستطيع العزف على عود فاسـد التسوية . وكان اذا ما سئل عن ذلك قال اني مارست هذا الفن علماً وعملا مدة عشر سنين فانطبعت في ذهني جميع الاصوات التي يمكن ان تستخرج من الاوتار واصبحت مواضعهـا على الاوتار اكثر الاشياء الفة لاصابعي . وقد قال له الواثق لدى سماعه هذا الكلام « هذا فن سيموت بموتك » وامر له بثلاثين الف درهم.

وقد مات اسحق سنة ٨٥٠ مسيحية فحزن عليه الخليفة المتوكل حزناً شديداً وقال: « ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته » ثم نعي اليه بعده احمد بن عيسى وكان عدوه اللدود فقال «الحمد

لله هذا عوض لما خسرته بموت اسحق (١)

---

(١) اسحق بن ابراهيم الموصلي

(مقتطف من كتاب الاغاني)

قد مضى نسبه مشروحاً في نسب ابيه وهو يكنى ابا محمد. وكان الرشيد مولعاً به فيكنيه ابا صفوان وهذه كنية اوقعها عليه اسحق بن ابراهيم بن مصعب مزحاً . وموضعه من العلم والادب والرواية وتقدمه في الشعر ومنزلته في سائر المحاسن يعجز عنها الوصف . واما الغناء فكان اصغر علومه وادنى ما يوسم به واذ كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه . فانه كان له في سائر علومه نظراء واكفاء الا الغناء فلم يكن له فيه نظير . فقد لحق فيه بمن مضى وسبق من بقي واوضح للناس طريقه وانار لهم سبيله. فهو امام اهل صناعته جميعاً ورأسهم ومعلمهم يعرف ذلك منه الخاص والعام ويشهد له به الموافق والمفارق . على انه كان اكره الناس للغناء واشدهم بغضاً لان يدعى اليه أو يسمى به . وكان يقول : لوددت ان أضرب عشر مقارع كلما طلبت للغناء على ان اعفى منه وان لا ينسبني من يذكرني اليه .وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على السنة الناس وما اشتهر من امر اسحق في الغناء لوليته القضاء بحضرتي فانه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة .

وهو الذي صحح اجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً لم يقدر عليه احد قبله ولا تعلق به احد بعده. ولم يكن قديماً مميزاً على هذا الجنس. انما كان يقال : الثقيل وثقيل الثقيل والخفيف وخفيف الخفيف وهذا عمرو بن بانه وهو من تلاميذه يقول في كتابه : الرمل الاول والرمل الثاني ثم لايزيد في ذكر الاصابع على الوسطى والبنصر ولا يعرف المجاري التي ذكرها اسحق في كتابه مثل ما ميز به الاجناس فجعل الثقيل الاول اصنافاً فبدأ فيه باطلاق الوتر في مجرى البنصر . ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة . ثم جعل الثقيل الاول صنفين : الصنف الاول منهما هذا الذي ذكرناه . والصنف الثاني القدر الاوسط من الثقيل الاول واجراه المجرى الذي تقدم من تمييز الاصابع والمجاري والحق جميع الطرائق والاجناس بذلك واجراها على هذا الترتيب ثم لم يتعلق بفهم ذلك احد بعده . فقد الف جماعة من المغنين كتباً . منهم يحيى المكي وكان هذا شيخ الجماعة واستاذهم وكلهم كان يفتقر اليه ويأخذ عنه غناء الحجاز وله صنعة كثيرة حسنة متقدمة . وقد كان ابراهيم الموصلي وابن جامع يضطران الى الاخذ عنه . الف كتاباً جمع فيه الغناء القديم والحق فيه ابنه الغناء المحدث الى آخر ايامه . فاتيا فيه في أمر الاصابع بتخاليط عظيم حتى جعلا اكثر ما جنساه من ذلك مختلطا فاسداً وجعلا بعضه فيما زعما تشترك الاصابع كلها فيه وهذا محال والكلام في هذا طويل ليس موضعه ههنا وقد ذكرته في رسالة عملتها لبعض اخواني ممن سألني شرح هذا فاستقصيته وأثبته. وهذا كله فعله اسحق واستخرجه بتمييزه حتى اتى على كل ما رسمته الاوائل مثل اقليدس ومن قبله ومن بعده من اهل العلم بالموسيقى ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد افنوا فيه الدهور من غير ان يقرأ لهم كتابا أو يعرفه .

حكى علي بن يحيى المنجم قال كنا يوما عند اسحق بن ابراهيم بن مصعب فسأل محمد بن الحسن

(تابع الهامش)

بن مصعب اسحق قائلا . يا ابا محمد أرأيت لو ان الناس جعلوا للعود وتراً خامسا للنغمة الحادة التي هي العاشرة على مذهبك اين كنت تخرج منه ؟

فبقى اسحق واجماً برهة طويلة مفكراً واحمرت اذناه ثم قال لسائله : الجواب في هذا لا يكون كلاماً انما يكون بالضرب . فاذا كنت تضرب اريتك اين تخرج .

فخجل بن مصعب وسكت عنه مغضباً لانه كان اميراً وقابله اسحق من الجواب بما لا يحسن .

ولما خلا اسحق بابن يحيى المنجم قال له: يا ابا الحسن ان هذا الرجل سألني عما سمعت ولم يبلغ علمه ان يستنبط مثله بقريحته وانما هو شيء قرأه من كتب الاوائل. وقد بلغني ان التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى فاذا خرج اليك منها شيء فاعطنيه . فوعده ابن يحيى بذلك ولكن مات اسحق قبل ان يخرج اليه شيء منها .

وانما قد ذكرت هذا لانه من اعجب ما يؤثر عن اسحق انه استخرج بطبعه علماً رسمته الاوائل لا يوصل الى معرفته الا بعد علم كتاب اقليدس الاول في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ثم تعلم ذلك وتوصل اليه واستنبطه بقريحته فوافق ما رسمه اولئك وسيتضح مما اذكره من اخباره ومعجزاته في صناعته فضله على اهلها وتميزه عنهم وكونه سماء هم ارضها وبحراً هم جداوله

وأم اسحق امرأة من اهل الري يقال لها شاهك .

وكان اسحق يقول : بقيت دهراً من دهري اغلس في كل يوم الى هشيم فاسمع منه ثم أصير الى الكسائي او الفراء او ابن غزالة فاقرأ عليه جزءاً من القرآن ثم آتي منصوراً زلزلا فيضارب بي طرفين او ثلاثة . ثم آتي عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتاً او صوتين ثم آتي الاصمعي وابا عبيدة فاناشدهما واحدثهما فاستفيد منهما . ثم أصير الى ابي فاعلمه ماصنعت ومن لقيت وما اخذت واتغدى معه . فاذا كان العشاء رحت الى امير المؤمنين الرشيد .

وقال اسحق : أخذ مني منصور زلزل الى ان تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة الف درهم سوى ما اخذته له من الخلفاء ومن ابي .

ويروى ان المأمون قال يوماً واسحق غائب من مجلسه: لولا ماسبق على السنة الناس عن اسحق واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء فما اعرف مثله ثقة وصدقاً وعفة وفقها .

روى بعض اصحاب السلطان بمدينة السلام قال. سمعت اسحق الموصلي يقول . دخلت على المأمون يوماً وعقيد (المغني) يغنيه و غيره يضرب عليه . فقال المأمون : يااسحق كيف تسمع مغنينا هذا . فقلت : هل سأل امير المؤمنين عن هذا غيري . قال المأمون : نعم سألت عمي ابراهيم بن المهدي فوصفه وقرظه واستحسنه . فقلت : يا امير المؤمنين ادام الله سرورك وأطاب عيشك ان الناس قد اكثروا في امري حتى نسبتني فرقة الى التزيد في علمي . فقال المأمون لي : لايمنعك ذلك من قول الحق اذا لزمك . فقلت لعقيد أردد الصوت . فردده وتحفظ فيه وضرب ضاربه عليه . فقلت لابراهيم بن المهدي : كيف رأيته ؟. فقال : ما رأيت شيئاً يكره . فاقبلت على عقيد وقلت له : في اي طريقة هذا الصوت الذي غنيته ؟ قال في الرمل . فقلت للضارب : في أي طريقة ضربت انت ؟ قال في الهزج الثقيل

(تابع الهامش)

فقلت يا امير المؤمنين ماعسيت ان اقول في صوت يغني مغنيه رملا ويضرب ضاربه هزجاً وليس هو صحيحاً في ايقاعه الذي ضرب عليه ؟ فتعجب المأمون من ذهاب ذلك على كل من حضر وكناني في ذلك اليوم مرتين .

تناظر المغنون يوماً عند الواثق فذكروا الضراب وحذقهم فقدم اسحق زلزلا على ملاحظ . ولملاحظ في ذلك الرئاسة على جميعهم . فقال له الواثق : هذا حيف منك . فقال اسحق : يامير المؤمنين أجمع بينهما وامتحنهما فان الامر سينكشف لك فيهما . فامر بهما فاحضرا . فقال له اسحق . ان للضراب اصواتاً معروفة أفأ متحنهما بشيء منها ؟ قال اجل افعل. فسمى اسحق ثلاثة اصوات فضربا واحداً منها فتقدم زلزل وقصر عنه ملاحظ . فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد . فقال ملاحظ : ما بالك يا امير المؤمنين يحيلك على الناس . ولم لايضرب هو . فقال اسحق : يا أمير المؤمنين انه لم يكن احد في زماني أضرب مني الا انكم اعفيتموني فتخليت عنه . على ان معي بقية لايتعلق بها احد من هذه الطبقة . ثم قال : ياملاحظ شوش عودك وهاته . ففعل ملاحظ ذلك فاخذ اسحق العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه فغنى عليه ثم قال : ياملاحظ غن ماشئت . فغنى ملاحظ صوتا ضرب عليه اسحق بذلك العود الفاسد التسويه فلم يخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه ويده تصعد وتنحدر على الدساتين فقال له الواثق: لا والله مارايت مثلك ولا سمعت به. اطرح هذا على الجواري . فقال اسحق : هيهات ياامير المؤمنين هذا شيء لاتعرفه الجواري ولا يصلح لهن ولقد بلغني ان الفهليذ ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن فحسده رجل من حذاق اهل صنعته فترقبه حتى قام لبعض شأنه ثم خالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره فرجع فضرب وهو لايدري. والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد الى ان فرغ ثم قام واخبر الملك بالقصة فامتحن الملك العود فعرف مافيه ثم قال . زه وزه وزهان زه. ووصله بصلة كبيرة. فلما وقفت على هذه الرواية أخذت نفسي ورضتها على ذلك وقلت لاينبغي ان يكون الفهليذ اقوى على هذا مني. وما زلت استنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الارض موضع على طبقة من الطبقات الا وانا اعرف نغمته والمواضع التي يخرج منها النغم من اعاليها الى اسافلها وهذا شيء لاتستطيعه الجواري فقال له الواثق : صدقت ولئن متّ لتموتن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين الف درهم

روى محمد بن موسى اليزيدي قال : حدثتني دمن جارية اسحق الموصلي وكانت من كبار جواريه واحظى من عنده . فقلت لها : اي شيء أخذت عن مولاك من الغناء ؟ فقالت ما أخذت انا عنه ولا واحدة من جواريه صوتاً قط . انه كان يبخل بذلك وما اخذت منه قط الا صوتاً واحداً . وذلك انه انصرف من دار الخليفة وهو مثخن سكران فدخل الى البيت فرآى عوداً معلقاً فاخذه بيده وقال لخادمه ياغلام صح لي بدمن فجاءني الغلام فخرجت . فلما بلغت الباب اذا هو مستلق على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده :

الا ليلك لا يذهب * ونيط الطرف بالكوكب
وهذا الصبح لا يأتي * ولا يدنو ولا يقرب

(تابع الهامش)

وقد تنوّق في هذا الصوت وبالغ في تجويده حتى استقام له . اما انا فعلمت اني اذا دخلت اليه أمسك فوقفت استمع حتى فرغ منه ثم وضع العود من يده وتذكر انه طلبني فقال : يا غلام اين دمن فقلت ها اناذا . فقال: منذ كم انت واقفة . فقلت منذ ابتدأت بالصوت وقد اخذته . فنظر الي نظر مغضب آسف ثم قال غنيه. فغنيته حتى استوفيته. فقال لي وقد فتر وخجل: قد بقيت عليك فيه بقية انا اصلحها لك. فقلت لست احتاج الى اصلاحك اياه وقد والله اخذته على رغمك . فضحك .

وروى اسحق مرة لابنه حماد قال : دعاني المأمون وعنده ابراهيم بن المهدي وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشراً عن يمينه وعشراً عن يساره معهن العيدان يضربن بها. فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فانكرته فقال المأمون : يااسحق اتسمع خطأ . فقلت : نعم والله يا امير المؤمنين فقال لابراهيم : هل تسمع خطأ فقال لا. فاعاد المأمون على السؤال فقلت بلى والله يا امير المؤمنين وانه لفي الجانب الايسر. فاعاد ابراهيم سمعه الى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله ياامير المؤمنين مافي هذه الناحية خطأ فقلت : يا امير المؤمنين مر الجواري اللواتي على اليمين يمسكن فامرهن فامسكن. فقلت لابراهيم : هل تسمع خطأ؟ فتسمع ثم قال: ماههنا خطأ. فقلت يا أمير المؤمنين يمسكن و تضرب الثامنة . فامسكن وضربت الثامنة فعرف ابراهيم الخطأ وقال: نعم يا امير المؤمنين ههنا خطأ. فقال المأمون عند ذلك لابراهيم يا ابراهيم لا تماري اسحق بعدها . فان رجلا فهم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقاً لجدير ان لا تماريه . فقال ابراهيم : صدقت يا امير المؤمنين .

وروى احمد بن حمدون قال : سمعت الواثق يقول : ماغناني اسحق قط الا ظننت انه قد زيد لي في ملكي . ولا سمعته يغني غناء ابن سريج الا ظننت ان ابن سريج قد نشر. وقد يحضرني غير اسحق واسحق غائب فيتقدمه عندي ويطيب غناؤه في نفسي حتى اذا حضر اسحق واجتمعا رأيت اسحق يعلو ورأيت من ظننته تقدمه ينقص . ان اسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ بمثلها احد . ولو ان العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكي

سأل اسحق الموصلي المأمون ان يكون دخوله اليه مع اهل العلم والادب والرواة لا مع المغنين فاذا اراده للغناء غناه . فاجابه المأمون الى ذلك . ثم سأله بعد حين ان يأذن له في الدخول مع الفقهاء فاذن له. ورأى علوية المغني مرة اسحق يدخل مع يحيى بن أكثم ويجلسان بين يدي المأمون فكاد ان يجن وقال ياقوم اسمعتم باعجب من هذا . يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغن حتى يجلسا بين يدي الخليفة . ثم مضت على ذلك مدة فسأل اسحق المأمون ان يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة . فضحك المأمون وقال : ولا كل ذا يا اسحق قد اشتريت منك هذه المسئلة بمائة الف درهم . وأمر له بها.

وكان المغنون جميعاً يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم الا اسحق فكان يحضر بلاعود للشرب والمجالسة فان امره الخليفة ان يغني احضر له عوداً فاذا غنى وفرغ سل من بين يديه الى ان يطلبه . وكان الواثق كثيراً مايكنيه. رفعاً له من ان يدعوه باسمه . وكان اذا غنى وفرغ الواثق من شرب قدحه

(تابع الهامش)

قطع الغناء ولم يُعد منه حرفا الا ان يكون في بعض بيت فيتمه ثم يقطع ويضع العود من يده ،

دخل اسحق الموصلي يوماً على محمد بن راشد الخفاف في منزله وقال له . قد جاءت بي اليك حاجة . فقال له قل ما شاء الله. فقال اسحق دعني في بيتك وانطلق انت الى ابراهيم بن المهدي فانه سيسر بك فاشرب معه اقداحاً ثم قل له : ياسيدي اسألك عن شيء من صنعتك في صوتك * ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبت مني * ففي الغناء تمدّ تاء ذهبتُ فتقول (ذهبتوا) بالواو . فان قلت ذهبت ولم تمدها انقطع اللحن وان مددتها قبح الكلام وصار على كلام النبط . فقال ابن راشد لاسحق. ياابا محمد كيف اخاطب ابراهيم بهذا . فقال اسحق. هو حاجتي اليك وقد كلفتك اياها فان استحسنت ان تردني فانت اعلم. فقال محمد ابن راشد أفعل ذلك لموضعك عندي. ثم ذهب الى ابراهيم وجلس عنده مليا وتجاريا الحديث الى ان خرجا الى ذكر الغناء. فخاطبه ابن راشد بما قال له اسحق فتغير لون ابراهيم وانكسر ثم قال. يامحمد ليس هذا من كلامك بل من كلام الجرمقاني بن . . . قل له عني انتم تصنعون هذا للصناعة ونحن نصنعه للهو واللعب والعبث.فاستاذن ابن راشد وعاد الى اسحق فحدثه بما جري .

روى عجيف ابن عنبسة قال : كنت عند امير المؤمنين المعتصم وكان عنده اسحق الموصلي يغنيه .

قل لمن صدَّ عاتبا * ونأى عنك جانباً
قد بلغتَ الذي ارد . . تَ وان كنت لاعباً

فامره المعتصم باعادته ثلاثاً وشرب عليه ثلاثاً . فقال ابراهيم بن المهدي قد استحسنت هذا الصوت يا امير المؤمنين أفنأخذه . قال نعم خذوه فقد اعجبني فاجتمع جماعة المغنين مخارق وعلوية وعمرو بن بانة ومحمد بن الحرث بن بشخير وغيرهم . فامر المعتصم اسحق ان يلقيه عليهم حتى يأخذوه . قال عجيف فعددتُ خمسين مرة قد اعاده فيها عليهم وهم يظنون انهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه لكثرة زوائده فيه وقد قال بن بشخير في ذلك ومن يقدر ان يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً

روى محمد بن المكي المرتجل قال : قلت لزرزور الكبير كيف كان اسحق يتفوق عليكم عند الخلفاء وانت وابراهيم بن المهدي ومخارق اطيب اصواتاً واحسن نغمة . قال . كنا والله يابني نحضر معه فنجتهد في الغناء ونقيم الوهج فيه ويقبل علينا الخلفاء حتى نطمع في اسحق ونظن انا قد غلبناه . فاذا غنى عمل في غنائه اشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ويقبل عليه الخليفة دوننا ويصغى اليه ويجيزه ونرى انفسنا اضطراراً دونه .

وقال احمد المكي حدثني ابي قال . كان المغنون يجتمعون مع اسحق وكلم احسن صوتاً منه ولم يكن فيه عيب الا صوته فيطمعون فيه فلا يزال بلطفه وحذقه ومعرفته حتى يغلبهم وينبذهم جميعاً ويفضلهم ويتقدمهم قال وهو اول من احدث التخنيث ليوافق صوته ويشاكله فجاء معه عجباً من العجب . وكان في حلقه نبو عن الوتر .

(تابع الهامش)

وقال ابو العنبس بن حمدون ان اسحق اول من جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يعرف وانما احتال بحذقه لمنافرة حلقة الوتر حتى صار يجيبه يعض التخنيث فيكون احسن له في السمع .

وروى جحظة عن الهشامي قال . كان المغنون اذا حضروا وليس اسحق معهم غنوا هوينا وهم غير مفكرين فاذا حضر اسحق لم يكن الا الجد

قال اسحق كان المغنون يحسدونني مذ كنت غلاماً فلما مات ابي صنعت هذا الصوت وهو اول صوت صنعته بعد وفاته .

أمن آل ليلى عرفت الطلولا * بذي حرض ماثلات مثولا

فقالوا للرشيد . هذا من صنعة ابيه قد انتحله لنفسه . فقال لي الرشيد في ذلك فقلت . هذا ومائة صوت بعده خير منه لهم . فقال الرشيد . اصنع في شعر الاخطل

اعاذلتيَّ اليومَ ويحكما مهلا وكفا الاذى عني ولا تكثرا العذلا

دعاني تجد كفي بمالي فانني ساصبح لا استطيع جوداً ولا بخلا

فصنعت فيه كما امرني فلما سمعوا بذلك وماجاء بعده اذعنوا وزال عن قلب الرشيد ما ظنه بي

وقال عافية بن شبيب يوما لزرزور . مالكم تذلون لاسحق هذا الذل ومافيكم احد الا هو اطيب صوتا منه ومافي صنائعكم وصمة . فقال زرزور له . لا تقل ذلك فوالله لو رأيتنا معه لرحمتنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرصاص في النار .

يقول صاحب « الاغاني » : قرأت في بعض الكتب ان محمد بن الحسن اظنه ابن مصعب ذكر اسحق الموصلي فقال: كانت صنعته محكمة الاصول ونغمته عجيبة الترتيب وقسمته معدلة الاوزان وكان يتصرف في جميع بسط الايقاعات فاي بساط منها اراد ان يتغنى فيه صوتاً قصد اقوى صوت جاء في ذلك البساط لحذاق القدماء فعارضه . وقد كان يذهب مذهب الاوائل ويسلك سبيلهم ويقتحم طرقهم فيبني على الرسم فيصنعه ويحتذي على المثال فيحكمه فتأتي صنعته قوية وثيقة . . . . . . وكان حسن الطبع في صياحه حسن التلطف لتنزيله من الصيَّاح الى الاسجاح على ترتيب بنغم يشاكله حتى تعتدل وتتزن اعجاز الشعر في القسمة بصدوره . ومذهبه في اكثر غنائه ان يبدأ الصوت من الصيَّاح حتى لقبه المغنون الملسوع ، ثم يرد نغمته فيرجحها ترجيحاً وينزلها تنزيلا حتى يحطها من تلك الشدة الى ما يوازيها من اللين . ثم يعود فيفعل مثل ذلك فيخرج من شدة الى لين ومن لين الى شدة . وهذا أشد ما يأتي في الغناء وأعز ما يعرف من الصنعة

وقال يحيى بن علي بن يحيى وقد ذكر اسحق في كتابه الذي الف في أخباره : وكان اسحق اعلم اهل زمانه بالغناء وانفذهم في جميع فنونه واضربهم بالعود وبا كثر آلات الغناء واجودهم صنعة وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه . وعارض ابن سريج ومعبداً فانتصف منهما وكان ابراهيم المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولكنه لم يبلغه فيها . ولم يكن بعد اسحق مثله.

(تابع الهامش)

وكان اسحق ضعيف البصر والسبب في علته ان ابراهيم بن أبي سلمه وصيف الرشيد نازع اسحق في شيء من الغناء بين يدي الرشيد فرد اسحق عليه فشتمه فرد عليه اسحق واربى في الرد. فخرج ابراهيم ووقف له على طريقه فلما جاز عليه منصرفاً ضرب رأسه بمقرعة فيها معول فكان ذلك سبب ضعف بصره وبلغ الرشيد الخبر فامر بان يحجب عنه ابراهيم وحلف أن لايدخل عليه أو يرضى عنه حتى يرضى اسحق ثم رضي اسحق فرضي عنه الرشيد .

حكى اسحق قال : لم ار قط مثـل جعفر بن يحيى. فقد كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن من الادب والفتوة . حضرت يوماً باب امير المؤمنين الرشيد فقيل لي أنه نائم فانصرفت : فلقيني جعفر بن يحيى . فقال لي ما الخبر . فقلت أمير المؤمنين نام . فقال قف مكانك ومضى الى دار امير المؤمنين فخرج اليه الحاجب فاعلمه أنه نائم . فخرج اليَّ وقال لي قد نام امير المؤمنين فسر بنا الى المنزل حتى نخلو بقية يومنا وتغنيني واغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا . قلت نعم فصرنا الى منزله فطرحنا ثيابنا ودعا بالطعام فاكلنا وأمر باخراج الجواري وقال لتبرزن فليس عندنا من تحتشمن منه. فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق به ثم دعا لي بمثل ذلك وجعل يغنيني واغنيه ثم دعا بالحاجب فتقدم اليه وامره بان لا يأذن لاحد من الناس كلهم وأن جاء رسول امير المؤمنين ان يعلمه أنه مشغول وان يحتاط في ذلك وان يتقدم فيه الى جميع الحجاب والخدم ثم قال ان جاء عبد الملك فاذنوا له . وهو يعني رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته . ثم أخذنا في شأننا فوالله انا لعلى حالة سارة عجيبة اذ رفع الستر واذا عبدالملك بن صالح الهاشمي قد أقبل وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى . وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي من جلالة القدر والتقشف وفي الامتناع من منادمة امير المؤمنين على امر جليل وكان امير المؤمنين قد أجتهد به أن يشرب معه أو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رفعاً لنفسه . فلما رأيناه مقبلا أقبل كل واحد منا ينظر الى صاحبه وكاد جعفر أن ينشق غيظاً . وفهم الرجل حالنا فاقبل نحونا حتى اذا صار الى الرواق الذي نحن فيه نزع قلنسيته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ثم قال اطعمونا شيئاً. فدعا له جعفر بالطعـام وهو منتفخ غضباً وغيظاً . فاكل ثم دعا برطل فشربه ثم اقبل الى المجلس الذي نحن فيه وقال اشركونا فيما انتم فيه . فقال له جعفر ادخل. ثم دعا بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق. ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة ارطال. ثم اندفع يغنينا فكان والله احسننا جميعاً غناء. فلما طابت نفس جعفر وسرى عنه ما كان به التفت الى عبد الملك وقال : ارفع حوائجك . فقال ليس هذا موضع حوائج . فقال جعفر لتفعلن ولم يزل يلح عليه حتى قال له : أن امير المؤمنين عليَّ واجد فاحب أن تترضاه. فقـال جعفر : فان امير المؤمنين قد رضي عنك فهات حوائجك . فقال عبد الملك هذه كانت حاجتي . قال جعفر ارفع حوائجك كما أقول لك . قال عليَّ دين فادح . قال جعفر هذه اربعة آلاف الف درهم فان احببت ان تقبضها فاقبضها

(تابع الهامش)

من منزلي الساعة وما يمنعني من اعطائك اياها الا أن قدرك يجل على أن يصلك مثلي ولكني ضامن لها حتى تحمل من مال أمير المؤمنين غداً فسل ايضاً . فقال عبد الملك تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسم ابني قال جعفر قد ولاه أمير المؤمنين مصر وزوجه بنته العالية ومهرها الفي الف درهم . قل اسحق فقلت في نفسي قد سكر جعفر . فلما اصبحت لم تكن لي همة الا حضور دار الرشيد . واذا جعفر بن يحيى قد بكر ووجدت في الدار جلبة واذا ابو يوسف القاضي ونظراؤه قد دعا بهم ثم دعا بعبد الملك بن صالح وابنه فادخلا على الرشيد. فلما خرج جعفر بن يحيى سألته عن الخبر فقال بكرت على أمير المؤمنين فحكيت له ما كان منا وما كنا فيه حرفاً حرفاً ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع فعجب لذلك وسر به ثم قلت له قد ضمنت له عنك يا أمير المؤمنين ضماناً فقال ما هو فاعلمته . فقال اوف له بضمانك وامر باحضاره وتم له جميع ما طلب .

حكى يزيد بن محمد المهلبي قال : كنت عند الواثق فغنته قينة اسمها شجي وهبها له اسحق هذا الصوت والغناء لاسحق :

الطلول الدوارس . فارقتها الاوانس

اوحشت بعد اهلها . فهي قفر بسابس

فقال الواثق لمخارق وعلوية والله لو عاش معبد ما شق غبار اسحق في هذا الصوت فقالا له على غير رضى منهما أنه لحسن يا أمير المؤمنين. فغضب الواثق وقال ليس عندكما فيه الا هذا . ثم أقبل على محمد بن المكي فقال دعني من هذين الاحمقين . أن أول بيت في هذا الصوت اربع كلمات . الطلول كلمة والدوارس كلمة وفارقتها كلمة والاوانس كلمة فانظر هل ترك اسحق شيئاً من الصنعة يتصرف فيه المغني لم يدخله في هذه الكلمات الاربع لقد بدأ بها نشيداً وتلاه بالبسيط وجعل فيه صياحاً واسجاحاً وترجيجاً للنغم واختلاسا فيها وعمل هذا كله في اربع كلمات فهل سمعت احداً تقدم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه فقال صدق أمير المؤمنين فقد لحق اسحق من قبله وسبق من بعده .

وقد توفي اسحق ببغداد في أول خلافه المتوكل وقد ذكر في خبر موته أنه كان يسأل الله أن لا يبتليه بالقولنج لما رأى من صعوبته على ابيه فرآى في منامه كأن قائلا يقول له قد أجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج ولكنك تموت بضده . فاصابه ذرب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين فكان يتصدق في كل يوم امكنه أن يصومه بمائة درهم ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه ومات في شهر رمضان .

ونعي اسحق الى المتوكل فغمه وحزن عليه وقال قد ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه . وزينته ثم نعي اليه بعده احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فقال تكافأت الحالتان وقام الفتح بوفاة احمد وما كنت آمن وثبته عليَّ مقام الفجيعة باسحق فالحمد لله على ذلك

(المعرب)

ابراهيم ابن المهدي

هو ابراهيم بن المهدي حفيد ابي جعفر المنصور الثاني من خلفاء العباسيين . لم يكن ابراهيما من طائفة الموسيقيين اهل المهنة ولكنه ترك للتاريخ ذكرى امير شغف بالموسيقى وغريد من ذوي الاصوات الفتانة ومن الامثال التي كانت تجري على السنة العامة في طرقات بغداد والتي نجدها في مواضع كثيرة من كتاب الاغاني : انه لم يسمع لاقبل الاسلام ولابعده من كان احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته عليّه

وقد كان من جراء شغفه هذا بالموسيقى وبالموسيقيين ان حمل عليه رجال الدين والمحافظين حملات شديدةأوسعوه فيها نقداً ولوماً وهجواً. وقد هجاه مرة بشار بن برد بشعر في هذا المعنى : ايها العرب لقد ضاعت خلافتكم . التمسوا خليفة النبي بين العيدان والمزامير (١)

وكان ابراهيم بن المهدي يتقلب تارة وتاره بين حالتي البخل والتبذير وقد اشتهر بحسده للمتفوقين من رجال الفن وبغيرته ممن يصيب منهم مبلغاً من النجاح فلم يكن يعرف هل هو فرد من الافراد ام امير من الامراء ولكنه كان مغنياً مدهشاً. ويزعم انه كان يستطيع الغناء من طبقة الآلة الموسيقية التي كان يستعملها ثم من صياحها اي من جوابها ثم من طبقة الوتر الغليظ فيها ثم من الديوان الغليظ

ويقول صاحب الاغاني : كان محمد بن موسى المنجم يقول : اذا ابتدأ ابراهيم بن المهدي يغني في مجالس الخلفا لم يبق في القصر من الخدم والعبيد واصحاب الصناعات والمهن والصغار والكبار احد الاترك مافي يده من الاعمال واقترب من اقرب مكان يمكنه فيه ان يسمعه مرهفاً سمعه حابساً انفاسه كي لايفوته نبرة واحدة من نبران صوته . حتى اذا ما انجز غناءه واخذ مكانه مغن آخر تراجعوا جميعهم كل الى عمله ولم يلتفتوا اليه . واي دليل على ذلك الجمال الصوتي الذي كان يمتاز به اشد من تلك الطبائع الخشنة المجرده من كل تهذيب التي كان يسحرها ويشجيها ويجتذبها بصوته العجيب

وينسب صاحب الاغاني لابراهيم حادثا من نوع الحادث المنسوب في التاريخ الخيالي الى اورفي Orphée فيقول أن الاسد والنمور التي كانت في حديقة الخليفة كانت اذا سمعته يغني مدت اعناقها واخذت في الاقتراب شيئاً فشيئاً في اقفاصها حتى اذا بلغت الحواجز الحديدية فيها اسندت رؤوسها الى القضبان

---

(١) لم يقل بشار ابن برد ذلك في ابراهيم بن المهدي بل قاله في يعقوب بن داود وزير المهدي نفسه يهجوه به وهذا هو الشعر .

بني امية هبوا طال نومكم ☆ ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ☆ خليفة الله بين الزق والعود

(انظر كتاب الاغاني . الجزء الثالث ص ٦٧و٦٨ اخبار بشار بن برد)

(المعرب)

ولبثت مصغية حتى اذا ما انتهى الغناء وانقطع الصوت عادت الى ابعد مكان من اقفاصها .

وقد كان ابراهيم من امهر العزاف أيضاً : ويقول صاحب الاغاني انه كان من أعلم الناس بالصوت والوتر والايقاع. على ان القيمة الحقيقة لشخصيته التاريخية تنحصر في تلك المنازعات والمنافسات التي قامت بينه وبين اسحق الموصلي. تلك المنازعات والمنافسات التي اصطدم فيها مذهبان مختلفان: مذهب المدرسة القديمة التي كانت تعتبر ان كل مخالفة لقانون الاغاني القديمة جريمة . ومذهب المدرسة الحديثة التي كانت تتصرف بحسب اغراضها باقدس القواعد الموسيقية التي تركها السلف

فابراهيم كان كثيراً ما يحذف أو يخفف من الغناء القديم واذا عيب ذلك عليه قال . انا ملك وابن ملك اغني كما اشتهي وما يطيب لي غناؤه . او يقول. انما اصنع ذلك تطرباً لا تكسباً واغني لنفسي لا للناس فاعمل ما اشتهي

وقد سمعه مرة صديق له يغني لحنا لمعبداً قد غير فيه فقال له : اني لم اسمع معبداً يغني لحنه على هذا المثال . فرد عليه ابراهيم قائلا : صدقت يا صديق فقد خففت ما في هذا اللحن من صعوبات . ولقد كان معبد امهر مني وما كان لي نصف ما كان له من اقتدار

وصاحب الاغاني يندد كثيراً باعمال هؤلاء المجددين الذين لم يحترموا اعمال السابقين ويتلاعبون بما صنعوا . فيقول في الجزء التاسع تحت عنوان « صنعة اولاد الخلفاء الذكور منهم والاناث » ما يأتي :

« ولقد ساعدهم على سلوك هذا الطريق بعض الخاملين من هواة الموسيقي ممن يلتمسون في الغناء الصنف الخفيف ويكرهون ماثقل عمله وثقلت إدواره (اي ما كانت موازينة الموسيقية من النوع الكبير الثقيل البطيء) لعجزهم عن تاديته . يتبع هؤلاء بعض الجهلاء ممن لايريدون ان يبذلوا في سبيل درس الغناء ما يستحقه من وقت ومن مجهودات . وهذا هو اصل الانقلاب الذي حدث في فن ذلك العصر وسبب نسيان اساتذه الفن الاقدمين . فكان الاستاذ اذا غير الغناء اقتدى به تلميذه وهكذا بالتوالي . فتداول التغيير الى حد كان يمكن ان يبلغ عنده تسع طبقات (١) حتى اصبح من المستحيل اليوم القاء لحن قديم على اصله .

وممن غير القديم بنو حمدون بن اسماعيل(٢) الذين أخذوا العلم عن مخارق. وما نفع الله احداً قط أخذ عن هذا الاستاذ : ثم زريات المغنية المفضلة عند الواثق بالله . وممن عارض هؤلا واحترم الفن القديم علما وعملا عريب وزمرتها من المغنيات اللواتي نشأن في مدرستها. وابن زرزور وبذل ومن اخذ عنها وجواري البرامكة . على ان الايام لم تبق على احد من هاتين الطائفتين وسواء منهم المحافظ والمجدد فقد طوتهم

---

(١) ورد في « الاغاني » خمس طبقات فقط

(٢) جاء بالفرنسية هكذا: **la famille de Handounb; Ismail** وهذا خطأ وصحته كما ذكرنا في المتن:

la famille Hamadoun Ibn Ismail

الليالي غير تاركين لنا الا بضعة من الكتب لها تين المدرستين الكبيرتين اللتين كان تنازعهما سبباً في طمس طور من اهم اطوار التاريخ الفني »

ولقد كان الخلاف بين ابراهيم واسحق بنوع خاص في المسائل المتعلقة بالاجناس والمقامات (١) فابراهيم كان يسمي الطريقة الاولى ما كان يسميه اسحق الطريقة الثانية والعكس بالعكس وكانت الناس من حولهم لايفهمون شيئاً وقد قال لهما مرة عمر بن بانه (٢) مع العلم بانه من طبقة المتفوقين في الموسيقى : اذا كان غناؤكما مثل حديثكما لما فهمنا منه جميعاً حرفاً واحداً .

وقد كتب ابراهيم بذاته يوماً لاسحق يقول له : من عسى ان يحكم فيما بيننا والجميع حمير

على ان اسحق الموصلي كان كثيراً ما يحرج موقف ابراهيم بن المهدي ويضيق عليه المسالك . فمن ذلك يوم كان عقيد يغني عند الخليفة المنصور يصحبه بالعود احد ضراب القصر فسأل الخليفة ابراهيم بن المهدي عن رايه في هذا الغناء فقال ليس فيه مايعاب لافي الغناء ولا في العزف وكان اسحق الموصلي حاضراً ايضاً فسأل عقيداً في أي طريقة هذا الصوت . قال في الرمل : فقال اسحاق للضارب . في أي طريقة ضربت . قال في الهزج الثقيل . فقال اسحق يا امير المؤمنين ماذا عسيت أن أقول في غناء يغنيه مغنيه من طريقة ويضربه ضاربة من طريقة أخرى .

يتضح من ذلك ان هذين المتناظرين قضيا العمر جميعه في تنازع وجدال فلم يتفقا لا على الاجناس ولا على المقامات ولا على قواعد تقسيم وتفصيل الجمل الموسيقية

ومات ابراهيم بن المهدي في شهر اغسطس سنة ٨٣٩ مسيحية (الموافقة لسنة ٢٢٤ هجريه) (٣)

---

(١) لم يكن الخلاف المقصود هنا في المسائل المتعلقة بالاجناس والمقامات كما جاء بالفرنسية بل في المسائل المتعلقة بالايقاع. وصحة الخبر ان ابراهيم بن المهدي كان يسمى الثقيل الاول وخفيفه بالثقيل الثاني وخفيفه والعكس بالعكس (انظر « الاغانى » ج ٩ ص ٤٦) (المعرب)

(٢) جاء بالفرنسية: fils de Danah وهذا يلفظ بن دانه وصحته fils de Banah كما ذكرناه في المتن

(المعرب)

(٣) ابراهيم ابن المهدي

(مقتطف من كتاب الاغاني)

ويكنى ابا اسحق . وامه اسمها شكلة وهي مولدة . وكان ابوها من اصحاب المازيار (؟) يقال له شاه افرند فقتل وسبيت بنته شكلة فحملت الى المنصور فوهبها لحياة أم ولده فربتها وبعثت بها الى الطائف

(تابع الهامش)

فنشأت هناك وتفصّحت فلما كبرت ردّت اليها فرآها المهدي عندها فاعجبته فطلبها من محياة فاعطته اياها فولدت منه ابراهيم .

وكان ابراهيم في اول امره يستتر في الغناء ويترفع عن الظهور به فلا يغني الا في خلوة عند الرشيد أو الامين من بعده فلما امنّه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته وكان يخرج من عنده ثملاً مع المغنين . ويقال انه كان يفعل ذلك خوفاً على نفسه من المأمون لئلا يظن انه طامع في الخلافة متظاهراً انه قد خلع ربقة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لايصلح لها

وكان ابراهيم رجلا عاقلا فهماً ديناً اديباً شاعراً راوية للشعر ولايام العرب خطيباً فصيحاً حسن العارضة . وهو اشهر اولاد الخلفاء الذكور منهم والاناث ذكراً في الغناء واولهم واتقنهم صنعة فيه . وكان اسحق الموصلي بالرغم مما كان بين الاثنين من منازعات ومجادلات يقول ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس رجلا افضل من ابراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ماتبذّل له من الغناء فقال وهل تم فضله الا بذاك .

وكان ابراهيم من اعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات واطبعهم في الغناء واحسنهم صوتاً وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة وكان المعدودون فيه في الدولة العباسية ابن جامع وعمر بن ابي الكنات وابراهيم بن المهدي ومخارق وهؤلاء من الطبقة الاولى.على ان ابرهيم مع علمه وطبعه كان مقصراً عن اداء الغناء القديم وان ينحوه في صنعته.فكان يحذف نغم الاغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويخففها ليستطيع اداءها فاذا ما عيب ذلك عليه قال :انا ملك وابن ملك اغني كما اشتهي وعلى ما التذ .

فهو أول من أفسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً الى الجسارة على تغييرة . فالناس الى الآن صنفان من كان منهم على مذهب اسحق واصحابه ممن كان ينكر تغيير الغناء القديم ويقبّح الاقدام عليه ويعيب من فعله . ومن اخذ بمذهب ابراهيم بن المهدي او اقتدى به مثل مخارق وشارية وريق ومن اخذ عنهم ويجدون على ذلك مساعدين ممن يشتهي ان يقرب عليه مأخذ الغناء ويكره ما ثقل منه وثقلت ادواره وقد اطرد هذا التغيير من طبقة الى طبقة حتى مضى على ذلك خمس طبقات أو نحوها . فلم يبلغ الى الناس في عصرنا هذا من هذه الجهة غناء قديم على حقيقته البته وممن أفسد هذا الجنس خاصة بنو حمدون بن اسماعيل واصلهم فيه مخارق . وما نفع الله احداً قط بما اخذ عنه . وزريات الواثقية وكانت تغير الغناء كما تريد . وجواري شارية وريق . يقابلهم من أنصار القديم عريب وزمرتها ممن نشأن في مدرستها وجواريها والقاسم بن زرزور وولده وبذل الكبرى ومن اخذ عنها وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن معاذ وآل الربيع وزمرتهم ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغناء القديم وحمله كما سمعه . فعسى ان يكون قد بقي ممن أخذ بذلك المذهب قليل من كثير على ان الجميع من الصحيح والمغير قد انقضى في عصرنا

(تابع الهامش)

هذا . ومن مشهور غناء ابراهيم بن المهدي :

هل تطمسون من السماء نجومها * باكفكم او تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة من ربكم * جبريل بلغها النبي فقالها

طرقتك زائرة فحي خيالها * زهراء تخلط بالدلال جمالها

وكان ابراهيم من اشد خلق الله اعظاماً للغناء واحرسهم عليه واشدهم منافسة فيه وكانت صنعته لينة فكان اذا صنع شيئاً نسبه ألى شاربه وريق لئلايقع عليه فيه طعن أو تعريع فقلّت صنعته في أيدي الناس مع كثرتها وكان اذا قيل له فيها شيء قال انما اصنع تطرباً لاتكسباً واغني لنفسى لا للناس فاعمل ما اشتهي .

وكان حسن صوته يسترعوار ذلك كله وكان الناس يقولون : لم يرَ الناس في جاهلية ولا اسلام اخاً واختاً احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته علية .

وكان ابراهيم يجادل اسحق الموصلي ولكنه كان دواماً مغلوباً امامه وكم فضحه اسحق واغصّه بريقه بما يظهر عليه من سقطات وما يبينه من خطئه ومن عجزه عن معرفة الخطأ الغامض اذا مرّ به ومن قصوره عن اداء الغناء القديم ، ومما خالف فيه اسحق الثقيلان وخفيفهما فانه سمى الثقيل الاول وخفيفه الثقيل الثاني وخفيفه وسمى الثقيل الثاني وخفيفه الثقيل الاول وخفيفه اي العكس بالعكس . وقد جرت بينهما في ذلك مناظرات ومجادلات ومراسلة ومكاتبة ومشافهة وحضرهما الناس فلم يكن فيهم من يفي بفصل ما بينهما والحكم لاحدهما على صاحبه حتى لقد كتب اسحق مرة لابراهيم في ذلك يقول له: والناس في هذا بيني وبينك بهائم . على ان قول ابراهيم بن المهدي اضمحل وبطل وترك وعمل الناس على مذهب اسحق لانه كان اعلم الرجلين واشهرهما. وقد اوضح اسحق ايضاً وجوها فقال ان الثقيل الاول يجيء منه قدران . الثقيل الاول التام والقدر الاوسط من الثقيل الاول . وجميعاً طريقته واحدة لاتساعه والتمكن منه . والثقيل الثاني لا يجيء هذا فيه ولا يقاربه . والثقيل الاول يمكن الادراج في ضربه لثقله : والثقيل الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في اخبارهما وشرحت العلل مبسوطة في كتاب الفته في النغم شرحاً ليس هذا موضعه. اما التجزئة والقسمة فانهما افنيا اعمارهما في تنازعهما فيها حتى كان يمضي لهما الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمة وتجزئه صوت واحد . وقد ماتا وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته :

حييا أم يعمرا * قبل شحط من النوى

ولم يفصل بينهما فيه الى ان افترقا . ولو ذهبت الى ذكر ذلك وشرح سائر اخبار ابراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلافة وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان وحسن البيان وجودة الشعر ورواية العلم والمعرفة بالجدل وجزالة الرأي والتصرف في الفقه واللغة وسائر الآداب الشريفة والعلوم النفيسة لاطلت

(تابع الهامش)
وانما الغرض في هذا الـكتاب الاغاني أو ما جرى مجراها .

قال ابراهيم بن المهدي مرة لحمدون بن اسماعيل : لولا اني ارفع نفسي عن هذه الصناعة لاظهرت فيها ما يعلم الناس معة أنهم لم يروا قبلي مثلي

روى يحيى بن المنجم عن عبيدالله بن عبدالله بن طاهر عن اسحق بن عمر بن بزيغ قال: كنت اضرب على ابراهيم بن المهدي ضرباً فغناه على اربع طبقات. على الطبقة التي كان العود عليها وعلى ضعفها وعلى اسجاحها وعلى اسجاح الاسجاح. وقال بعضهم هذا شيء ما حكي لنا عن احد غير ابراهيم وقد تعاطاه بعض الحذاق فوجده صعباً متعذرا لايمكن بلوغه الا بالصوت القوي واشدما في اسجاح الاسجاح لان الضعف نفسه لا يمكن بلوغه الا بصوت قوي دقيق حاد فاذا دقّ حتى يبلغ الاضعاف لم يقدر على الاسجاح فضلا عن اسجاح الاسجاح .

قال محمد بن سليمان بن موسى الهادي دعاني ابراهيم بن المهدي يوماً فصرت اليه وغنى صوتاً لمعبد :

افي الحق هذا انني بك مولع * وان فوادي نحوك الدهر نازع

فقال لي ابرهيم لمن هذا الغناء فقلت يا سيدي يقولون انه لمعبد ولا غنى والله معبد كذا قطا ولا سمعت احداً يقول كذا . لا والله ما في الدنيا كذا . فضحك ابرهيم وقال والله يا بني ما قمت بنصف ما كان يقوم به معبد .

حدث يحيى بن علي بن يحيى قال كتب اسحق الى ابراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه واصبعه ومجراه واجزاء لحنه فغناه ابراهيم من غير ان يسمعه فادى ما صنعه .

وحكى الحسين بن يحيى ابو الجمان ان اسحق بن ابراهيم لما صنع صوته: * قل لمن صدعا تبا * اتصل خبره بابراهيم بن المهدي فكتب يسأله عنه فكتب اليه بشعره وايقاعه وبسيطه ومجراه واصبعه وتجزئته واقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير اوزانه فغناه

كان احمد بن ابى داود يعيب الغناء ويطعن على اهله فدخل يوماً على المعتصم وكان ابراهيم ابن المهدي عمه يغني :

طرقتك زائرة فحيّ خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها
هل تطمسون من السماء نجومها * باكفكم أو تسترون هلالها

فبلغ الطرب باحمد بن ابى داود منتهاه ورجع عن رايه منذ ذلك اليوم .
وقال ابن ابي طيبه كنت اسمع ابراهيما بن المهدي يتنحنح فاطرب .

دعى ابراهيم بن المهدي ذات يوم كل مطرب محسن من المغنين وجلس يلاعب احدهم بالشترنج فترنم احدهم بصوت وهو متكيء فلما فرغ منه ترنم به مخارق فاحسن فيه واطرب الحاضرين فاعاده ابراهيم وزاد في

(تابع الهامش)

صوته فعفى على غناء مخارق فلما فرغ ردّه مخارق وغنى فيه بصوته كله وتحفظ فيه فكاد الجمع يطير سروراً فاستوى ابراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كله ووفاه نغمه وشذوره وكانت كتفاه تهتزان وبدنه اجمع يتحرك حتى فرغ منه ومخارق شاخص نحوه يرعد وقد امتقع لونه واختلجت اصابعه وقد خيل للحاضرين ان الايوان يسير بهم فلما فرغ ابراهيم من الصوت تقدم اليه مخارق فقبل يده وقال جعلني الله فداك اين انا منك ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه .

كان الخليفة محمد الامين ذات يوم في حديقة الحيوان فدخل عليه ابراهيم ابن المهدي وغناه على اشد طبقة يتناهى اليها في العود فكان اذا ابتدأ يغني اصغت الوحش اليه ومدت اعناقها ولم تزل تدنو منه حتى تكاد ان تضع رؤوسها على حاجز المكان الذي كان يغني فيه فاذا سكت نفرت وبعدت

قال اسحق الموصلي مرة ليس فيمن يدعي العلم بالغناء مثل ابراهيم بن المهدي وابي دلف القاسم بن عيسى العجلي . فقيل له فابن محمد بن الحسن بن مصعب منهما . فقال لو قيل ان محمد بن الحسن يبصر الغناء لكان ينبغي ان تقول وكيف يبصر الغناء من نشأ بخراسان لايسمع من الغناء العربي الا ما لا يفهمه .

قال عمرو بن بانه : رأيت اسحق الموصلي يناظر ابراهيم بن المهدي في الغناء فتكلما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئاً فقلت لهما لئن كان ما انتما فيه من الغناء فما نحن منه لافي القليل ولا في الكثير .

حكى ابراهيم بن المهدي قال حججت مع الرشيد فلما صرنا بالمدينة خرجت ادور في عرصاتها فانتهيت الى بئر وقد عطشت وجارية تستقي منها . فقلت ياجارية امنحي لي دلواً . فقالت انا والله عنك في شغل بضريبة لمواليّ : فنقرت بسوطي على سرجي وغنيت .

رام قلبي السلوّ عن اسماء * وتعزى ومابه من عزاء
سخنة في الشتاء باردة الصيف سراج في الليلة الظلماء
كفناني ان مت في درع اروى * وامنحالي من بئر عروة مائي

فرفعت الجارية رأسها وقالت : اتعرف بئر عروة ؟ قلت لا : قالت هذه والله هي . ثم سقتني حتى رويت وقالت ان رأيت ان تعيده . ففعلت فطربت وقالت والله لاحملن قربة الى رحلك . فقلت افعلي ففعلت وجاءت معي تحملها فلما رأت الجيش والخدم فزعت . فقلت لها لا بأس عليك . وكسوتها ووهبت لها دنانير وحبستها عندي ثم صرت الى الرشيد فحدثته حديثها فامر بابتياعها وعتقها واخذت لها منه صلة .

حكت ريق جارية ابراهيم بن المهدي قالت : مرض ابراهيم بن المهدي مرضة اشرف منها على الموت فجعل يتذكر شغفه بالغناء وما سلف له فيه ويتندم عليه . فقال له بعض من حضر . تب وأحرق دفاتر الغناء . فحرك رأسه ساعة ثم قال : يامجانين فهبني احرقت دفاتر الغناء كلها . وريق ايش اعمل بها . أأقتلها وهي تحفظ كل ماحوته هذه الدفاتر .

(تابع الهامش)

قال ابراهيم بن المهدي كنت يوماً بين يدي الامين اغنيه :

أقوت منازل بالهضاب * من آل هند والرباب
خطارة بزمامهـــا * واذا ونت ذلل الركاب
ترمي الحصـــا بمناسم * صم صلادمة صلاب

فاستحس اللحن وسألني عن صانعه . فقلت لابن عائشة . فلم يزل يشرب عليه لايتجاوزه . ثم امر باحضار صبية كان يتحظاها فاخرجت اليّ صبية كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال بحياتي ياعم ألقه عليها فاعدته مراراً وهو يشرب . حتى اذا ظننت انها قد اخذته امرتها ان تغنيه فغنته فاذا هو قد استوى لها الا في موضع واحد كان فيه صعباً جداً فجهدت جهدي ان يقع لها فلم يقع لها البتة ورأى جهدي في امرها فاقبل عليها وقد سكر وقال : عليّ عهد الله لئن لم تأخذيه بعد ثلاثة مرات لآمرن بالقائك في دجلة . وكانت دجلة تطفح وبيننا وبينها نحو ذراعين . فتأملت القصة وقلت في نفسي هذه والله داهية . فعدلت عما كنت اغنيه عليه وغنيته كما كانت هي تقوله وجعلت اردده فلما انقضت الثلاث المرات قلت لها هاته الآن فغنته على ما كان وقع لها فقلت احسنتْ يا امير المؤمنين فطابت نفسه وسكت وامر لي بثلاثين الف درهم .

سئل مخارق مرة : من احسن الناس غناء قال : كان ابراهيم الموصلي احسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات وانا احسن غناء من ابراهيم الموصـلي بعشر طبقات وابراهيم ابن المهدي احسن غناء مني بعشر طبقات . ثم قال. احسن الناس غناء احسنهم صوتاً وابراهيم بن المهدي احسن الجن والانس والوحش والطير صوتاً وحسبكم هذا .

ومن احسن اصوات ابراهيم بن المهدي صنعة وجودة وقسمة هذا الصوت :

جدد الحب بلايا * امرها ليس يسيرا
كبر الحب وقدما * كان اذ حل صغيرا
ذلل الحب رقاباً * كان ادناها عسيرا
ليس لي من حب المي * غير حرماني السرورا

استتر ابراهيم ابن المهدي مرة عند بعض اهله فوكلت بخدمته جارية جميلة فكانت توفيه حقه في الخدمة والاعظام فجل مقدارها في نفسه الى ان قبل يوماً يدها فقبلت الارض بين يديه ... فقال :

ياغزالا لي اليه · شافع من مقلتيه
والذي اجللت خدّ ....يه فقبلت يديه
بابي وجهك ما اكـ ....ثرَ حسادي عليه

زرياب

كان زرياب مغنياً عازفا واستاذاً في الموسيقى · دعاه عبد الرحمن الثاني ملك الاندلس الى قرطبه (سنة ٨٢٢ ـ ٨٥٢ مسيحية) اذ بلغت اليه أخبار شهرته الكبيرة في بلاد العرب . فعند وصوله سار من بلد الى بلد يحيط به منتهى التجلة والاكرام . ويروي احمد المقري في « منتخباته عن تاريخ آداب عرب الاندلس » ان زريابا ما كاد يصل حتى اصبح موضوع اعجاب الناس جميعاً ومفخرة ذلك العصر وكان يضرب العود ذا الاربعة الاوتار (١) وكان يستعمل للعزف مضراباً من قوادم النسر لا من الخشب الرقيق كما كانت العادة .

وكانت العادة قبل زرياب في تعليم الغناء ان يكرر اللحن حتى يتم للتلميذ اخذه على تمامه فوضع زرياب طريقة قسم فيها العمل الى ثلاثة اقسام : القسم الاول ان يتعلم التلميذ اولا ميزان الشعر ويقرأ الاشعار وهو ينقر على دفّ ليدل على مفاصل الميزان وليبين مواضع الحركات . والقسم الثاني ان يتعلم اللحن ساذجاً بسيطاً مجرداً من كل زخرفة وتنميق . والقسم الثالث ان يتعلم الزخرفة والتنميق

انا ضيف وجزاء الضـ . . . . . . ـيف احسان اليه

وعمل فيه بعد ذلك لحنا في طريقة الهزج .

وغنى ابراهيم ليلة محمداً الامين صوتاً في شعر لابي نواس هو :

يا كثير النوح في الدِّمن . لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة . فاذا احببت فاستكن
ظن بي من قد كلفتُ به . فهو يجفوني على الظنن
رشأ لولا ملاحته . خلت الدنيا من الفتن

فامر له بثلاثمائة الف دينار .

قال ابراهيم بن المهدي وقد خرج الى ذكر الطبل والايقاع به : هو من الآلات التي لايمكن بلوغ نهايتها لان عمل اليدين فيه عمل واحد ولا بدّ أن يلحق اليسار فيه نقص عن اليمين ودعا بالطبل ليظهر ذلك فاوقع ايقاعاً لم يكن يظن احد أن مثله يكون وهو مع ذلك يظهر موضع زيادة اليمين على اليسار وقال له الامين في بعض خلواته: ياعم اشتهي ان اراك تزمر .فقال . يا أمير المؤمنين ما وضعت على فمي نايأً قط ولا اضعه. ولكن يدعو امير المؤمنين بفلانه من موالي المهدي حتى تنفخ في الناي وامر يدي عليه . فاحضرت الجارية ووضعت الناي على فيها وامسكه ابراهيم فكلما مرّ الهواء امرّ اصابعه فاجمع من حضر على انه لم يسمع مثله قط

كان محمد بن موسى المنجم يقول : حكمت ان ابراهيم بن المهدي احسن الناس كلهم غناء ببرهان اني كنت اراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم ويغني فاذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة واصحاب الصناعات والمهن والصغار والكبار لم يبق منهم احد الا ترك ما في يده واقترب كل الاقتراب فلا يزال مصغياً اليه لاهياً عما كان فيه حتى اذا أمسك وتغنى غيره رجعوا الى اعمالهم

(١) هذا خطأ فقد زاد زرياب في العود وتراً خامساً من اختراعه (المعرب)

وما يتبعهما . على أن هذه الطريقة لم تكن تستعمل الا مع ذوي الاصوات الحسنة من التلاميذ بعد اختبارهم وتجربتهم اذ كان لابد لهم من أن يجلسوا على مقعد عال ويصيحوا بكل ما في صدورهم من قوة «ياحقام» او ان يصيحوا قائلين «آه» ممدودة على جميع درجات السلم الموسيقي. فيقرر الاستاذ بعد هذه التجربة درجة صوت التلميذ من الحسن والجودة والقوة .

ومات زرياب وله جيش من التلامذة تاركا بين ايديهم عشرة آلاف لحن من صنعه انتشرت ليس في بلاد الاندلس فقط بل في جميع بلاد الاسلام (١)

---

(١) **زرياب**

عن دائرة المعارف للبستاني

(المجلد التاسع صحيفة ٢٢١)

رئيس المغنين . وشيخ العوادين . ومحسن العود . واستاذ المغنين في الموسيقى العربية وعمدة الواضعين في ابوابها والمخترعين في صناعة العود . وامام المتبحرين في حسن طرائقه والمقدمين في صناعته عند الملوك واشهر البارعين في اختلاف التلحين في زمانه وقبله وربما بعده لانه لم يذكر في كتب العرب من وصل الى طبقته في صناعته . واسمه ابو الحسن علي بن نافع مولى المهدي العباسي. ولقب ببلده بزرياب لاجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله تشبيها له بطائر حسن التغريد يقال له الزرياب . وكان مع ذلك شاعراً مطبوعاً وتلمذ في أول امره لاسحق بن ابراهيم الموصلي النديم المشهور ببغداد فتلقف من اغانيه استراقاً . وهدي من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت والذوق في التلحين الى ما فاق به اسحق واسحق مع ذلك لا يشعر بما حصل عليه زرياب من الجودة . فطلب الرشيد يوماً من اسحق مغنياً غريباً حسن الصنعة فذكر له زرياباً وقال سمعت له نزعات رائقة ونغمات حسنة . فاستدعاه الرشيد وكلمه فاجاب بافصح لسان وأبان عن نفسه باجلى بيان وسأله عن الغناء فقال أحسن منه ما يحسنه الناس وأكثر ما احسنه لايحسنونه مما لايحسن الا عندك ولا يذخر الالك فان أذنت غنيتك مالم تسمعه أذن قبلك. فامر الرشيد باحضار عود استاذه اسحق فلم يأخذه زرياب وقال : لي عود نحته بيدي وارهفته باحكامي لا ارتضى غيره . فامر به الرشيد وتأمله فوجده يشبه عود اسحق فقال ما منعك ان تستعمل عود استاذك . فقال ان كان مولاي يرغب في غناء استاذي غنيته بعوده . وان كان يرغب في غنائي فلا بدلي من عودي . فقال ما اراهما الا واحداً . فقال صدقت يامولاي ولا يؤدي النظر غير ذلك . ولكن عودي وان كان في قدر جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث او نحوه . واوتاري من حرير لم يغزل بماء سخن يكسبها اناثة ورخاوة وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة اضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب ما ليس لغيرها . فاستبرع الرشيد وصفه وامره بالغناء فجس ثم اندفع يغني :

(تابع الهامش)

يا ايها الملك الميمون طائره . هارون راح اليك الناس وابتكروا

واتم النوبة فطار الرشيد طرباً وقال لاسحق : لولا اني اعلم من صدقك لي على كتمانه اياك لما عنده وتصديقه لك من انك لم تسمعه قبل لا زلت بك العقوبة لتركك اعلامي بشأنه . فخذه اليك واعتن به حتى افرغ له فان لي فيه نظراً فسقط في يد اسحق وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره فخلا بزرياب. وقال له . ان الحسد اقدم الادواء . والدنيا فتانة . والشركة في الصناعة عداوة . ولا حيلة في حسمها . وقد مكرت بي في ما انطويت عليه من اجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك . فاذا انا قد اتيت نفسي من مأمنها بادنائك وعن قليل تسقط منزلتي وترتقي انت فوقي وهذا ما لا اصاحبك عليه ولو انك ولدي. ولولا رعيي لذمة تربيتك لما قدمت شيئاً على أن أذهب نفسك وليكن في ذلك ما كان . فتخير في ثنتين لابد لك منهما. اما ان تذهب عني في الارض العريضة لا اسمع لك خبراً بعد أن تعطيني على ذلك الايمان الموثقة وانهضك لذلك بما اردت من مال وغيره . واما ان تقيم على كرهي ورغمي مستهدفاً لسهامي فاني لا ابقي عليك ولا ادع اغتيالك باذلا في ذلك بدني ومالي فاقض قضاءك.فاختار زرياب الرحلة وخرج لوقته لعلمه بقدرة اسحق على اتمام ما قال.وامده اسحق بالمال وقصد بلادالمغرب فلم تقم له شهرة بالمشرق .

وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغله فزوق اسحق له الحديث وخدعه ببرقشة الكلام الى ان ركن الى قوله وتأسف لفراق زرياب .

ثم نهض زرياب بعياله الى الاندلس وافداً على صاحبها الحكم الاموي بعد ان استأذنه واعلمه بنفسه فسر به الحكم وتلقاه بالترحاب والتكرمة . لكنه لما وصل الى الجزيرة الخضراء وصله الخبر بوفاة الحكم (سنة ٢٠٦ هجرية) فهم بالرجوع الى العدوة . وكان معه منصور اليهودي المغني رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبة في قصد عبد الرحمن بن الحكم القائم مقام أبيه في الملك . ثم اوصل خبره الى عبد الرحمن . فكتب الى عماله يوصيهم باكرامه وايصالهم اليه بالتوقير من بلد الى بلد حتى يدخل قرطبه . وامر غلمانه ان يتلقوه بالبغال والآلات الحسنة . فدخل هو وعياله البلد ليلا صيانة لحرمه وأنزل في دار من احسن الدور وحمل اليه جميع ما يحتاج وبعد ٣ ايام استدعاه عبد الرحمن وكتب له راتباً في كل شهر ٢٠٠ دينار وان يجري على بنيه الاربعة وهم عبد الرحمن وجعفر وعبدالله ويحيى ٢٠ ديناراً كل شهر لكل واحد و٣ آلاف دينار على سبيل التكرمة منها لكل عيد الف دينا و٥٠٠ دينار لكل مهرجان ونوروز وان يجعل له ١٠٠ كيلة من القمح و٢٠٠ من الشعير لدوابه واقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم باربعين الف دينار : فلما علم انه قد ارضاه وملك نفسه باحسانه استدعاه الى مجلسه وبدأه بالنبيذ ثم لما سمع غناءه استعظمه جداً واطرح كل ما سواه من الغناء واحبه حباً شديداً وقدمه على جميع المغنين . وذاكره في احوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء فوجده بحراً زاخراً فاعجب به واجلسه على مائدة طعامه واوسع له في التشريف والتكرمة . ثم فتح له بابا خاصاً يستدعيه منه متى اراد سماعه ومنادمته .

اقام زرياب يحسن صناعته ويجدد في عوده . فزاد عليه وتراً خامساً اختراعاً منه. وكانت اوتاره

(تابع الهامش)

اربعة قبل ذلك العهد (وهو رأي ساقط) وجعله متوسطاً وصبغه بالاحمر . ومن ثم صار العود على خمسة اوتار اصلية الى هذه الايام . لان القدماء وضعوا اوتار العود على عدد الطبائع الاربع في الجسد فزاد هو الخامس يقوم مقام النفس منه فتم بذلك احسن تمام واخترع مضراب العود من قوادم النسر عوض رقيق الخشب .

وكان زرياب ايضاً عالماً بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها واهويتها وتشعب بحارها وتضيق بلادها وسكانها مع ماسنح له من فك كتاب الموسيقى .

وقد جمع الى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظرف وفنون الادب ولطف المعاشرة وآداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية حتى اتخذه ملوك الاندلس وخواصهم قدوة في ما سنه لهم من آدابه واستحسنه من اطعمته فصار الى آخر ايام الاندلس منسوباً اليه .

وقد ذكر المقري اموراً كثيرة من عوائد اهل الاندلس اوجدها ولم تكن قبله فانتشرت بسببه . فمن ذلك انهم كانوا يرسلون شعورهم مفروقة وسط الجبين عامة للصدغين والحاجبين . فلما رأوا تحذيفه هو وولده ونساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها الى اذانهم واسدالها الى اصداغهم استحسنوا طريقته وجروا عليها . ومما سنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المردا سنج لطرد ريح الصنان من مغابنهم .وكان ملوك الاندلس يستعملون قبله ذرود الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد . فكانوا لاتسلم ثيابهم من وضر فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها . وهو أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم بالاسفراج ولم يكونوا يعرفونها قبله

ومما اخترعه من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالتقايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة اليه ولعلها المسماة عندنا بالزلابية تحريفاً عن زريابية واشار عليهم ايضاً باتخاذ آنية الزجاج الرفيع عوض الذهب والفضة وفرش انطاع الاديم الناعمة اللينة على ملاحف الكتان . واختياره سفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية . ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به . فانه اجرى لبس البياض من آخر حزيران الى آخر ايلول .والملونه في بقية السنة ورأى ان يلبسوا في الربيع ملابس اخف من ملابس الشتاء واثقل من ملابس الصيف توطئة وتدريجاً للبس البياض الخفيف. وفي الخريف ثياباً من نحوها . ولكن اقرب للبس الشتاء كما أن تلك اقرب للبس الصيف .

وصار قانون الغناء على طريقته ان يبدأ المغني بالنشيد ويتوسط بالبسيط وينتهي بالحركات والاهزاج وكانت طرق تعليمه الغناء مبنية على مبادىء فلسفية طبيعية يسهل بها اقتباس المتعلم وتليين صوته وحركات فمه . ومع ذلك كان يمتحن صوت التلميذ بطرق يعرفها لكي يرى هل يوافق تعليمه ام لا .

وولد له هناك اولاد حتى صارت جملة اولاده ٨ صبيان وبنتين وكلهم تعلم الغناء ومهر فيه .

(المعرب)

***

وبين الذين تفيض باخبارهم مدونات ذلك الزمن من مغني وموسيقيي الخلفاء من يأتي ذكرهم :

(يونس بن سليمان)

هو مغن فارسي عاش في القرن الثامن وألف كتاباً في الغناء والمغنين (١)

(منصور زلزل (٢))

عاش في القرن الثامن وكان أمهر ضارب بالطنبور (٣)

وبالجملة فمآثر زرياب بالاندلس كثيرة وأخباره طويلة وشهرة فضله أشهر من أن تفصل لنا . وقد حظي عند ملوك الاندلس الامويين الحظوة التامة وحصل الجاه العظيم والثروة الجليلة والسعادة السابغة وتزوج بنته أحد وزرائهم وكان لأولاده المنزلة العليا في تلك الاقطار (المعرب)

(١) هو بعينه يونس الكاتب الذي ورد ذكره في الصفحة ٩٦ من هذه الدائرة وقد أعاد صاحب النبذة ذكره هنا خطأ ظناً منه أن يونس بن سليمان غير يونس الكاتب والحقيقة أن الاثنين واحد (المعرب)

(٢) جاء بالفرنسية هكذا : ***Mansour Ibn Schaeffen***

(٣) منصور زلزل

(عن الاغاني)

كان منصور زلزل الضارب من سواد أهل الكوفة ومن أهل الخشونة والبذاءة والدناءة ولكنه كان أضرب أهل زمانه بالعود . فقدم به اسحق سنة حج ووقفه على الغناء العربي وأراه وجوه النغم وثقفه حتى بلغ المبلغ الذى بلغه من خدمة الخليفة . وكان من أطبع أهل دهره في صناعته

وكان لزلزل جارية قد رباها وعلمها الضرب والغناء وكانت مطبوعة حاذقة . وكان يصونها من أن يسمعها أحد . فلما مات بلغ اسحق الموصلي أنها تعرض في ميراثه للبيع فصار اليها ليعترضها فغنت

أقفر من أوتاره العود ... فالعود للاوتار معمود
وأوحش المزمار من صوته ... فما له بعدك تغريد
من للمزامير وعيدانها ... وعامر اللذات مفقود
الخمر تبكي في أباريقها ... والقينة الخمصانة الرود

(تابع الهامش)

وهذا شعر رثاه به صديق له كان يألفه فأ بكت عين اسحق وأوجعت قلبه فدخل الى الرشيد وحدثه بحديثها فأمر باحضارها وقال لها غني الصوت الذي حدثني ابراهيم عنه . فغنته وهي تبكي . فتغرغرت عينا الرشيد وقال لها أتحبين أن أشتريك . فقالت ياأمير المؤمنين لقد عرضت علي مايقصر عنه الامل . ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعدسيدي فينتفع بي. فازداد الرشيدرقةعليهاوقال غني صوتاً آخر فغنت

العين تظهر كتماني وتبديه والقلب يكتم ماضمنته فيه

فكيف ينكتم المكتوم بينهما والعين تظهره والقلب يخفيه

فأمر بأن تُبتاع وتُعتق ولم يزل يجري عليها الى أن ماتت .

وكان الرشيد قد وجد على منصور زلزل لشيء بلغه عنه فحبسه عنه عشر سنتين أو نحوها . فقام الرشيد يوماً لحاجة فجعل ابراهيم الموصلي يغني صوتاً صنعه في شعر كان قد قاله في حبس زلزل وهو :

هل دهرنا بك راجع يا زلزل أيام يبغينا العدو المبطلُ

أيام انت من المكاره آمن والخير متسع علينا مقبل

يابؤس من فقد الامام وقربه ماذا به من ذلة لو يعقل

مازلت بعدك في الهموم مردداً أبكي بأربعة كأني مشكل

ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه ثم قال ياابراهيم أي شيء كنت تقول . فقال خيراً ياسيدي . فقال هاته فتلكأ ابراهيم فغضب الرشيد وقال هاته فلا مكروه عليك فرد الغناء . فقال له أتحب أن تراه . فقال ابراهيم وهل ينشر أهل القبور . فقال الرشيد هاتوا زلزلا . فجاؤا به وقد ابيضّ رأسه ولحيته فسر به ابراهيم وأمره فجلس وأمر ابراهيم فغنى وضرب عليه فزلزلا الدنيا وشرب الرشيد على ذلك رطلا وأمر باطلاق زلزل وأسنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه الى منزله .

ويقول اسحق الموصلي ان زلزلاً أول من أحدث العيدان الشبابيط وكانت قديماً على عمل عيدان الفرس فجاءت عجباً من العجب

وكان منصور زلزل أستاذ اسحق الموصلي في العود . ويقول اسحق أخذ مني منصور زلزل الى أن تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم سوى ما أخذه له من الخلفاء ومن أبي . وهو يقول أيضاً انْ كانت في زلزل قبل أن يعرف الصوت « اللحن » ويفهمه بلادة فاذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة

وتناظر المغنون يوماً عند الواثق فذكروا الضراب وحذقهم وكان لملاحظ الرئاسة في ذلك على جميعهم فقدم اسحق الموصلي زلزلا عليه فقال له الواثق هذا حيف منك فقال اسحق : يا أمير المؤمنين اجمع بينهما وامتحنهما فان الامر سينكشف لك فيهما . فأمر بهما فأحضرا فتقدم زلزل وفاق على ملاحظ

(ورد هذا الخبر بالتفصيل في أخبار اسحق الموصلي صفحة ١١٩)

(الزبير بن دحمان «١»)

هو من المدينة وعاش في القرن التاسع «٢»

---

(١) جاء بالفرنسية : Sobéir Ibn Abdallah-er-Rahman وهذا تشويه وامعان في الخطأ . وصحته كما أوردناه .

(٢) الزبير بن دحمان

كان الزبير أحد المحسنين المتقنين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة . قدم على الرشيد من الحجاز وكان المغنون في أيامه حزبين أحدهما في حزب ابراهيم الموصلي وابنه اسحق والآخر في حزب ابن جامع وابن المهدي . وغنى الرشيد غناء كثيراً من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن . وسأله الرشيد أن يغنيه شيئاً من صنعته فالتوى بعض الالتواء وقال : قد سمع أمير المؤمنين غناء الحذاق من المتقدمين وغناء من بحضرته من خدمه ومن وفد عليه من الحجازيين فما عسى أن يأتيه من صنعتي . فأقسم عليه أن يغنيه شيئاً من ذلك فغنى :

ارحلا صاحبيّ حان الرحيل وابكياني فليس تبكي الطلول

فطرب الرشيد واستعاده هذا الصوت ثلاث مرات وأمر له بثلاثين ألف درهم . ثم غنى مادحاً الرشيد بعد ذلك مراراً فكان الرشيد يطرب في كل مرة طرباً شديداً ويأمر له بالعطايا وقد خف على قلبه واستظرفه فأغناه في مدة يسيرة من الايام .

وكان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الاسف عليهم والتندم على مافعله بهم . ففطن لذلك الزبير بن دحمان فكان يغنيه في هذا المعنى ويحركه . فغناه يوماً والشعر لامرأة من بني أسد .

من للخصوم اذا جدّ الخصام بهم يوم النزال ومن للضمر القود
وموقف قد كفيت الناطقين به في مجمع من نواصي الناس مشهود
فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقول غير مردود

فقال له الرشيد أعد . فأعاد . فقال له ويحك كأن قائل هذا الشعر يصف ابن يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى . وبكى حتى جرت دموعه ووصل الزبير صلة سنية .

تشوق الرشيد بغداد مرة وهو بالرقة فانحدر اليها وقام بها مدة وخلف هناك بعض جواريه وكانت فيهن حظيّة له خلفها لمغاضبة كانت بينه وبينها فتشوقها تشوقاً شديداً وقال فيها :

سلام على النازح المغترب تحية صب به مكتئب
غزال مراتعه بالبليخ الى دير ذكّى بقصر الخشب
أيامن أعان علي نفسه بتخليفه طائعاً من يحب

فليح بن العوراء «١»

هو معتوق من أهل مكة . وهو أول من منحه الخليفة شرف الغناء في حضرته ولم يكن بينهما ستار . وعملا بأمر هارون الرشيد جمع في مجموعة أحسن أغاني عصره في كتاب اسمه « الاصوات المائه » «٢»

سأستر والستر من شيمتي   هوى من أحب بمن لا أحب

وجمع المغنين لحضر ابراهيم الموصلي وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان والمعلي بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه واسحق وابو زكار الأعمى وأعطاهم الشعر وقال ليعمل كل واحد منكم فيه لحناً . فعملوا فيه عشرين لحناً فما أعجب منها الا بلحن الزبير وحده . أعجب به اعجاباً شديداً وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سنية .   ﴿ المعرب ﴾

(١) جاء بالفرنسية هكذا : (Jelieb Ibn-Al-Aura) وصحته : (Falih Ibn Abil'Aouraa) وليتأمل القاريء مقدار مانلاقي من العناء في تصحيح هذه الاسماء المشوهة بل الممسوخة بل مقدار الفرق بين الاسم الممسوخ والاسم الصحيح . وكم وكم من مثل ذلك أتانا به صاحب النبذة

«٢» فليح بن أبي العوراء

(عن الاغاني)

فليح رجل من أهل مكة . مولى لبني مخزوم . ولم يعرف اسم أبيه . وهو أحد مغني الدولة العباسية له محل كبير من صناعته وموضع جليل . وكان اسحق اذا عدّ من سمع من المحسنين ذكره فيهم وبدأ به . (وبالرغم من جميع ذلك فصاحب النبذة يذكره في ذيل المغنين) وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد

كان اسحق يقول ماسمعت أحسن غناء من فليح بن أبي العوراء وابن جامع

فقال له بعضهم : وأبوك ؟ فقال كان أبي في الغناء مثلهما بزيادة في فنون الادب والرواية لايداخلانه فيها

وقال اسحق ليزيد المهلبي أحسن من سمعت غناء عطرد وفليح

وقال هرون بن محمد بن عبدالملك الزيات : كان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه وهو أحد من كان يحكي الاوائل فيصيب ويحسن

وحكى الفضل بن الربيع قال ان المهدي كان يسمع المغنين جميعاً من وراء الستارة لايرون له وجهاً الا فليح بن أبي العوراء . والاصل في ذلك أن فليحاً كان من الرواة المشهورين وكان يروي شعر عبدالله ابن مصعب الزبيري في مدح المهدي ويغنيه . وكان عبدالله بن مصعب يرغب في منادمة المهدي فدس له مرة في احدي مدائحه للمهدي بيتين يسأله فيهما أن ينادمه وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضعاف أغانيه وهما:

(عمر الميداني)

من الضراب المتفوقين «١»

يا أمين الآله في الشرق والغـــرب على الخلق وابن عم الرسول
مجلساً بالعشيّ عندك في الميـــدان أبغي والاذن لي في الوصول

فغناه فليح إياهما فقال المهدي يافضل أجب عبدالله الى ما سأل وأحضره مجالسي اذا حضره أهلي ومواليَّ وجلست لهم وزده على ذلك أن ترفع بيني وبين راويته فليح الستارة . فكان فليح أول مغن منح هذا الشرف .

حكى فليح قال كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عمه فوعدته أن تزوره فشكا اليَّ أنها تأتيه ولا شيء عنده فأعطيته ديناراً للنفقة فلما زارته قالت لهمن يلهينا قال صديق لي ووصفني لها ودعاني فأتيته فكان أول ماغنيته

من الخفرات لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شنارا
كأن مجامع الارداف منها نقا درجت عليه الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبي واتّبع الممنعة النوارا

فقامت الى ثوبها فلبسته لتنصرف فعلق بها وجهد بها كل الجهد في أن تقيم فأبت وانصرفت فأقبل علي يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت . فقلت والله ماهو شيء تعمدته ولكنه اتفق . فلم نبرح حتى عاد رسول الفتاة ومعه صرة فيها ألف دينار ودفعها الى الفتى وقال له : تقول لك ابنة عمك هذا مهري ادفعه الى أبي واخطبني . ففعل وتزوجها . ﴿ المعرب ﴾

( ) عمر الميدانى

(عن الاغاني)

هو رجل من أهل بغداد كان يسكن الميدان فعرف به وكان لايفارق محمداً وعلياً ابني أمية وأبا حشيشة فينادمهم ويغني في أشعارهم . وكان منزله قريباً منهم وهو أحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والاداء كان ابن الرقاق يقول : سمعت أبا حشيشة والمستورد ومن قبلهما من الطنبوريين فما سمعت منهم أصح غناء ولا أكثر تصرفاً من عمر الميداني

حدث علي بن أمية قال : دخلت يوماً على عمر الميداني وكان له بقّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ويقارضه اذا عسر . ويتصرف في حوائجه . فاذا حصلت له دراهم دفعها الى ذلك البقال يقبض منها مارأي لايسأله عن شيء . فوجدت عنده يومئذ هذا البقال . فقال لنا عمر . معي أربعة دراهم تتركون

(يزيد حوراء)

من المدينة اشترك مع ابراهيم الموصلي في تعليم الموسيقى وبيع القيان «١»

لي منها درهماً لعلف حماري والثلاثة لكم تأكلون بها ما أحببتم . وعندي نبيذ وأنا أغنيكم والبقال يحضر لنا من أبقاله اليابسة مافي حانوته . فوجهنا بالبقال فاشترى لنا بدرهم فاكهة وريحاناً وجاءنا من حانوته بحوائج السكباج ونقل . فبينا نحن نتوقع الفراغ من القدر واذا برسول يدق الباب فأدخله عمر فقال له : أجب الامير اسحق بن ابراهيم فحلف علينا بالطلاق ألا نبرح ومضى هو وأكلنا السكباج وشربنا وانصرفنا وفي السحر بكر الىَّ رسوله فصرت اليه فقلت اعطني خبرك من النعل الى النعل قال : دخلت فوُضعت بين يدي مائدة كأنها جزعة يمانيـة قد فرشت في عراصها الخبز فأكلت وشربت رطلين ثم دفع الى طنبور فدخلت الى اسحق فوجدته في الصدر جالساً وخلفه ستارة وعن يمينه مخارق وعن يساره علوية . فقال لي أنت عمر الميداني . فقلت نعم . فقال أأكلت ؟ فقلت نعم . قال : ههنا أو في منزلك .قلت بل ههنا . قال أحسنت فغن بصوتك الذي صنعته في :

ياشبيه الهلال كالل في الافق أنجما

فغنيته فطرب واستعاده مراراً وشرب عليه . وقال لي أنا اليوم على خلوة ولكن علي دعوات لك فانصرف اليوم بسلام . فخرجت ودفع الى الغلام خمسة آلاف درهم فهي هذه والله لااستأثرت عليكم منها بدرهم . فلم نزل عنده حتى نفدت .   المعرب

(١)   يزيد حوراء

يزيد حوراء رجل من أهل المدينة ومن موالي بني ليث ويكنى أبا خالد هو مغن محسن كثير الصناعة من طبقة ابن جامع وابراهيم الموصلي وكان ممن قدم على المهدي في خلافته فغناه و كان حسن الصوت حلو الشمائل . وذكر ابن جرداذبه أنه بلغه أن ابراهيم الموصلي حسده على شمائله واشارته في الغناء فاشترى عدة جوار وشاركه فيهن وقال له علمهن فما رزق الله فيهن من ربح فهو بيننا . وأمرهن أن يبذلن جهدهن في أخذ اشاراته ففعلن ذلك . وكان ابراهيم يأخذ تلك الاشارات عنهن هو وابنه وأمرهن بتعليم ذلك كل من يعرفنه حتى شهرها في الناس فأبطل عليه ما كان منفرداً به من ذلك

قال عبدالله بن العباس الربعي : كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسن الوجه شكلا لم يقدم علينا من الحجاز أنظف ولا أشكل منه وما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة لا تراها في أحد منهم الا رأيتها فيه وكان يتعصب لابراهيم الموصلي على ابن جامع فكان ابراهيم يرفع منه ويشيع ذكره بالجميـل وينبه على مواضع تقدمه واحسانه ويبعث بابنه اسحق اليه يأخذ عنه وكان صديقاً لابى مالك الاعرج التميمي لايكاد أن يفارقه

(مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار «١»)

هو مغن من المدينة ومعلم الغناء للخليفة والامير ابراهيم «٢»

ومرض يزيد مرضاً شديداً واحتضر فاغتم عليه الرشيد وبعث بمسرور الخادم يسأل عنه . ثم مات فقال أبومالك يرثيه .

(صوت)

لم يمتع من الشباب يزيد صار في الترب وهو غض جديد
خانه دهره وقابله منه بنحس ودابرته السعود
حين زفت دنياه من كل وجه وتدانى اليه منه البعيد
فكأن لم يكن يزيد ولم يشج نديماً يهزه التغريد

(المعرب)

(١) جاء بالفرنسية هكذا: Moukharik Ibn Yahyah Ibn Maur el Dschecter

(٢) مخارق

(عن الاغاني)

هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار مولى الرشيد. وقيل بل ناوس لقب أبيه يحيى . ويكنى أبا المهنأ كناه الرشيد بذلك. وكان قبله لعاتكة بنت شهدة وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب . ذكر ذلك مخارق واعترف به . ونشأ بالمدينة . وقيل بل كان منشأه بالكوفه وكان أبوه جزاراً مملوكا . وكان مخارق وهو صبي ينادي على مايبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه ابراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه

قال حماد بن اسحق : قدمت مولاة مخارق به من الكوفة فنزلت المخرم . والتقى سيرين بن طرخان النخاس بابراهيم الموصلي فقال له : ان ههنا امرة من أهل الكوفة قد قدمت ومعها غلام يتغنى فقال له احمله الي . فذهب سيرين مع مولاة مخارق ليحملا الغلام الى ابراهيم فوجداه يتمرغ في رمل الجزيرة التي بأزاء المخرم وهو يلعب فحمله سيرين خلفه على دابته وساروا جميعاً لابراهيم . فتغنى الغلام بين يديه فأعجبه وقال لمولاته كم تأملين فيه . فقالت عشرة آلاف درهم . قال قد أخذته بها وهو خير منها. فقالت أقلني . قال قد فعلت فكم تأملين فيه . قالت عشرين الفاً . قال قد أخذته بها وهو خير منها . فقالت والله ماتطيب نفسي أن أمتنع عن عشرين الف درهم بكبد رطبة فهل لك في خصلة تعطيني بها ثلاثين الف درهم ولا أستقيلك بعدها . فقال قد فعلت وهو خير منها . فصفقت عليه يده وبايعته وأمر بالمال فأحضر وأمر

(تابع الهامش)

بثلاثة آلاف درهم فزيدت عليه وقال تكون هذه لهدية تهدينها أو كسوة تكتسينها ولا تثلمين المال. قال: وراح ابراهيم الى الفضل بن يحيى فقال له الفضل : ماخبر غلام بلغني أنك اشتريته ؟ قل هو مابلغك . قال فأرنيه . فأحضره فلما تغنى بين يدي الفضل قال له ماأري فيه الذي رأيت . قال ابراهيم أتريد ان يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ولم يكن مثل غنائي في الدنيا ولا يكون أبداً . فقال الفضل بكم تبيعه فقال : قد اشتريته بثلاثة وثلاثين الف درهم وهو حرٌ لوجه الله تعالى ان بعته الا بثلاثة وثلاثين الف دينار فغضب الفضل وقال انما أردت أن تمنعنيه أو تجعله سبباً لان تأخذ مني ثلاثة وثلاثين الف دينار . فقال ابراهيم أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه واعلمه فان أعجبك أتممت لي باقي المال والا بعته بعد وكان الربح بيني وبينك . فقال له الفضل انما أردت أن تأخذ مني المال فلما لم تقدر أردت ان تأخذ نصفه وغضب . فقال ابراهيم أنا أهبه لك . على أن يساوي ثلاثة وثلاثين الف دينار قال قد قبلته . فقال ابراهيم قد وهبته لك . وغدا ابراهيم على الرشيد فقال له ياابراهيم ماغلام بلغني أنك وهبته للفضل . قال غلام ياأمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ولا يكون مثله أبداً . فوجه الرشيد الى الفضل وأمره باحضار الغلام فحضر وتغنى بين يديه . فقال الرشيد لابراهيم كم يساوي قال يساوي خراج مصر وضياعها فقال له الرشيد ويلك أتدري ماتقول ان مبلغ هذا المال مما لايحصى فقال ابراهيم وما مقدار هذا المال مقابل شيء لم يملك أحد مثله قط . ثم وجه الرشيد مسرور الى الفضل بن يحيى ليستوهبه الغلام فذهب مسرور واستوهبه لنفسه ثم أخذه الرشيد وأعتقه

وقد تعلم مخارق على ابراهيم الموصلي وكان يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لايجلس ويغني وهو واقف. نغنى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد « كأن نيرانها في جنب قلعتهم » فطرب الرشيد واستعاده مراراً وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره من المغنين فاكتأب لذلك ابراهيم الموصلي فخلا به مخارق وقال له مالي أراك منكسراً فقال له ألا تري إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت فقال له . قد والله أخذته فقال له ويحك انه الرشيد وابن جامع فاحذر والا فهو الموت . قال مخارق دعني أغني به امام الرشيد فان أحسنت فاليك ينسب وان أسأت فلي يعود . فقال ابراهيم للرشيد : ياأمير المؤمنين أراك متعجباً من هذا الصوت بغير ما يستحقه. فقال الرشيد لقد أحسن ابن جامع ماشاء. قال ابراهيم فان عبدك مخارقاً يغنيه . فنظر الرشيد الى مخارق فقال مخارق نعم ياأمير المؤمنين . فقال هاته. فغناه وتحفظ فيه فأتى بالعجائب . فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً وشرب ثم قال لابن جامع . ويلك ماهذا . فابتدأ يحلف بالطلاق أنه ماصنع ذلك الصوت سواه وأنها حيلة جرت عليه . فقال الرشيد لابراهيم أصدقني بحياتي . فصدقه عن قصة مخارق فقال هارون لمخارق اجلس اذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضيعة ومنزلا

قال يوماً الرشيد للمغنين وهو مصطبح : من منكم يغني « ياربع سلمى لقد هيجت لي طربا » فقال

(تابع الهامش)

مخارق أنا ياأمير المؤمنين . فقال هاته . فغناه فطرب الرشيد وشرب ثم قال عليَّ بهرثمة بن أعين (السياف) فارتعب مخارق وقال في نفسه مايريد منه . فجاء هرثمة وهو يجر سيفه : فقال له هارون : ياهرثمة . مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته . فقال أبو المهنأ · فقال الرشيد لمخارق : قد كنيتك أبا المهنأ . وأمر له بمائةالف درهم

وكان الواثق أمير المؤمنين يقول : خطأ مخارق كصواب علويه . وخطأ اسحق كصواب مخارق . وما غناني مخارق قط الا قدرت أنه من قلبي خلق . ولا غناني اسحق الا ظننت أنه قد زيد في ملكي ملك آخر

ومما يظهر فضل مخارق على جميع أصحابه أن الغلمان الذين كانوا يقفون في السماط كانو ايسمعون الغناء من المغنين جميعاً وهم وقوف في أماكنهم ضابطون لانفسهم حتى إذا غنى مخارق خرجوا عن صورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب الطرب فيهم وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه

خرج مرة مخارق الى باب الكناسة بمدينة السلام والناس يرتحلون للخروج الى مكة فنظر الى كثرتهم واجتماعهم وازدحامهم وقال لاصحابه : قد جاء في الخبر أن ابن سريج كان يتغنى في أيام الحج والناس بمنى . فيستوقفهم بغنائه . وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعاً لتعلموا أنه لم يكن ليفضلني الا بصنعته دون صوته . ثم اندفع يؤذن فاستوقف أولئك الخلق واستلهاهم حتى جعلت المحامل يغشى بعضها بعضاً وهو يتعامي عنها لما خامر قلبه من العجب والفرح

جاء أبو العتاهية يوماً الى باب مخارق فطرقه فخرج مخارق اليه فقال أبو العتاهيـة ياحسان هذا الاقليم وياحكيم أرض بابل أصبب في أذني شيئاً يفرح به قلبي وتنعم به نفسي فغنا مخارق فجعل أبو العتاهية يبكي ثم قال له : يادواء المجانين لقد رققت حتى كدت أن أحسوك . فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك ادماً ولو كان شرابا لكان ماء الحياة

جمع ابراهيم المهدي المغنين ذات يوم في منزله فاقاموا . ولما دخلوا في الليل ثمل مخارق وسكر سكراً شديداً فسألوه أن يغني صوتاً فغنى هذا البيت من شعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

قال ساروا وأمعنوا واستقلوا   وبرغمي لو استطعت سبيـلا

فانتهى منه الى قوله « واستقلوا » وانثنى نائماً . فقال ابراهيم بن المهدي مهدوه ولا تزعجوه فمهدوه ونام حتى مضى أكثر الليل ثم أفاق من نومه فانتبـه وهو يغني تمـام البيت « وبرغمي لو استطعت سبيلا »

خرج مخارق مرة مع بعض أصحابه الى بعض المتنزهات فنظر الى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه فسأله اياها فضن بها . وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس : أرأيت ان تغنيت صوتاً فعطفت علينا هذه الظباء أتدفع لي هذا القوس. قال نعم . فاندفع يغني:

(تابع الهامش)

ماذا تقول الظباء　　أفرقة أم لقاء
أم عهدها بسليمى　　وفي البيان شفاء
مرت بنا سانحات　　وقد دنا الامساء
فما احارت جوابًا　　وطال فيه العناء

فعطفت الظباء راجعة اليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة تنظر اليه مصغية الى صوته فعجب من حضر وناوله الرجل القوس فأخذها . وقطع الغناء فعاودت الظباء نفارها ومضت راجعة

وكان مخارق طويل النفس اذا صاح قطع اصحاب النايات

وكان أبو يعقوب الخريمي يقول مارأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلا حتى اذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار: كان هشام بن الكلبي علامة نسابه وراوية للمثالب عيابة. فاذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص. وكان علي بن الهيثم حريفًا مفقعًا صاحب تقعر يستولي على كل كلام لا يحفل بخطيب ولا شاعر فاذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص. وكان علوية واحد الناس في الغناء رواية وحكاية ودراية وصنعة وجودة ضرب وحسن خلق فاذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص .

وكان مخارق يهوى جارية لام جعفر اسمها « نهار » فبلغ ذلك أم جعفر فاقصته ومنعته من المرور ببابها فمر ليلة بدارها فرأى الشمع يزهر فيها فلما صار بمسمع منها ومرآى اندفع يغني :

ان يمنعوني ممري قرب دارهم　　فسوف انظر من بعد الى الدار
سيما الهوى شهرت حتى عرفت بها　　أني محب وما في الحب من عار
ماضر جيرانكم والله يصلحهم　　لولا شقائي اقبالي وادباري
لايقدرون على منعي ولو جهدوا　　اذا مررت وتسليمي باضماري

فسمعت أم جعفر وقالت . مخارق والله ردوه . فصاحو به فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجواري فغنين ثم ضربن عليه نغنى فكان أول ماغنى

اغيب عنك بود ما يغيره　　نأي المحل ولا صرف من الزمن
فان أعش فلعل الدهر يجمعنا　　وان أمت فقتيل الهم والحزن
قد حسن الله في عيني ماصنعت　　حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

(الشعر للعباسي بن الاحنف والغناء لمخارق) فاندفعت نهار فغنت كأنها تباينه وانما اجابته عن معنى ماعرض لها به .

تعتل بالشغل عنا ماتلم بنا　　والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففطنت أم جعفر انها خاطبته بما في نفسها فضحكت ووهبتها له .

ودخل المتوكل مرة الى جارية من جواريه وهي تغني:

(هارون .... (١))

عاش في القرن التاسع . وله كتاب في علم الغناء يليه ترجمة حياة المغنين

(يحيى المكي (٢))

وضع في خلافة المهدي مجموعة للاغاني حوت ثلاثة آلاف لحن (٣)

أمن قطر الندى نظمـ تَ ثغرك أم من البردِ
وريقك من سلاف الكر م أم من صفوة الشـهد
ايا من قد جرى مني كمجرى الروح من جسدي
ضـميرك شاهـد فيما اقاسيه من الكمد

والغناء لمخارق رمل . فقال لها ويحك لمن هـذا الغناء . فقالت أخذته من مخارق قال فألقيـه على الجوارى جميعاً . ففعلت . فلما أخذنه أمر باخراجهن اليـه ودعا بالنبيذ وأمر أن لاتغنينه غيره ثلاثة أيام متوالية وكان ذلك بعد وفاة مخارق

وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل وقيل بل في آخر خلافة الواثق . وذكر ابن خرداذبه أن سبب وفاته أنه أكل قنبطية باردة فقتلته من فوره (المعرب)

---

(١) جاء بالفرنسية هكذا : Haroun Koraiss El Dcherahi

(٢) جاء بالفرنسية هكذا : Osman Yahya el Mekki وصحته يحيى المكي ويكنى أبا عثمان مثلما سيتضح

(٣) يحيى المكي

هو يحيى بن مرزوق مولى بني أمية وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفا من أن يجتنبوه فاذا سئل عن ولائه انتمى الى قريش ويكنى يحيى أبا عثمان

قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته . وكان يغني مرتجلا ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة . وكان ابن جامع وابراهيم الموصلي وفليح يفزعون اليه في الغناء القديم

(تابع الهامش)

ويأخذونه عنه ويعاني بعضهم بعضاً بما يأخذه منه فاذا خرجت لهم الجوائز أخذوا منها ووفروا نصيبه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة . وله كتاب في الاغاني ونسبها وأخبارها يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت وهو كبير جليل مشهور الا أنه كان كالمطرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته لذلك كان العمل على كتاب ابنه احمد الذي صحح كثيراً مما أفسده أبوه وحقق ما نسبه من الاغاني الى صانعه . وكان اسحق الموصلي يقدم يحيى المكي تقديماً كثيراً ويصله ويقول ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحد من أحد أمرين اما أن يكون محقاً كما يقول فقد علم ما جهلتم أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدمين فهو أفضل وأوضح لتقدمه . وكان يقول أيضاً لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسه من تخليط روايته الغناء على المتقدمين واضافته اليهم ما ليس لهم وقلة ثباته على ما يحكيه من ذلك لما تقدمه أحد .

وقال محمد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلط في نسب الغناء تخليطاً كثيراً وهو يصنع الصوت بعد الصوت يتشبه فيه بالغريض أو بمعبد تارة وبابن سريج أو بابن محرز أخرى ويجتهد في احكامه واتقانه حتى يشتبه على سامعه فاذا حضر مجالس الخلفاء غناه على أحسن صنعة مما لا يعرفه أحد فاذا سئل عن ذلك قال أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الاوائل فلا يشك في قوله ولا يثبت لمباراته أو يقوم لمعارضته أحد ودأب على ذلك حتى نشأ اسحق الموصلي فضبط الغناء وأخذه من مظانه ودونه وكشف عوار يحيى في متجولاته وبينها للناس .

قال اسحق يوماً للرشيد أتحب يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء . قال نعم قال اعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه واسألني بحضرة يحيى عن نسبته فاني سأنسبه الى رجل لا أصل له . واسأل يحيى عنه اذا غنيته فانه لا يمتنع من أن يدعي معرفته . فأعطاه الرشيد شعراً فصنع فيه لحناً ولما حضر يحيى غناه اسحق فقال الرشيد لمن هذا اللحن يا اسحق فقال اسحق : لغناديس المديني يا أمير المؤمنين فأقبل الرشيد على يحيى وسأله : أكنت لقيت غناديس المديني يا أبا عثمان ؟ فقال يحيى نعم لقيته وأخذت عنه صوتين ثم غنى صوتاً وقال هذا أحدهما . فلما خرج يحيى حلف اسحق بالطلاق ثلاثاً وعتق جواريه ان الله ما خلق أحداً اسمه غناديس وأنه وضع ذلك الاسم في وقته لينكشف الامر .

غنى يحيى المكي صوتاً فسئل عنه فقال هذا لمالك ثم غنى لحناً لمالك فسئل عن صانعه فقال هذا لي فقال له اسحق الموصلي وكان حاضراً : قلت ماذا فديتك . وتضاحك به وغنى الصوت وذكر اسم صاحبه فخجل يحيى ثم غنى بعد ساعة في الثقيل الاول لحناً فسئل عنه فنسبه الى الغريض فقال له اسحق يا أبا عثمان ليس هذا من نمط الغريض ولا من طريقته في الغناء ولو شئت لاخذت مالك وتركت للغريض ماله ولم تتعب فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقية يومه . فلما انصرف بعث الى اسحق بالطاف كثيرة وكتب اليه يعاتبه ويستكف شره ويقول له : لست أنا من أقرانك فتضادني ولا أنا ممن يتصدى لمباغضتك ومباراتك ولانت الى أن أفيدك وأعطيك ما تعلم انك لا تجده عند غيري فتسمو به على اكفائك أحوج منك الى

(أحمد بن يحيى المكي)

هو ابن يحيى المكي . صحح كتاب أبيه ووضع كتابا جمع فيه اربعة عشر الف لحن لا يضارعه الا كتاب اسحق الموصلي (١)

أن تباغضني فاعطي غيرك سلاحاً اذا حمله عليك لم تقم له . وأنت أولى وما تختار . فعرف اسحق صدق يحيى وكتب اليه يعتذر ورد الالطاف التي حملها اليه وحلف لايعارضه بعدها وشرط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد فوفى له بها وأخذ منه كلما اراد من غناء المتقدمين . وكان يحيى بعد ذلك اذا سئل عن غناء في حضرة اسحق صدق فيه واذا غاب اسحق خلط فيما يسأل عنه . وقال احمد بن سعيد ان الاختلاف الواقع في كتب الاغاني الى الان من بقايا تخليط يحيى

وسئل احمد بن يحيى المكي عن صنعة أبيه فقال الذي صح عندي منها الف وثلمابة صوت. منها مائة وسبعون صوتاً غلب فيها على الناس جميعاً من تقدم منهم ومن تأخر.

وعمر يحيى المكي مائة وعشرين سنة ومات وهو صحيح السمع والبصر (المعرب)

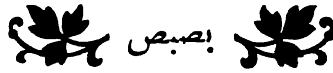
(١) احمد بن يحيى المكى

احمد بن يحيى بن مرزوق المكي ويكنى أبا جعفر . وهو احد المحسنين المبرزين الرواة للغناء المحكمي الصنعة . وكان اسحق يقدمه ويؤثره ويشيد بذكره ويجهر بتفضيله . له كتاب في الاغاني ونسبها هو أصل من الاصول المعول عليها ولا يعرف كتاب بعد كتاب اسحق يقارب كتابه او يقاس به . وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الضراب الموصوفين المتقدمين ، وقد جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديوانا للاغاني ونسبها وأجناسها فكان محتويا على اربعة عشر الف صوت

قال اسحق الموصلي : انصرفت ليلة من دار الواثق فاجتزت بدار الحسن بن وهب فدخلت اليه فاذا احمد بن يحيى المكي عنده فلما قام لصلاة العشاء قال لله الحسن بن وهب : كم يساوي احمد لو كان مملوكاً قلت يساوي عشرين الف دينار . ثم رجع احمد المكي نغنى صوتاً فقال لي الحسن بن وهب يا أبا محمد اضعفها . ثم تغنى احمد صوتاً آخر فقلت للحسن يا أبا علي اضعفها مرة اخرى ثم أردت الانصراف فقلت لاحمد :

لولا الحياء وان السير من خلقي ... اذا قعدت اليك الدهر لم أقم
أليس عندك سكر للتي جعلت ... ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

فغناه احمد وأحسن فيه كل الاحسان . فلما قمت للانصراف قلت للحسن يا أبا علي اضعف الجميع . فقال احمد مستفهما ماهذا الذي أسمعكما تقولانه ولست أدري مامعناه . فقال له الحسن نحن نبيعك ونشتريك وأنت لاتدري



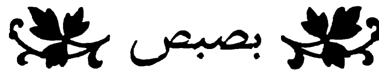
هي جارية مولدة من المدينــة . وكان ابن نفيس مولاها . بلغت هي أيضاً بعض الشهرة . ويقول أبو الفرج الاصفهاني أنها من مغنيات الصف الاول . وقد قال فيها أحد شعراء العصر

مامعناه : اذا دعت بصبص بالعود في مشهد وعاونت يدها اليسرى يمناها غنت غناء يحدث اضطراباً في فؤاد الفتى لما في هذا الغناء من الحذق المزدان بالدلال

وغنى فيها شاعر آخر مامعناه : ياأبا جعفر هل تفارقنا قبل أن تسمع غناء بصبص . والهفا . انك لن تسمعها الا بعد أن تجتاز بك العيس مرة اخرى ذلك الطريق المحاط بالمخاطر . فتمتع اذن بمجلس من مجالس الانس واللذة التي وعدتك بها ولو مرة واحدة قبل الرحيل (١)

وناظره بعض المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم وطال تلاحيهما في الغناء فقال احمد للمعتصم : ياامير المؤمنين من شاء منهم فليغن عشرة أصوات لاأعرف منها ثلاثة وأنا أغني عشرة وعشرة وعشرة لا يعرف احـد منهم صوتاً منها. فقال اسحق صدق ياأمير المؤمنين وأتبعه ابن بشخير وعلوية فقالا قول اسحق فأمر له بعشرين ألف درهم . ثم عاد ذلك الرجل الى مماظتة يوماً فقال احمد له : قد دعوتك الى النصفة فلم تقبل وانا الآن أدعوك وابدأ بما دعوتك اليه . ثم اندفع فغنى عشرة اصوات لم يعرف احـد منهم صوتاً واحداً منها . وكلها من الغناء القديم والغناء اللاحق به من صنعة المكيين الحذاق الخاملي الذكر . فاستحسن المعتصم منها صوتاً وأسكت المغنين واستعاده مرات عدة ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه وأمر أن لايراجعه احد من المغنين ولا يعارضه اذ كان قد أبر عليهم واوضح الحجة في عجزهم وامر له بألف دينار

وتوفي احمد بن يحيى المكي في اول خلافة المستعين . ﴿ المعرب ﴾

(١) 

كانت بصبص جارية مولدة من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء قد أخذت عن الطبقة الاولى من المغنين وكان يحيى بن نفيس مولاها وهو صاحب قيان يغشاه الاشراف ويسمعون غناء جواريه وكانت بصبص هذه أنفسهن وأشدهن تقدماً. وذكر ابن خرداذبه أن المهدي اشتراها وهو ولي العهد بسبعة عشر الف دينار فولدت منه عليه بنت المهدي

ذهب جماعة ليسمعوا بصبص وكان بينهم محمد بن يحيى وكنيته ابو جعفر . وعبد الله بن مصعب الزبيري الشاعر . فعجل ابو جعفر ليخرج الى الكوفة فقال له ابن مصعب الشاعر .

دنانير

هي معتوقة يحيى بن خالد وتلميذة مغنٍ اسمه بذل (١) وابراهيم الموصلي . ويقال أن غناءها كان يضارع غناء ابراهيم الموصلي . ويقال أن لها كتابا اسمه «سحر الاغاني» (٢)

أرائح أنت ابا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا
هيهات أن تسمع منها اذا ... جاوزت العيس بك الاعوصا
فخذ عليها مجلسي لذة ... ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يميناً ومن ... يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعوا الى بيعة ... بايعتها ثم شققت العصا

وقال ابن ابي الزوائد في صبص :

بصبص أنت الشمس مزدانة ... فان تبدلت فأنت الهلال
سبحانك اللهم ما هكذا ... فيما مضى كان يكون الجمال
اذا دعت بالعود في مشهد ... وعاونت يمنى يديها الشمال
غنت غناء تستفز الفتى ... حذقاوزان الحذق منها الدلال

﴿ المعرب ﴾

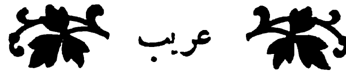
(١) ظن صاحب النبذة أن بذل رجل والحقيقة أنها امرأة وقد ذكرها المؤلف في نبذته كما سيأتي بغير أن يفقه أن بذل التي خرجت دنانير هي بعينها بذل المغنية التي ذكرها في موضع آخر (المعرب)

(٢) ## دنانير

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي وكانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجهاً . وأظرفهن وأكملهن وأحسنهن أدبا وأكثرهن رواية للغناء والشعر . وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره الى مولاها ويقيم عندها ويبرها ويفرط حتى شكته زبيدة الى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك . ولها كتاب مجرد في الاغاني مشهور . وكان اعتمادها في غنائها على ماأخذته من بذل أستاذتها . وقد أخذت أيضا عن الاكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل فليح وابراهيم وابن جامع واسحق ونظرائهم

وكان يحيى المكي وابن جامع يعانيان دنانير في بعض الاحيان فكثيراًما كانت تغلبهما

قال يحيى بن خالد مولى دنانير يوماً لابراهيم الموصلي أستاذها : ان ابنتك دنانير قد عملت صوتاً وأعجبت به فقلت لها لايشتد اعجابك حتي تعرضيه على شيخك فامض اليها كي تعرضه عليك . فمضى ابراهيم اليها واذا الستارة قد نصبت فسلم عليها من وراء الستارة فردت السلام وقالت ياأبت أعرض



عريب

كانت عريب من كبار الموسيقيات ومن أحسن المغنيات . وقد كان اسحق يقول أنه لم ير أجمل ولا أمهر منها ضاربة بالعود . وكانت تعرف واحداً وعشرين ألف لحن وخمسماية لحن (١) وقد كانت

عليك صوتاً قد تقدم لاشك اليك خبره . وقد سمعت الوزير يقول ان الناس يفتنون بغنائهم فيعجبهم منه مالا يعجب غيرهم وقد خشيت على الصوت ان يكون كذلك . فقال ابراهيم هات . فأخذت العود وتغنت بالصوت فأعجب ابراهيم غاية العجب واستخفه الطرب واستعاده طالبا فيه موضعاً يصلحه ويغيره عليها لتأخذه عنه فما استطاع الى ذلك سبيلا . فقال لها أعيديه الثالثة فأعادته فاذا هو كالذهب المصفى . فقال لها أحسنت يابنية وأصبت . ثم خرج فلقيه يحيي بن خالد فقال كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير قال ابراهيم أعز الله الوزير . والله مايحسن كثير من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة . ولقد قلت لها أعيديه فأعادته مرات كل ذلك أريد إعناتها لاجتلب لنفسي مدخلا يؤخذ عني وينسب اليّ فلا والله ماوجدته . فقال له يحيى والله سررتني وسأسرك ووجه اليه بمال عظيم

وقد أخذت دنانير عن ابراهيم الموصلي حتى كانت تغني غناءه فتحكيه فيه حتي لايكون بينهما فرق ، وكان ابراهيم يقول ليحيى متى فقدتني ودنانير باقية فما فقدتني

وقد أصاب دنانير العلة الكلبية فكانت لاتصبر عن الاكل كل ساعة واحدة فكان يحيى البرمكي يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لانها كانت لاتصومه وبقيت عند البرامكة الى أن قتلهم الرشيد.

وقد دعا الرشيد بدنانير البرمكية بعد قتله البرامكة وأمرها أن تغني فقالت ياأمير المؤمنين اني آليت أن لاأغني بعد سيدي أبداً . فغضب الرشيد وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود فأخذته وهي تبكى أحرّ بكاء واندفعت فغنت :

يادار سلمى بنازح السند   بين الثنايا ومسقط اللبد
لما رأيت الديار قد درست   أيقنت أن النعيم لم يعد

فرق لها الرشيد وأمر باطلاقها

وقال أبوحفص الشطرنجي في دنانير :

هذي دنانير تنساني فأذكرها   وكيف تنسى محبا ليس ينساها
والله والله لو كانت اذا برزت   نفس المتيم في كفيـــه ألقاها

(المعرب)

(١) معما هنالك من المغالاة الشرقية عن موسيقيي العرب وعن قوة ذاكرتهم المدهشة ففي أخبار المؤرخين شيء من الحقيقة . إذ لم يكن للعرب اصطلاح علمي لتدوين الموسيقى . إذن فقد كان يجب على المغني الملحن عندهم أن يمتاز بحافظة نادرة ليستطيع أن يحفظ ألحانه وألحان من سبقه من الملحنين

أولا محظية المأمون وموضوع شغفه حتى سميت بمأمونية ثم انتقلت الى الخليفة محمد الامين واصبحت معشوقته . وماتت سنة ٨٤١ مسيحية(١)

وقد عرفنا نحن من موسيقيي العرب في زمننا هذا من لديهم ألف لحن بل يزيد كلها صحيحة سواء في اللفظ أو في الغناء . ولم تكن هذه الموهبة العجيبة وقفاً على الموسيقيين وحدهم بل شاركهم فيها بعض الشعراء . فحماد بن سابور المعروف بالراوية . مات سنة ٧٧٤ . كان له الفضل في حفظ القسم الاكبر من أشعار الجاهلية وجمع كتاب المعلقات السبع . فقد كان لحماد حافظة عجيبة . وكان يباهي بأن في امكانه أن يلقيماية من القصائد الكبيرة لعصور الجاهلية مقفاة على كل حرف من حروف المعجم (*)

(*) كان حماد بن سابور الراوية ويقال له ابن ميسرة ايضا من أعلم الناس بايام العرب واخبارها واشعارها وانسابها ولغاتها وكانت ملوك بني امية تقدمه وتؤثره وتستزيده فيفد عليهم ويناديهم .

قال الوليد بن يزيد مرة لحماد الراوية بما استحققت لقب الراوية فقال باني اروي لكل شاعر تعرفه ياامير المؤمنين او سمعت به ثم أروي لاكثر منهم ممن لم تعرف ولم تسمع بهم ثم لا انشد شعراً لقديم أو لمحدث الاميزت القديم منه من المحدث . فقال الوليد ان هذا لعلم وابيك كبير فكم مقدار ما تحفظه من الشعر قال كثيراً ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام . قال سأمتحنك في هذا وامره بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من يصدقه عنه فانشده الفين وتسعماية قصيدة للجاهليين فامر له الوليد بمائة الف درهم .

(المعرب)

(١) عريب

(عن الاغاني)

كانت عريب مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام . ونهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب واتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والاوتار والرواية للشعر والادب. لم يتعلق بها احد من نظرائها ولا رؤي في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن على قلة عددهن نظير لها . وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء ومن نشأ في قصور الخلافة وغذي برقيق العيش الذي لا يدانيه عيش الحجاز والنشء بين العامة والعرب الجفاة ومن غلظ طبعه .

وقد جمع غناؤها من ديواني بن المعتز وابي العبيس بن حمدون وما أخذ عن بدعة جاريتها التي اعطاها

شارية

كانت شارية تلميذة ابراهيم (ابن المهدي) ومن المحقق انها بلغت مكانة عظيمة وشهرة كبيرةوالدليل على ذلك ان ابن المعتز وهو ابن الخليفة كتب تاريخها بنفسه .

وقد وجه ابراهيم اليها في تعليمها الموسيقى عناية كبيرة فكان في بعض الاحيان يسألها ان تردد بعض المواضع الصعبة في الالحان مائة مرة فكانت اذا اخطأت بعد ذلك عاقبها في شخص ريق رفيقتها التي كان يعهد اليها في القاء الدرس على شارية وكان عقابها ان تضرب .

وقد أخذت شارية غناء مولاها كله : وكانت تنافس عريب التي كانت تمثل المدرسة القديمة . وكانت هذه المنافسة سبباً في انقسام الموسيقيين من مزاولين ومتهنين الى حزبين اشتهر كل منهما بالتعصب الشديد لمذهبه فجرى بين الفريقين مصادمات بلغت في الشدة مبلغاً كبيراً اثبت ابن المعتز اكثر حوادثها في كتابه (١)

اياها بنو هاشم فكان الفاً ومائة وخمسا وعشرين صوتا (وليس واحداً وعشرين الف صوت وخمسماية صوت كما ذكر صاحب النبذة)

ونقل عن ابن خرداذبة : كانت عريب لعبد الله بن اسماعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذي رباها وادبها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء فبرعت حتى قالت الشعر . ونقل عن اسماعيل بن الحسين خال المعتصم انها بنت جعفر بن يحيى البرمكي . ولما قتل البرامكة ونهبت اموالهم سرقت عريب وهي صغيرة ثم اشتراها المأمون بخمسين الف درهم واحبها حبا شديداً . ولما مات المأمون بيعت في ميراثه فاشتراها المعتصم بمائة الف درهم واعتقها فهي مولاته

قال ابو العباس بن حمدون لجحظة وقد تجاريا غناء عريب : ليس غناؤها مما يعتد بكثرته لان سقطه كثير وصنعتها ساذجة فقال له جحظة ومن يعرف في الناس كلهم من مغني الدولة العباسية سلمت صنعته كلها حتى تكون عريب مثله . ثم جعل جحظة يعد ما يعرفه من جيد صنعتها ومتقدمها وابن حمدون يعترف بذلك حتى عد نحواً من مائة صوت

ولدت عريب في سنة ١٨١ هجرية وعاشت ستاً وتسعين سنة . (المعرب)

«١» (ا) انظر كتاب الاغاني لكوزغارتن (المؤلف)

(ب) شارية

كانت شارية مولدة من مولدات البصرة . يقال ان اباها كان رجلا من بني سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية وانه جحدها وكانت امها أمة فدخلت في الرق . وقيل بل سرقت فبيعت فاشترتها امرأة من

بذل

كانت بذل المغنية فتنة قصر الهادي . وكانت حلوة الوجه صفراء كلون الذهب طويلة القامة ذات صوت جميل . ويقال أنها كانت تروي ثلاثين الف صوت وأنها جمعت في مجموعة لها اثني عشر الف صوت وأنها كانت يوماً عند الامير ابراهيم بن المهدي فغنت في طريقة واحدة وايقاع واحد مائة صوت

بني هاشم فادبتها وعلمتها الغناء ثم اشتراها ابراهيم بن المهدي فاخذت غناءه كله او اكثره عنه .

قال ابن المعتز ان شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية من ولد جعفر بن سليمان فحملتها لتبيعها ببغداد فعرضت على اسحق بن ابراهيم الموصلي فأعطى بها ثلثمائة دينار ثم استغلاها بذلك فجيء بها الى ابراهيم بن المهدي فعرضت عليه فساوم بها فقالت مولاتها قد بذلتها لاسحق بن ابراهيم بثلثمائة دينار والامير أعزه الله أولى بها فقال ابراهيم زنوا لها ماقالت فوزنوا . ثم دعا بقيّمته وقال لها خذي هذه الجارية فلا ترينيها بعد سنة كاملة وقولي للجواري يطرحن عليها . فلما مضت سنة أخرجت اليه فنظر اليها وسمعها ثم أرسل الى اسحق الموصلي فدعاه وأسمعه غناءها وقال له : هذه جارية تباع فبكم تأخذها لنفسك . قال اسحق آخذها بثلاثة آلاف دينار وهي رخيصة بها . فقال له ابراهيم أتعرفها؟ قال لا . قال هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلثماية دينار فلم تقبلها . فعجب اسحق من حالها وما انقلبت اليه .

دخل حمدون بن اسماعيل يوماً على ابراهيم بن المهدي . فقال له ابراهيم أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمع مثله قط فقال نعم . فأمر ابراهيم بشارية فخرجت فأمرها أن تغني لحن اسحق « هل بالديار التي قد جئتها أحد » فغنت شيئاً لم يسمع مثله فقال معجباً ماسمعت هذا قط . فقال له ابراهيم أتحب أن تسمعه أحسن من هذا فقال حمدون أيكون ذلك. فقال اسحق بلى والله لقد كان. وغنى ابراهيم اللحن نفسه فرأى حمدون فضلا عجيباً وقال ماظننت أن هذا يفضل ذاك . فقال ابن المهدي أتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك . فقال حمدون بدهشة متزايدة : هذا الذي لايكون . فقال ابن المهدي : بحياتي ياشارية قوليه وأحيلي حلقك فيه فسمع حمدون فضلا بيناً وكثر به العجب فقال له ابن المهدي : ماأهون هذا على السامع . أتدري بالله كم مرة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت فقال حمدون وهو يظن في قوله إغراقا : مائة مرة . فقال ابراهيم بن المهدي اصعد مابدالك فقال ثلثماية . قال أكثر والله من ألف مرة

وكانت شارية اذا اضطربت في صوت فغاية ماعند ابن المهدي في عقوبتها أن يقيمها تغنيه على رجليها فان لم تبلغ الذي أراد ضربت ريق زميلتها التي كان معهود اليها في تدريبها

ويقال أن شارية لم تضرب بالعود الا في أيام المتوكل لما اتصل الشر بينها وبين عريب. فصارت تقعد بها عند الضرب فضربت هي بعد ذلك

ويقال أن شارية كانت أحسن الناس غناء منذ توفي المعتصم الى آخر خلافة الواثق

لايعرفها أحد (١)

متيم الهاشمية (٢)

كانت متيم تلميذة ابراهيم الموصلي وابنه اسحق . وهي مغنية متفوقة وشاعرة ممتازة اشتراها علي بن هشام . وقد سمعتها يوماً جدة علي فاعجبت بها ووهبتها ماية الف درهم (٣)

---

(١) ## بذل

(عن الاغاني)

كانت بذل صفراء مولدة من مولدات المدينة وربيت بالبصرة وهي احدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية . ويقال أنها كانت تغني ثلاثين الف صوت . ولها كتاب في الاغاني منسوب الاصوات غير مجنس يشتمل على اثني عشر الف صوت

وكانت بذل حلوة الوجه ظريفة ضاربة متقدمة . وابتاعها جعفر بن موسى الهادي ثم أخذها منه محمد الامين وأعطاه فيها مالا جزيلا . وبقيت في داره الى أن قتل . وأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد وعن دحمان وفليح وابن جامع وابراهيم الموصلي وطبقتهم وقرأت على جحظة .

ويروى أن بذل قالت مرة : كنت أروي ثلاثين الف صوت فلما تركت الدرس نسيت نصفها . وقد ذكر قولها هذا لزرزور الكبير فقال كذبت !

وقد غنت بذل مرة عند ابراهيم بن المهدي ماية صوت في طريقة واحدة وايقاع واحد وأصبع واحد فلم يعرف ابراهيم منها صوتاً واحداً

وغنت بذل يوماً في حضرة المأمون صوتاً فخالفها اسحق بن ابراهيم الموصلي في نسبته . فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحداً بعد واحد وسألت اسحق عن صانعها فلم يعرفه فقالت للمأمون : ياأمير المؤمنين هي والله لابيه أخذتها من فيه فاذا كان هذا لايعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره فاشتد ذلك على اسحق وأقام واجماً (المعرب)

---

(٢) جاء بالفرنسية هكذا MOLEIJEM LA HACHIMITE وصحتها Moutayam

(٣) ## متيم الهاشمية

(عن الاغاني)

كانت متيم حلوة الوجه صفراء مولدة من مولدات البصرة وبها نشأت وتأدبت وغنت وأخذت عن

قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية مغنية وضاربة بالعود وقد اشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار (١)

محبوبة

كانت محبوبة مغنية المتوكل ومحظيته المقربة منه ويقول لنا مؤرخو ذلك العصر انها كانت شاعرة متقدمة

اسحق الموصلي وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنين . وكانت من تخريج بذل وتعليمها . وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء وأدباً وكانت تقول الشعر وهي مولاة عريب فاشتراها علي بن هشام منها بعشرين الف درهم وحظيت عنده حظوة شديدة وتقدمت عنده على جواريه اجمع وهي أم ولده كلهم. ولما قتل علي بن هشام عتقت . وكان المأمون يبعث اليها فتجيئه فتغنيه

وقد مرت متيم في نسوة وهي مستخفية بقصر علي بن هشام بعد أن قتل فلما رأت بابه مغلقا لا انيس عليه وقد علاه التراب وقفت عليه وتمثلت :

يامنزلا لم تبـل أطلاله   حاشا لا طلالك أن تبلى
لم ابك اطلالك لكنني   بكيت عيشي فيك إذ ولى
قد كان لي فيك هوى مرة   غيبة الترب وما هلا
فصرت أبكي جاهداً فقده   عنـد ادكاري حيثما حلا
فالعيش أولى مابكاه الفتى   لابد للمحزون أن يسلى

ثم بكت حتى سقطت من قامتها فحملتها النسوة وسرن بها تتهادى حتى تجاوزت الموضع

وقال ابن المعتز كانت متيم يعجبها البنفسج جداً وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب حتى انها من شدة اعجابها لا يكاد يخلو الريحان من كمها ولا يرى إلا كما قطف من البستان

وماتت متيم في خلافة المعتصم بعد ابراهيم بن المهدي وبذل بزمن قليل

(المعرب)

---

(١) قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جارية مولدة صفراء حلوة حسنة الغناء والضرب حاذقة قد أخذت عن ابراهيم وابنه اسحق ويحيى المكي وزبير بن دحمان وكانت لصالح بن عبد الوهاب اخي احمد بن عبد الوهاب كاتب صالح ابن الرشيد وقيل كانت لابيه وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتاً واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار

(المعرب)

وانها كانت تلحن أشعارها بسهولة وتغنيها على العود . وكانت عريب في بعض الاحيان تلحن شعرها(١)

---

(١) ## محبوبة

{ عن الاغاني }

كانت محبوبة مولدة من مولدات البصرة شاعرة شريفة مطبوعة وما كانت فضل الشاعرة اليمامية تكاد أن تتقدمها . وكانت محبوبة أجمل من فضل وأعف . وملكها المتوكل وهي عذراء أهداها له عبدالله بن طاهر وبقيت بعده مدة فما طمع فيها أحد وكانت تغني ولكن لم يكن غناؤها بالفاخر البارع .

دخل المتوكل (جعفر المتوكل على الله بن المعتصم) على قبيحة (جاريته) يوما فوجدها قد كتبت اسمه (جعفر) على خدها بغالية (نوع من الطيب) فأعجبه سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد فسأل ابن الجهم الشاعر أن يقول في ذلك شعراً فدعا بدواة . وكانت محبوبة حاضرة فقالت على البديهة من غير فكر ولا روية

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا   بنفسي مخط المسك من حيث أثرا
لئن كتبت في الخد سطراً بكفها   لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا
فيامن لمملوك لملك يمينه   مطيع له فيما أسر وأظهرا
ويامن مناها في السريرة جعفر   سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

وكان علي بن الجهم لايزال يفكر فما أن سمع شعر محبوبة حتى مكث واجماً لاينطق بحرف . وأمر المتوكل بالابيات فبعث بها الى عريب وأمرها أن تغني فيها

ولما قتل المتوكل تفرقت جواريه فصار الى وزيره وصيف عدة منهن كانت محبوبة بينهن . فاصطبح ذلك الوزير يوما وأمر باحضار جواري المتوكل فأحضرن عليهن الثياب الملونة والمذهبة والحلي وقد تعطرن الا محبوبة فانها جاءت متسلبة حزينة عليها ثياب بيضاء غير فاخرة حزناً على المتوكل . فغنى الجواري جميعا وشربن وطرب الوزير وصيف وشرب ثم قال لمحبوبة غني فأخذت العود وغنت وهي تبكي :

أي عيش يطيب لي   لا أرى فيه جعفرا
ملكا قد رأته عيني   قتيلا معفرا
كل من كان ذا هيام   وحزن فقد برا
غير محبوبة التي   لو ترى الموت يشترى
لاشترته بملكها   كل هذا لتقبرا
ان موت الكئيب أصلح   من أن يعمرا

فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها فاستوهبها منه بعض من كان حاضراً فوهبها له فأعتقها وأمر

عبيده

اذا صح ما يقول اسحق فعبيدة كانت من أحسن مغنيات عصرها برعت في الموسيقى كما برعت في الادب وكان أبو حشيشه يعترف لها بالاستاذية في الموسيقى . وقد ذكرها أبو القاسم جحظة البرمكي (١) في كتابه المسمى « كتاب اللاعبات بالطنبور » ويذكر لها لحناً في الرمل عجيب الصنعة . وكان معاصروها حتى المنافسين لها يقرون لها بالبراعة . وكان اسحق وابنه حماد يعظمانها ويتحدثان بتقدمها . ولم يكن أحد من الموسيقيين أو المغنين يجسر أن يتقدمها في العزف أو الغناء في مجالس الموسيقى . وكانت شديدة العشق ذكر المؤرخون كثيراً من حوادث غرامها المختلفة وما كان عليه ذلك الغرام من الشدة وقد كتب على طنبورها البيت الآتي :

كل شيء سوى الخيا   نة في الحب تحتمل

وكان اسحق يقول : الطنبور اذا تجاوز عبيده هذيان ويقول بعض الشعراء . ومن الناس من يقول أن اسحق نفسه غناه :

أمست عبيدة في الاحسان واحدة   فالله جار لها من كل محظور
من أحسن الناس وجهاً حين تبصرها   وأحذق الناس ان غنت بطنبور (٢)

باخراجها وأن تكون بحيث تختار من البلاد فخرجت من (سر من رأى) الى بغداد وخمل ذكرها بقية حياتها . (المعرب)

(١) انظر كتاب الف ليلة وليلة ترجمة الدكتور ماردروس الجزء السادس

(٢) عبيده الطنبورية

(عن الاغاني)

كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك اسحق وحسبها بشهادته وكان أبو حشيشة (الطنبوري) يعترف لها بالرئاسة والاستاذية . وكانت عبيدة من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم صوتاً ذكرها جحظة في كتاب الطنبوريين والطنبوريات وكانت لاتخلو من عشق ولم يعرف في الدنيا امرأة أعطر منها وكانت لها صنعة عجيبة فمنها في الرمل

كن لي شفيعاً اليكا   ان خف ذاك عليكا
وأعفني من سؤالي   سواك ما في يديكا
يا من أعز وأهوى   مالي اهون عليكا



(تابع الهامش)

ومن أغانيها :

قريب غير مقترب ومؤتلف كمجتنب
له ودّي ولي منه دواعي الهم والكرب
اواصله على سبب ويهجرني بلا سبب
ويظلمني على ثقة بأن اليه منقلبي

اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد وفيهم المسدود وعبيدة . فقالوا المسدود غن فقال والله لا تقدمت عبيدة وهي الاستاذة فما غنى حتى تغنت

ويقال أن عبيدة الطنبورية بنت رجل يقال له صباح وكان الزبيدي الطنبوري أخو نظم العمياء المغنية يختلف الى أبيها ويقيم عنده ويبيت ويشرب ويغني فسمعت عبيدة غناءه فوقع في قلبها واشتهته وسمع الزبيدي صوتها وعرف طبعها فعلمها وواظب عليها حتى مات ابوها فرقت حالها وقد حذقت الغناء على الطنبور فخرجت تغني وتقنع باليسير وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبر حظها واشتهاها الناس ورغب فيها الفتيان وكان أول من عشقها رجل يسمى علي بن الفرج الزجحي وكان حسن الوجه كثير المال فتزوجها وولدت منه بنتاً فحجبها فكانت تحتال في بعض الاوقات بعلة الحمام وغيره وتلم بمن كانت توده ويودها . ثم ماتت بنتها وطلقها زوجها فخرجت . وكانت تخرج بدينارين للنهار وبدينارين لليل وكانت شديدة العشق لا تحرم احداً

وقال جحظة وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فاذا مكتوب عليه بابنوس :

كل شيء سوى الخيا نة في الحب تحتمل

وماتت عبيدة من نزف اصابها فافرط حتى اتلفها . ويقول فيها بعض الشعراء ومن الناس من ينسبه الي اسحق :

«امست عبيدة فى الاحسان واحدة » كما سبق ذكره .

(المعرب)



(تم الجزء الاول)